

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY

ISLAMABAD – PAKISTAN

FACULTY OF ARABIC

DEPARTMENT OF LITERATURE



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد – باكستان،

كلية اللغة العربية،

قسم الأدبيات.

بلاغة التقديم والتأخير في تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي

(دراسة بلاغية تحليلية)

بحث تكميلي لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

الإشراف: الأستاذ الدكتور فضل الله (حفظه الله تعالى ورعاه)

عميد كلية اللغة العربية

إعداد الطالب: علي عبد الله الصيني li chong

رقم التسجيل: 164 FA-PHD-F13

العام: 2020-2021

٥٩٩

Accession No. TH25580

PhD

٧٥ و ٤٩٢

ع ل ب

لغة عربية - بحوث

لغة عربية - قوائم

لغة عربية - بلاغة

لغة عربية - تقديم

لغة عربية - زعم

لغة عربية - تفاسير

لغة عربية - الباب في علوم الكتاب

لغة عربية - ابن ابي اد

INTERNATIONAL ISLAMIC
UNIVERSITY

Islamabad – Pakistan

FACULTY OF ARABIC



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد – باكستان

كلية اللغة العربية

لجنة المناقشة

تمت مناقشة الرسالة العلمية التي قدمها الباحث علي عبدالله Li Chong بعنوان: بلاغة التقديم والتأخير في تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ، وذلك يوم الأربعاء الموافق 14 يوليو 2021م في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

أعضاء اللجنة	الصفة	التوقيع
الأستاذ الدكتور فضل الله	مشرفا	
الأستاذ الدكتور كفاية الله همداني	مناقشا خارجيا	
الأستاذ الدكتور عبدالكبير محسن	مناقشا خارجيا	
الدكتور عبدالمجيب بسام	مناقشا داخليا	

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديَّ الكريمين الذين علّمني قيمة الإيمان والخلق وعزّزا في قلبي حب الخير والعزم في مواجهة التحديات، ثم دفعاني إلى تعلم القرآن ولغته في المدرسة الدينية بعد تخرجي في المدرسة الثانوية الحكومية.

إلى شريكة العمر، باعثة الهمّة، زوجتي فاطمة التي كانت غير مسلمة وأسلمت على يدي قبل زواجنا وصبرت صبورا جميلا على إهمالي عن واجباتي تجاهها وتحملت كثيرا من ألم الفراق ومشقة رعاية ابنا عبد الله وابتنتنا عليّة وتربيتهما، كما أنّها أيدتني في إتمام الدراسات العليا وخاصة في إكمال هذا البحث.

إلى كل من قدم المساعدة لأسرتي ودراستي طوال هذه السنوات من أقبائني وأصدقائني وزملائي وإخواني المسلمين.

إليهم جميعا أهدي عملي هذا البحث المتواضع.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الذي لا نبي بعده، أولا أشكر ربي شكرا خالصا لا حدود له عرفانا بكرمه على إنجاز هذا البحث، فله الحمد كله وله الشكر كله.

وأحرص على أن أسجل الشكر الجزيل لكل من أسهم في إعداد هذا البحث من أساتذة كلية اللغة العربية وعلى رأسهم عميدها الأستاذ المكرم الدكتور فضل الله - حفظه الله تعالى، المشرف على بحثي هذا، الذي تعب معي في مراجعة البحث واصطبر على أخطائي وشجعني حتى انتهيت من كتابته على الرغم من إلغاء موضوع بحثي الأول بسبب أنه مدروس بعد أن بذلت كل جهدي ووقتي فيه لأربع سنوات، وكان وقتا صعبا جدا في حياتي، ولكن بفضل الله تعالى ومساعدة الأساتذة والأصدقاء قمت من جديد حتى أكمل هذا البحث المتواضع.

ثم لن أنسى فضل الأستاذ الدكتور رفعت السيد الأزهري على هذا البحث، فإنه أعطاني فكرة أساسية له وبعض الاقتراحات العلمية فيه. وكذلك الأستاذ الدكتور حسن عبد الباقي والأستاذ محمد ناشي فإنهما أيضا أعطاني بعض الاقتراحات المهمة لكتابة البحث، فجزاهم الله جميعا خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وأخيرا أرى من الواجب أن أسجل شكري وامتناني لكل من أسهم وقدم لي عوناً في سبيل إنجاز هذا البحث، فجزاهم الله جميعا خير الجزاء في الدارين.

علي عبد الله الصيني

2020- نوفمبر-17

المقدمة

- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- أسئلة البحث
- منهج البحث
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- خطة البحث

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على
رسوله الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، وبعد:

أهمية الموضوع:

فمن المعلوم أن البلاغة علم من علوم اللغة العربية المهمة، مناهجها وفنونها عديدة،
تمتد جذورها إلى العصر الجاهلي ثم تطورت تطوراً كبيراً في العصور الإسلامية اللاحقة. هذا
العلم الجليل كعلوم أخرى مر بمراحل مختلفة في نشأته وتطوره حتى وصل إلى ذروته عند
الشيخ عبد القاهر الجرجاني،¹ فتبلورت قواعده وتحددت أصوله عنده، ثم ثبتت فروعه الثلاثة
البديع والبيان والمعاني على يد يوسف بن أبي بكر السكاكي،² ثم ظل علم البلاغة متجمداً
حتى نهض من جديد في العصر الحديث.

ولا شك أن الفضل الأول لنشأة هذا العلم وتطوره واهتمام العلماء به يرجع إلى
القرآن الكريم، إذ اشتغل كثير من العلماء بتفسيره وتأويله، خاصة بعدما اتسعت الدولة
الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وضعف لسانهم العربي، فدخلت في العربية كثير

¹ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400-471هـ/1009-1079م)، نحوي ومتكلم،
ولد في جرجان لأسرة رقيقة الحال، نشأ ولوعاً بالعلم، محباً للثقافة، فأقبل على الكتب يلتمسها، وخاصة كتب النحو
والأدب. وهو يعتبر أحد المؤسسين لعلم البلاغة، ويعد كتابه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم الكتب التي
ألفت في هذا المجال. انظر: طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية،
بيروت، ج 1، ص 336.

² هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ولد سنة
555هـ/1169م، هو عالم بالعربية والأدب، من أهل خوارزم، وتوفي في قرية الكندي من قرى المالح في سنة
626هـ/1229م. من أهم أعماله: مفتاح العلوم، كتاب الجمل، التبيان. انظر: موقع ويكيبيديا تحت كلمة: السكاكي،
تاريخ الاطلاع: 10 نوفمبر 2020.

من الأخطاء في النطق والفهم. فمست الحاجة لتصحيح هذه الأخطاء ووضعت قواعد العربية المحكمة كما اشتدت الحاجة إلى من يفسر القرآن ويكشف جوانبه الجمالية الخارقة للعادة لمن لا يستطيع أن يدركها بالفطرة. فظهرت مجموعة كبيرة من العلماء الأجلاء الذين قاموا بهذا العمل، واجتهدوا في سبيل تحقيق هذا الهدف الأسمى خدمة لكلام الله ثم للمسلمين جميعاً. فمنذ ذلك الوقت قويت علاقة البلاغة مع التفسير، ومن الطبيعي أن نجد كتباً كثيرة ألقت وتناولت هذين العلمين معا أي علم التفسير وعلم البلاغة، وطبق علم البلاغة في تفاسير كثيرة.

فالبلاغة القرآنية لها أثر قوي في قلوب الناس، وتعتبر معجزة خالدة لنبينا - صلى الله عليه وسلم - وشاهدة حية لأحقية هذا الدين. سر هذا البيان المعجز يكمن في كل جوانبه ومستوياته، في ألفاظه وجمله وتراكيبه ونظمه ومعانيه. القرآن الكريم يخاطب البشر كافة، فالبعض يتأثر به بمجرد الاستماع إلى تلاوته، والبعض يدرك جماله وروعته بفطرته، والبعض يدركه بالتعلم والاكتساب. فمنذ نزول القرآن الكريم بدأ يهتم به المسلمون وعلمائهم، فاشتغلوا بكشف علومه المختلفة على وجه عام وبالبحث عن أسرار البلاغة على وجه خاص.

وهذا وفقاً لما قاله أبو هلال العسكري (ت: 1005م) في كتابه الصناعتين:

"وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خص الله به من حسن التأليف وبراعة التراكيب وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة وجلّله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمته وجزالته، وعذوبته وسلاسته."¹

¹ كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية،

بيروت، الطبعة الأولى 1949م، ص 1.

وعلم المعاني من أهم هذه العلوم البلاغية الثلاثة، ونال اهتماما بالغا من قبل علماء السلف والخلف، هذا العلم يعلمنا كيف نؤدي به الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير، وقصر وإيجاز وإطناب. أما مبحث التقديم والتأخير فهو من أهم مباحثه، وأهميته كما قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" بأنه "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء وخوّل اللفظ عن مكان إلى مكان".¹

أسباب اختيار الموضوع:

في السنوات الأخيرة قد ظهرت في الصين جماعة تدعو إلى الصلاة وقراءة القرآن بالترجمة الصينية، وتدعي أن اللغة العربية صعبة للصينيين، حتى بعضهم قالوا إنها عائق في الطريق تمنع الناس عن فهم القرآن وتدبره، ويجب تركها، فاللغة الصينية تكفي لمن لا يريد تعلم اللغة العربية من المسلمين، ويظنون هذا تسهيلا لهم، فضلوا عن السبيل القيم وأضلوا. وأهم سبب في هذه النظرة الخاطئة يرجع إلى قلة معرفتهم بالعلوم القرآنية، خاصة للجمال البياني والإعجاز البلاغي الخالد للقرآن الكريم. فمسؤولية العلماء وطلبة العلم أن يبينوا ويسلطوا الأضواء على الإعجاز القرآني وجماله البياني، وإقناعهم بالأدلة القاطعة أن اللغة العربية أساس كل هذا الجمال والدين الإسلامي كله، وأن الفهم والتدبر الصحيحين للقرآن الكريم لا يتمان إلا بها.

فمنذ سنوات نويت أن أعمل في هذه القضية وأخدم اللغة العربية والمسلمين الصينيين

¹ دلائل الإعجاز، للشيخ عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي 1987م، القاهرة، ص 106.

بتصحيح هذا الخطأ. فمن الطبيعي أن أختار موضوعا يتعلق بتخصصي الدراسي، فهذا ما دفعني إلى البحث في تفسير القرآن وإعجازه، فاخترت هذا الموضوع أخيرا باقتراحات وإرشادات بعض الأساتذة الكرام، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

أسئلة البحث:

ومن خلال تحليلي للآيات الكريمة وقول ابن عادل فيها سأحاول أن أجيب عن المسائل التالية وهي كذلك من أهم الأسئلة التي يمكن أن أواجهها في هذا البحث:

1. ما أهمية معرفة التقديم والتأخير في فهم القرآن.
2. ما سر الإعجاز القرآني في التقديم والتأخير؟
3. ما منهج ابن عادل في تناوله مسألة التقديم والتأخير؟ وما مدى اهتمامه بها وتأثره بسابقيه واختلافه معهم؟ وما تأثيره على المتأخرين؟
4. ما دور السياق في تحديد المعنى المقصود؟ وخاصة عند الآيات المتشابهات بسبب التقديم والتأخير في بعض ألفاظها؟

منهج البحث:

استخدمت في البحث المنهج الوصفي والتحليلي الذين يقومان على دراسة الآيات التي فيها التقديم والتأخير، فجمعت كل هذه الآيات وقسمتها حسب موضوعات الدراسة، ثم قمت بتحليل بلاغي لأقوال ابن عادل في هذه الآيات مستعينا بأقوال بعض السابقين والمتأخرين، حتى أستطيع أن أجيب عن الأسئلة المذكورة أعلاه.

قد التزمت في هذا البحث بالآتي:

1. نسبة الأقوال إلى مصادرها الأصلية قدر المستطاع، وما نقلت بنصه وضعته بين قوسين (" ")، وإذا نقلت معنى من كتاب أو تصرفت فيه أشرت إليه في الهامش

- بكلمة (انظر)، ثم ذكرت المرجع الذي استفدت منه.
2. مراجعة المصادر الأصلية ومحاولة الوصول قدر الاستطاعة إلى المراجع المختلفة، حسب طبيعة البحث.
3. تعريف الأعلام المذكورين أول مرة في البحث.
4. التركيز على النكت البلاغية وخاصة تلك المتعلقة بالتقدم والتأخير.
5. تخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من المصادر المتعلقة بها قدر الاستطاعة.
6. ذكر تفاصيل المصادر والمراجع عند ورودها أول مرة في الهامش والاكتفاء بذكر عنوان الكتاب، وبيان الجزء والصفحة عند التكرار.
7. اختيار منهج معين في الهوامش وقائمة المصادر والمراجع وهو تقديم الكتاب وبعده المؤلف ثم المحقق ثم تفاصيل الطبع والجزء والصفحة.
8. الاعتماد على كتب التفسير التي تهتم بالجانب البلاغي أكثر كتفسير الفخر وتفسير الزمخشري والبحر المحييط وتفسير أبي السعود وروح المعاني وتفسير التحرير والتنوير وغيرها.
9. القيام بإعداد فهارس كل من الآيات القرآنية المدروسة، والأحاديث النبوية، والمصادر والمراجع، ومحتويات البحث مراعيًا في ذلك الترتيب الأبجائي.
10. استخدمت الرموز في بعض الكلمات التي تذكر مرارا وتكرارا في البحث تجنبًا للإطالة المملة، وهذه الرموز كالآتي: ط للطبعة، ج للجزء، ص للصفحة، هـ للهجري، م للميلادي، ت للمتوفى، وغيرها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تناول ابن عادل لمسألة التقدم والتأخير مبينا السر البلاغي فيه من جهة، وليكون لأمثالي الاستفادة الكاملة من البلاغة القرآنية والمعرفة الشاملة لجمالها من

جهة أخرى.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة التي تتعلق بهذا التفسير حسب علمي هي كما يلي:

1. منهج ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب وتحقيق تفسير سورة الفاتحة، مناع بن محمد القرني، وهي رسالة جامعية تحت إشراف د. زاهر بن عواض الأملعي، من قسم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ونوقشت عام 1415هـ/الموافق 1994م.
2. ابن عادل وتفسيره اللباب في علوم الكتاب، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع، مقال طبع في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 17، 1417هـ/الموافق 1996م.
3. أثر السياق في توجيه المعنى بين ابن عادل الحنبلي ومحمد الشنقيطي دراسة نحوية موازنة، لإبراهيم بن هادي محمد المبارك، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تحت إشراف السيد أحمد على صقر، نوقشت عام 1432هـ/الموافق 2011م.
4. آراء ابن عادل العقدي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب عرضا ودراسة، حسني عودة، الجامعة الأردنية، 1982م.
5. اختيارات ابن عادل النحوية في كتابه اللباب في علوم الكتاب من أول الفاتحة إلى آخر النساء لعبد الله بن عمير الحصين، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. رياض بن حسن الخوام، في قسم الدراسات العليا لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، السعودية، نوقشت عام 1430هـ/الموافق 2009م.

6. اتجاهات التفسير عند ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب، جمال عبد العزيز علي عبد العزيز، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. مصطفى جلال مصطفى ود. أحمد فؤاد سالم، لكلية الدراسات العليا بجامعة المنيا، نوقشت عام 1998م.
7. الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في تفسير، لعبد الحي حسن موسى عبد المجيد، رسالة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، الإشراف: محسن سميح الخالدي، نوقشت في سنة 2003م.
8. منهج ابن عادل الحنبلي في تفسيره للقرآن الكريم: اللباب في علوم الكتاب، محمد على عثمان عثمان، رسالة ماجستير تحت إشراف السلطان فريد مصطفى في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، نوقشت عام 2002م.
- قد وجدت هذه الدراسات التي تتعلق بهذا التفسير بعد بحثي في الإنترنت ولكن ما وجدت - بعد محاولاتي الكثيرة - النسخ لهذه الرسائل والكتب إلا اثنين منها:
- الأول: هو الرقم 5: اختيارات ابن عادل النحوية في كتابه اللباب في علوم الكتاب من أول الفاتحة إلى آخر النساء، فهي دراسة نحوية بحتة، الباحث قسم الرسالة إلى قسمين، القسم الأول في اختيارات ابن عادل النحوية، وتحت هذا القسم تكلم عن مسائل الأسماء، ومسائل الأفعال، ومسائل الحروف، أما القسم الثاني فهو دراسة في عبارات ابن عادل في اختياراته، ثم الأسس التي قامت عليها اختياراته، ثم منهجه في الاحتجاج لاختيارات غير الإعرابية، ثم منهجه في الاحتجاج للاختيارات الإعرابية، والأخير موقفه من المذاهب النحوية. فهو لم يتناول مبحث التقديم والتأخير إلا في القسم الأول تحت مسائل الأسماء، مثل هل يجوز تقديم الفاعل على فعله، وهل يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا استويا تعريفا وتنكيراً، وكل هذا لم يتجاوز 20 صفحة، كما أنه تناول هذه المسائل من ناحية نحوية فقط فلم

يدخل في علم البلاغة.

الثاني: هو الرقم 7، الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل ومنهجه في التفسير، يتناول الباحث فيها منهج ابن عادل في تفسيره، كما أنه قسمها إلى أربعة أبواب، الباب الأول في سيرة ابن عادل، والباب الثاني في المدخل إلى دراسة منهج ابن عادل، والباب الثالث في منهج ابن عادل في تفسيره، والباب الرابع في مكانة ابن عادل في التفسير وأثره في المفسرين. وفي الباب الثالث تكلم الباحث عن الاتجاه البلاغي في التفسير من صفحة 147 إلى صفحة 161، عندما تكلم الباحث عن الاتجاه في علم المعاني تناول فقط نموذجين في التقديم والتأخير وهذا لا يتجاوز نصف صفحة في البحث.

أما باقي البحوث والرسالات من هذه الدراسات فمن عناوينها نعرف أن بعضها تكلم عن النحو، وبعضها تكلم عن المنهج والمسائل العقدية في التفسير. فلا يوجد بحث خاص في التقديم والتأخير، لذا تناولت هذا الموضوع تناولا مفصلا على أساس شرح ابن عادل لهذه المسائل في تفسيره وهو من الموضوعات المهمة في البلاغة العربية.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على تمهيد بعد هذه المقدمة، في التمهيد تكلمت عن حياة ابن عادل وتفسيره، ومفهوم التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين، وأنواعه وأسبابه.

الباب الأول: التقديم الصناعي، يشتمل هذا الباب على فصلين وأربعة مباحث:

الفصل الأول: التقديم في عمدة الكلام، لهذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: تقديم المسند إليه

المبحث الثاني: تقديم المسند

الفصل الثاني: التقديم في متعلقات الفعل، لهذا الفصل مبحثان أيضا:

المبحث الأول: تقديم متعلقات الفعل على عاملها

المبحث الثاني: تقديم المتعلقات بعضها على بعض

الباب الثاني: التقديم الذكري، وهو أيضا يشتمل على فصلين وأربعة مباحث:

الفصل الأول: التقديم في الأمور العقائدية والغيبية، لهذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التقديم في الأمور العقائدية

المبحث الثاني: التقديم في الأمور الغيبية

الفصل الثاني: التقديم في الأمور الدنيوية والكونية، لهذا الفصل مبحثان أيضا:

المبحث الأول: التقديم في الأمور الدنيوية

المبحث الثاني: التقديم في الأمور الكونية

الخاتمة فيها أهم النتائج التي وصل إليها الباحث.

ثم الفهارس الفنية المختلفة من فهرس الآيات المدروسة والأحاديث الشريفة والأعلام

المترجمة وفي الأخير فهرس المحتويات.

التمهيد:

- التعريف بابن عادل وتفسيره
- مفهوم التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين
- أنواع التقديم والتأخير
- أسباب التقديم والتأخير

التعريف بابن عادل وتفسيره

التعريف بابن عادل:

بعد مراجعتي لبعض كتب الأعلام والتراجم والبحوث وجدت أن المعلومات عن حياته قليلة جداً، فاعتمدت في التعريف به وتفسيره على كلام المحقق لتفسيره فيما يلي:¹

اسمه ومولده:

هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، عالم وفقه ومفسر حنبلي.

أما مولده فلم تحفظ لنا كتب المعاجم والتراجم تاريخاً محدداً أو مقدراً لولادته، فلا تذكره هذه الكتب التي ألفت في عصره وبعده بفترة قصيرة، إلا أن بعض الكتب الحديثة والمعاصرة تذكر بعض المعلومات القليلة عنه، ولكن سنة مولده ما زالت غامضة عندنا، وأكثر الظن أنه ولد في أواخر القرن السابع الهجري.

شيوخه وتلاميذه:

عندما نرجع إلى كتب السير والمعاجم لا نجد أيضاً من يحدثنا عن أخذ عنهم الإمام ابن عادل ولا عن نشأته العلمية وطلبه للعلم وتحصيله، ولكن كما نعرف أن مثل هذا المؤلف لا بد من أنه تأثر بمن حوله، فكتابه هذا زاخر بالعلوم والمعارف والنكت العلمية الدقيقة التي تعطينا فكرة أنه لازم المشايخ والأعلام زمناً طويلاً حتى أخرج لنا مثل هذا السفر العظيم. والحال في تلاميذه أيضاً كما في شيوخه، فلا نجد شيئاً يعطينا معلومات عن تلاميذه،

¹ انظر: تفسير اللباب لابن عادل، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1998م، ج 1، ص 20-72.

مع أنه لا بد له من أخذ العلم عنه لأنه كان مصباحاً لأهل عصره في مختلف العلوم.

تصانيفه:

من مؤلفاته التي وصلت إلينا:

أولاً: اللباب في علوم الكتاب، وهو موضوع بحثي هذا.

ثانياً: حاشية على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.¹

وفاته:

القول في وفاته كالقول في مولده، فلم تحفظ لنا كتب السير تحديد تاريخ وفاته، إلا أن الأرجح أنه توفي بعد سنة 880هـ/الموافق 1475م.

¹ المحرر كتاب في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف الشيخ الإمام العلامة المهام حجة الله بين الأنام

شيخ الإسلام محمد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله الحراني المتوفى سنة 652هـ.

التعريف بتفسيره

اللباب في علوم الكتاب هو أشهر تصانيف ابن عادل في تفسير القرآن الكريم، يقال إنه فرغ من تأليفه في سنة 879هـ/الموافق 1474م.

حجم التفسير وتحقيقه:

قال صاحب طبقات المفسرين الأدنه وي¹ عن حجمه بأنه يقع في عشرة مجلدات،² وقال صاحب كشف الظنون أنه ستة مجلدات،³ أما النسخة التي بين يدي فهي تقع في عشرين مجلدا مع تحقيق كل من عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، وقام محمد سعد رمضان الذي حصل على رسالة دكتوراه في بحثه الذي حقق فيه بتفسير اللباب من سورة مريم آية 59 إلى آخر سورة القصص. ثم قام محمد المتولي الدسوقي الذي حصل هو الآخر على رسالة الدكتوراه بتحقيق الكتاب من سورة العنكبوت إلى سورة القمر، ثم ضم كل من عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض عمل هذين الأستاذين معهما في تحقيق التفسير.⁴

أسلوب التفسير:

هذا التفسير كما قال ابن عادل فيه أنه جمع من أقوال العلماء في علوم القرآن، فبين

¹ هو أحمد بن محمد الأدنه وي، المعروف بشيخ زاده، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، على الرغم من أن كتب التراجم لم تذكر الكثير عنه، إلا أنه صاحب كتاب طبقات المفسرين، الذي يعد من أشهر وأهم كتب تراجم المفسرين، جمع فيه الأدنه وي كل مفسري القرآن الكريم من القرن الأول الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري.

² طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1997م، ص 418.

³ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المجلد الثاني، صفحة 302.

⁴ انظر: تفسير اللباب، ج 1، ص 72.

فيه معاني المفردات والمسائل النحوية ووجوه الإعراب والقراءات والإعجاز البلاغي ويأتي في هذا بالشواهد الشعرية كثيرا وأقوال العلماء المفسرين في تفسير الآيات ودلالاتها مع شرحه وترجيحه. كما أنه يجعل فصولا كثيرة في بعض الأمور المهمة من الناحية العقدية والفقهية والنظرية وغير ذلك مثل فصل في نظم الآية وفصل في رد شبهة المعتزلة وإلى آخره. فبهذا أصبح الكتاب موسوعة علمية ضخمة في علوم القرآن وتفسيره وبيانه.

مثلا أنه في بداية سورة البقرة شرح أولا بأنها سورة مدنية، ثم شرح سبب نزول هذه السورة مع أهميتها. ثم جاء إلى الحروف المقطعة "ألَمْ" وبين ماهيتها وما إعرابها، وجعل فصلا خاصا لها بسم "فصل في الحروف المقطعة"، فأتى فيها بكل آراء العلماء في هذه الحروف. ثم جاء إلى الجملة "ذلك الكتاب لا ريب فيه" وبينها أولا من ناحية صرفية ونحوية والآراء المختلفة للعلماء، ثم شرح معنى الكلمات مع عمل هذه الكلمات مثل كلمة "ذلك" فقال عن معناها اللغوي وفائدتها البلاغية مع كلام العلماء فيها.¹

نسخه: 2

أما فيما يخص نسخ اللباب في علوم الكتاب، فقد وجدت منه أربع عشرة نسخة محفوظة في عدة مكتبات وهي كالتالي: نسخة واحدة محفوظة في المكتبة الظاهرية وهي مكتبة الأسد الآن في دمشق، واثنى عشرة نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية المسماة دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة، ونسخة واحدة محفوظة في مكتبة مدينة ملحقه بطوبقو سراي بإسطنبول.

¹ انظر: تفسير اللباب، ج 1، ص 251-262.

² انظر: تفسير اللباب في علوم الكتاب، ج 1، ص 72.

مفهوم التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين

من المعروف أن الجملة العربية لا تكون صحيحة سليمة إلا إذا كان كل ألفاظها في المكان المناسب حسب الرتبة النحوية، وهذا أهم المقومات للبلاغة والبيان أيضا. ففي الجملة الفعلية تقدم الفعل على الفاعل، ثم الفاعل على المفعول به، كما أن في الجملة الاسمية تقدم المبتدأ على الخبر، وللمتعلقات أيضا موقع خاص في الجملة، ولكن هذه العناصر في كثير من الأحيان قد تتقدم أو تتأخر حسب غرض المتكلم لتغير عليه المعنى الذي يريد، وهذا من ميزات اللغة العربية وخصوصياتها.

في بداية الأمر لا بد من تعريف لهذا التقديم والتأخير: التقديم هو مصدر قَدَم، قدمه جعله قَدَامًا. وقَدَّمَ الشيء إلى غيره: قَرَّبَه منه. ويقال: قَدَّمَ رجلك إلى هذا الأمر: أقبل عليه¹. وأخَّر عكس قَدَم.

أما مفهوم التقديم والتأخير اصطلاحا بلاغيا فهو التغير في الترتيب الطبيعي لأجزاء الجملة، لغرض بلاغي كزيادة الاهتمام أو القصر أو التشويق أو لضرورة شعرية.

في الحقيقة ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة العربية ليست متعلقة بالمسائل النحوية فحسب، بل هي متعلقة بالبلاغة بشكل أكبر. قد أعطى العلماء اهتماما كبيرا بها قديما وحديثا، منهم نحاة تناولوها من ناحية النحو، مثل إمام النحاة سييويه (ت: 180هـ) الذي قال "أن العرب إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم يبيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهملانهم ويعنيانهم، ولكنه لم يشر إلى دواعي هذا الاهتمام وما مثل لهذا"²، ومنهم بلاغيون يتكلمون عنه من ناحية البلاغة ويغوصون فيه حتى يبينوا المغزى الخفي وراء هذا التقديم، وهذا مثل إمام

¹ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ - 2004م، ص 720.

² انظر: الكتاب لسييويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ = 1988م. ج 1، ص 34.

البلاغيين عبد القاهر الجرجاني، فقال في كتابه دلائل الإعجاز: "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف. ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"¹.

قد ظهر أن القدماء حصروا عنايتهم بها فهذا أهم اختلاف بين النحاة والبلاغيين في تناولهم هذه الظاهرة، إلا أن دراسة البلاغيين تعتمد على القواعد النحوية الصحيحة وتطابقها، فعلم النحو يدرس هذه الظاهرة من ظاهرها، وعلم البلاغة يدرسها من داخلها. وقد اهتم كثير من العلماء بهذه الظاهرة اللغوية، وفيما يلي سنتناول كلام بعض النحاة والبلاغيين، لنعرف آراء هؤلاء العلماء في التقديم والتأخير بوجه عام.

ابن جني²:

ابن جني أول من تحدث عن التقديم والتأخير باستفاضة في كتابه الخصائص، فجعل فصلاً خاصاً بسم "فصل في التقديم والتأخير" في باب شجاعة العرب³.

¹ دلائل الإعجاز، ص 108.

² هو أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني، عالم نحوي كبير، وتاريخ ولادته مختلف عليه، والثابت والمتفق عليه أن ولادته كانت قبل سنة 330 هـ بالموصل، فنشأ وتعلم فيها، حتى بلغ في علوم اللغة العربية ما لم يبلغه إلا القليل. أما وفاته فتذهب الأغلبية العظمى من المصادر إلى أنه توفي في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر صفر سنة 392 هـ ما يوافق الخامس عشر من يناير سنة 1002 م. له مؤلفات ورسائل كثيرة أشارت إليها المصادر التراثية ما يقارب السبعين كتاباً. الخصائص من أشهرها. --- انظر: المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، ط 7، 1968م، دار المعارف، القاهرة، ص 265-267.

³ الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي نجار، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، سنة 1318هـ، ج 1، ص 364-368.

فالتقديم عنده ضربان: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار. الأول كتقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل تارة أخرى: كضرب زيدا عمرو، وزيدا ضرب عمرو. وكذلك الظرف؛ نحو قام عندك زيد، وعندك قام زيد. وكذلك الحال؛ نحو جاء ضاحكا زيد، وضاحكا جاء زيد. وكذلك الاستثناء؛ نحو ما قام إلا زيدا أحد.

ثم تكلم عن جواز تقديم الخبر على المبتدأ، نحو قائم أخوك، وفي الدار صاحبك. وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها، وكذلك خبر ليس، نحو زيدا ليس أخوك، ومنطلقين ليس أخوك.

كما أنه تحدث في جواز تقديم المفعول له على الفعل، نحو طمعا في برك زرتك. وعدم جواز تقديم المفعول معه على الفعل، نحو والطيارة جاء البرد، من حيث كانت هذه الواو واو العاطفة. ثم استمر كلامه بأنه كما لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل كذلك لا يجوز تقديم ما أقيم مقام الفاعل، ولا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول، ولا الصفة على الموصوف، ولا البدل على المبدل منه، ولا عطف البيان على المعطوف عليه، ولا العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه إلا في الواو وحدها، ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف كما لا يجوز تقديم الجواب على المجاب، شرطا كان أو قسما أو غيرهما.

وهنا نرى أن ابن جني في كلامه عن التقديم والتأخير لم يخرج عن دائرة القواعد النحوية ليبين لنا المعنى الخفي الذي يفيد هذا التقديم والتأخير.

ابن مالك:¹

التقديم والتأخير في العربية أحد الأساليب العربية المهمة في التعبير، فيقدم المسند على المسند إليه تارة، ويقدم المسند إليه على المسند تارة أخرى. وكذلك التقديم والتأخير بين

¹ هو محمد بن عبد الله بن مالك الكاظمي الجبائي المعروف بابن مالك، هو عالم لغوي كبير وأعظم نحوي في القرن السابع الهجري، ولد بالأندلس في سنة 600هـ، وهاجر إلى الشام واستقر بدمشق، ووضع مؤلفات كثيرة أشهرها الألفية التي عرفت بسم "ألفية ابن مالك". وقد توفي في دمشق سنة 672هـ.

المتعلقات وصاحبها. كما يوجد وجوب التقديم في بعض الأحوال أن هناك جواز التقديم في بعض الأحوال الأخرى. فابن مالك في ألفيته لم يخص فصلا في التقديم والتأخير، بل أنه تكلم عنه عند تناوله لموضوعات مختلفة، كمثال الخبر والفاعل وإلى آخره.

إن مما تكلم عنه في ألفيته كلامه عن كان وأخواتها¹:

وفي جميعها توسط الخبر أجزء، وكل سبقه دام حظر

ذكر ابن عقيل في شرحه أن قوله هذا يشير إلى أن أخبار هذه الأفعال إن لم يجب تقديمها على الاسم، ولا تأخيرها عنه، يجوز توسطها بين الفعل والاسم. فمثال وجوب تقديمها على الاسم: كان في الدار صاحبها. فلا يجوز ههنا تقديم الاسم على الخبر لئلا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة. ومثال وجوب تأخير الخبر عن الاسم: كان أخي ريفي، فلا يجوز تقديم الخبر لأنه لا يُعلم ذلك لعدم ظهور الإعراب. وكذلك سائر أفعال هذا الباب، يجوز توسط أخبارها بالشرط المذكور.

ثم أشار بقوله "وكل سبقه دام حظر" إلى أن كل العرب أو كل النحاة منع سبق خبر "دام" عليها.

ثم قال ابن مالك:

كذلك سبق خبر ما النافية فجيء بها متلوة لا تالية

فذكر ابن عقيل في شرحه بأنه يعني أنه لا يجوز أن يتقدم الخبر على ما النافية. من مفهوم كلامه أيضا أنه إذا كان النفي بغير "ما" يجوز التقديم، فتقول "قائما لم يزل زيد". ومن مفهوم كلامه أيضا جواز تقديم الخبر على الفعل وحده إذا كان النفي بما، نحو "ما قائما زال زيد".

1 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار التراث بالقاهرة، الطبعة العشرون

1300هـ = 1980م. ج 1، ص 271

ثم تحدث عن حكم خبر "ليس" بقوله:

ومنع سبق خبر ليس أصطفي

فقد ذكر ابن عقيل في شرحه بأنه منع تقديم خبر "ليس" عليها. وهذا مذهب الكوفيين¹.

ثم عندما تكلم عن "إنّ وأخواتها"، قال:

وراع ذا الترتيب، إلا في الذي كليت فيها أو هنا غير البذي²

أنه لا يجوز تقديم خبر إن وأخواتها على اسمها إلا إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً، فإنه لا يلزم تأخيرها، وتحت هذا قسمان:

أحدهما: أنه يجوز تقديمه وتأخيرها، وذلك نحو: "ليت فيها غير البذي" أو "ليت هنا غير البذي"، فيجوز تقديم "فيها وهنا" على "غير" وتأخيرها عنها.

والثاني أنه يجب تقديمه، نحو "ليت في الدار صاحبها." فلا يجوز تأخير "في الدار" لئلا يعود الضمير على المتأخر لفظاً ورتبة. وكذلك لا يجوز تقديم معمول الخبر على الاسم وإن كان المعمول ظرفاً أو جاراً ومجروراً³.

ثم تكلم ابن مالك في حكم الفاعل المتأخر عن فعله⁴، وحكم تأخير المفعول وتقديم الفاعل عليه⁵، وحكم المستثنى إذا تقدم على المستثنى منه⁶، وعدم تقديم الحال على صاحبه المجرور بالحرف ويتقدم على غيره⁷، ومتى يجوز تقديم الحال على العامل فيه ومتى يمنع ذلك،

¹ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 271-276.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 348.

³ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 349.

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 76.

⁵ المصدر نفسه، ج 2، ص 97.

⁶ المصدر نفسه، ج 2، ص 211.

⁷ المصدر نفسه، ج 2، ص 263.

وعدم جواز تقديم التمييز على العامل فيه¹.

كما أنه تحدث عن عدم تقديم معمول الصفة المشبهة عليها²، وعدم تقديم معمول فعل التعجب عليه³ وعدم تقديم "من" الجارة للفضول على أفعل التفضيل⁴.

من هنا نعرف أنه تكلم عن هذا الأسلوب من الناحية النحوية بدون النظر إلى ما وراءها من المعنى والمغزى. وهذا طبعا ليس مأخذا على هؤلاء النحاة بل عمل مهم جدا، لأنه يهتم بتقوم اللسان ويعصمه من الوقوع في اللحن.

ثم هناك نفر آخر من العلماء يدرسون المعنى وراء التقديم والتأخير في كلام العرب عامة وفي كلام الله عز وجل خاصة، ألا وهم البلاغيون الذين ما رضوا بكلام سيبويه إذ أشار إلى أن سبب التقديم والتأخير في الكلام هو الاهتمام والعناية فحسب. فبدأوا يشرحون هذه الظاهرة بشكل أشمل ليخرجوا منها الأسرار والحكم التي تعد جانبا مهما من جوانب المعجزة القرآنية الكبرى. فمنهم من تكلم عنها في كتبهم في علوم القرآن الكريم، ومنهم من تحدث عنها في كتبهم البلاغية الخاصة، كما أن منهم من تكلم عنها بتفصيل في تفاسيرهم للقرآن الكريم. سنختار ثلاثة منهم لنعرف كيفية تناولهم هذه الظاهرة الإعجازية المهمة.

الشيخ عبد القاهر الجرجاني:

في كتابه المشهور "دلائل الإعجاز" جعل الشيخ فصلا خاصا في التقديم والتأخير وفصل القول في هذا⁵، فكلامه في هذا أصبح المصدر المهم الذي استفاد منه العلماء بعده،

¹ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 2، ص 292.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 142.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 156.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 183.

⁵ دلائل الإعجاز، ص 106-146.

إما بتطبيق نظره في تفاسيرهم، وإما بنقل كلامه مباشرة في مؤلفاتهم البلاغية.

وقد عنون ذلك الفصل بـ"القول في التقديم والتأخير" ثم افتتحه بكلامه المشهور الذي كاد يصبح مذكورا على لسان كل عالم يتناول التقديم والتأخير بعده: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن..."، ثم أشار إلى أن التقديم على وجهين، الأول هو تقديم على نية التأخير، "وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه"¹، هذا كالمفعول به في هذه الجملة: ضرب عمرا زيدا، فالمفعول به في رتبته الأصلية متأخر عن الفاعل، ولكن هنا متقدم على الفاعل بدون تغيير حكمه في الإعراب، فهو مفعول به منصوب قبل التقديم وبعده، فلم يخرج بالتقديم عما كان عليه؛ والثاني هو تقديم لا على نية التأخير، هذا "أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه"²، هذا نحو ضربت زيدا وزيد ضربته، فتغير إعراب "زيد" مع تغييره من مفعول به منصوب إلى مبتدأ مرفوع.

ثم ذكر كلام سيبويه أن العلماء نسبوا سبب التقديم إلى العناية والاهتمام، حتى بين أن هذا الاهتمام لا يكفي، لأن هناك لا بد من مبعث خلف هذا الاهتمام والعناية. فشرح هذا بالتفصيل.

ثم تكلم عن مسائل الاستفهام بالهمزة والفعل الماضي، مثلا إذا قلت "أأنت ضربت زيدا" و"أضربت زيدا"، فالأول اسم مقدم لأنك تشك في الفاعل لا في الفعل، وأما الثاني فشكك في الفعل لا في الفاعل، فبهذا تقدم الاسم تارة وتأخر تارة أخرى.

ثم بين أن هذا التقديم لفائدة تقرير الفعل أو الفاعل، وإنكار له لم كان وتوبيخ لفاعله عليه.

¹ دلائل الإعجاز، ص 106.

² المصدر نفسه، ص 106

ثم بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل المضارع في الاستفهام، وشرحه وأسباب كل منها بالأمثل.

ثم تكلم عن التقديم والتأخير في النفي وفي الخبر المثبت الذي جعله قسمين: القسم الجلي وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعل دون واحد آخر، أو دون كل أحد. والقسم الثاني أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره لكي تباعده بذلك من الشبهة.¹

ثم تكلم عن تقديم المحدث عنه وذكر بأنه يفيد التنبيه والتحقيق وتأكيد الخبر كما أنه بين وجوه تقديم المحدث عنه ومعانيه، فجعله في الوعد والضمنان، وفي المدح. ثم تكلم عن تقديم المحدث عنه بعد واو الحال، وفي الخبر المنفي، وتقديم "مثل" و"غير" كالأمر اللازم.

ثم فصل القول في الأخير عن النكرة وتقديمه على الفعل في الاستفهام، وفي الخبر، ومثّل لهما.

هذا مجمل ما تناول الشيخ في التقديم والتأخير. وفي هذا الإجمال تفصيل شيق وثري أخذى بالعلماء والباحثين من بعده بترسم خطاه والنهل من معينه. الإمام جلال الدين السيوطي²:

لقد جعل السيوطي التقديم والتأخير في النوع الرابع والأربعين في كتابه الإتيقان في علوم

¹ دلائل الإعجاز، ص 128 – 129.

² هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى الأسىوطى المشهور باسم جلال الدين السىوطى. ولد فى القاهرة سنة 849هـ = 1445م، وتوفى فيها سنة 911هـ = 1505م. وهو من كبار علماء المسلمين، الإتيقان فى علوم الدين من أشهر مؤلفاته. --- انظر: موقع ويكيبيديا تحت الكلمة المفتاحية جلال الدين السىوطى، تاريخ الاطلاع: 2020- نوفمبر - 11.

القرآن باسم: النوع الرابع والأربعون في مقدمه ومؤخره¹.

وقد ذكر في بداية الأمر أنه قسمان، الأول ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عُرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح². ثم ذكر بعض الأمثلة في هذا وقد حفلت كتب السلف بهذا. وهذا تقدم في الحمل لا يتضح مغزى إلا بمعرفة موضع التقديم والتأخير، مثل ما أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾³، قال: هذا من مقادير الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة⁴. أي إن العذاب في الدنيا تقدم للعذاب في الآخرة.

وأخرج عن مجاهد في قوله ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾⁵، أي: أنزل على عبده الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا.

القسم الثاني من التقديم والتأخير عند الإمام السيوطي هو ما ليس كذلك، أي ليس كمثل النوع الأول. فقد ذكر الإمام السيوطي قول العلامة شمس الدين بن الصائغ⁶ الذي جعل أسباب التقديم وأسواره عشرة أنواع، ومثل لكل نوع من هذه العشرة. لكن سنتكلم

¹ انظر: الإتقان في علوم القرآن للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج 4، ص 1402-1411.

² الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج 4، ص 1402.

³ سورة التوبة، 55.

⁴ الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج 4، ص 1399.

⁵ سورة الكهف، 1-2.

⁶ هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجذامي المصري الأصل، ثم انتقل إلى دمشق. ولد تقريبا في 645هـ بمصر، كان أديبا فاضلا بارعا بالنظم والنثر، وعلم العروض والبديع والنحو واللغة. توفي في شهر شعبان من سنة 720هـ. --- انظر: موقع ويكيبيديا تحت الكلمة المفتاحية شمس الدين الصائغ، تاريخ الاطلاع: 2020-نوفمبر-11.

عنها عندما نتناول أسباب التقديم والتأخير¹.

اتضح من هذا أن الإمام السيوطي تناول هذا الموضوع تناولا بلاغيا، ولم يدخل في القواعد النحوية، ولم يتكلم عنها، بل تكلم عنه مستعيرا كلام العلماء السابقين. بعد استعراضنا لآراء بعض العلماء في التقديم والتأخير اتضح لنا أن التقديم والتأخير عند النحاة يكون في صورته الأساسية، فقد ذكروا آراءهم في دراستهم للتركيب النحوية بين الوجوب والجواز، وإن كان يشير بعضهم إلى سبب هذا التقديم وذاك التأخير، ولكنهم لم يتعمقوا بل اكتفوا بنسبة هذه الظاهرة إلى الاهتمام والعناية. أما البلاغيون فدخلوا هذا الموضوع مباشرة بدون النظر إلى وجوب التقديم وجوازه، بل اهتموا بتوضيح ما وراء هذا التقديم من أسباب وحكم، مع الأمثلة الكثيرة من القرآن الكريم أولا ثم من كلام العرب ثانيا، حتى تتضح لنا هذه الحقيقة، وهي أن القرآن بلغته وأسلوبه وبلاغته معجز، ولا يخفى على أحد من الباحثين أن عبد القاهر الجرجاني قد عمد إلى تأليف دلائل الإعجاز بهدف إثبات إعجاز القرآن الكريم، وقطعا ما نقصده هو الإعجاز البياني.

¹ الإتيان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج 4، ص 1402.

أنواع التقديم والتأخير

للتقديم والتأخير في كلام العرب أنواع، قد ذكرها العلماء في مؤلفاتهم المختلفة، وقد اختلف العلماء فيما بينهم عن عدد الأنواع، فعند شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني نوعان، وعند صاحب البرهان في علوم القرآن الإمام الزركشي أكثر من نوعين.

فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه المشهور دلائل الإعجاز أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم على نية تأخير وتقديم لا على نية التأخير.¹

أما النوع الأول: فهو كل شيء كان على حكمه مع التقديم، كتقديم المفعول على الفعل، مثل كلامنا: أخاك ضربت، والخبر على المبتدأ، مثل كلامنا: في القرآن فوائد كثيرة. ففي الجملة الأولى "أخاك" مفعول به وإن كان مقدما على الفعل والفاعل، أما في الجملة الثانية ف"في القرآن" خبر مقدم، فلم يتغير حكمه في الكلام مع تقديمه. فهما تقدما في الكلام لكن رتبتهما التأخير.

أما النوع الثاني: فهو تقديم لا على نية التأخير، ولكن يتغير حكم شيء إلى حكم آخر، هذا كمثل أن تقول رأيت زيدا وزيد رأيت، في الجملة الأولى "زيدا" مفعول به منصوب، وفي الجملة الثانية تقدم "زيد" مع تغيير إعرابه إلى المبتدأ المرفوع.

أما الإمام الزركشي² فقد ذكر في البرهان أن للتقديم والتأخير أنواعا كثيرة:

النوع الأول: هو ما قدم والمعنى عليه. ثم ذكر أن لهذا النوع مقتضيات كثيرة وعدها خمسا وعشرين.³

¹ انظر: دلائل الإعجاز، ص 138.

² هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله. ولد في القاهرة سنة 745هـ وتوفي في 794هـ. له مؤلفات في علوم كثيرة، ومن أشهرها البرهان في علوم القرآن.... انظر: البرهان في علوم القرآن له، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث بالقاهرة، ط 1، 2006م، ج 1، ص 9.

³ انظر: البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 239.

قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ¹، فتقدم الرسالة على النبوة لشرفها.

الثامن: بالغلبة والكثرة كقوله تعالى ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ²﴾، من يريد الدنيا كثير ومن يريد الآخرة قليل، فتقدم الكثرة على القلة.

التاسع: هو سبق ما يقتضي تقديمه، السياق يحدد، كما في قوله تعالى ﴿فَقَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ ۖ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا³﴾ تقدم الحكم مع أن العلم سبق الحكم، ولكن
عندما نعيد النظر إلى الآية السابقة سنعرف أن السياق يحدد تقدم الحكم هنا، ﴿وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ⁴﴾. فمن هذه الآية نعرف أن الله يتكلم عن حكمهما في الحرث فيقدم الحكم
على العلم. أما في هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁵﴾ فيحدد السياق تقدم العلم على
الحكم بقوله تعالى قبلها ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ⁶﴾.

العاشر: بمراعاة اشتقاق اللفظ، كقوله تعالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ
يَتَأَخَّرَ⁷﴾.

الحادي عشر: للحث عليه خيفة من التهاون به كقوله تعالى ﴿مِنْ بَغْدٍ وَصِيَّةٍ
يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ⁸﴾ فيه تقدم تنفيذ الوصية على وفاء الدين مع أن وفاء الدين سبق
الوصية، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها، وهذا بخلاف الدين.

¹ سورة الحج، 52.

² سورة آل عمران، 152.

³ سورة الأنبياء، 79.

⁴ سورة الأنبياء، 78.

⁵ سورة يوسف، 6.

⁶ سورة يوسف، 6.

⁷ سورة المائدة، 37.

⁸ سورة النساء، 11.

الثاني عشر: لتحقيق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصويره، كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾¹.

الثالث عشر: بالاهتمام عند المخاطب، كقوله ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾²، لفضل الصدقة على القريب واهتمام المخاطب بهم أكثر.

الرابع عشر: للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد، كقوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾³.

الخامس عشر: للتنبيه على أن السبب مرتب، كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْنَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾⁴، قدم الجباه ثم الجنوب ثم الظهر، لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل، ثم ينوء بجانبه، ثم يتولى بظهره.

السادس عشر: بالتنقل، كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً⁵، فيه تقدم ذكر المخاطبين على من قبلهم وقدم الأرض على السماء، هذا تنقل من الأقرب إلى الأبعد.

السابع عشر: بالترقي، كقوله تعالى ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أُنْدٌ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ﴾⁶، فإنه

¹ سورة مريم، 96.

² سورة الأنفال، 41.

³ سورة الأنعام، 100.

⁴ سورة التوبة، 35.

⁵ سورة البقرة، 21 - 22.

⁶ سورة الأعراف، 195.

سبحانه بدأ منها الأدنى لغرض الترقى، لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه.

الثامن عشر: بمراعاة الأفراد، ففي القرآن بعض الآيات سبق المفرد فيها الجمع، كقوله تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾¹، وقوله ﴿مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾².

التاسع عشر: بالتحذير منه والتنفير عنه كقوله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾³، ذكر الزنى مع الشرك وقدمه للتحذير منه والتنفير عنه بسبب قبح هذا الفعل وعظمة ذنبه.

العشرون: بالتخويف منه، كقوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ﴾⁴.

الحادي والعشرون: بالتعجب من شأنه، كقوله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁵، قال الزمخشري⁶: قدم الجبال على الطير، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق⁷.

الثاني والعشرون: بكونه أدل على القدرة، هذا كقوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ

¹ سورة الكهف، 46.

² سورة المؤمنون، 55.

³ سورة النور، 3.

⁴ سورة هود، 105.

⁵ سورة الأنبياء، 79.

⁶ هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467هـ - 528هـ)، وهو إمام كبير في الحديث والتفسير والنحو والبلاغة، له مؤلفات عظيمة في كل هذه العلوم. ومن أشهر مؤلفاته تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل المشهور بتفسير الكشاف أو تفسير الزمخشري. انظر: تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة 1430هـ/2009م، ج 1، ص 7.

⁷ انظر: تفسير الكشاف، ص 684.

بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ¹، فالمشي على البطن أدل على القدرة، ثم على رجلين، ثم على أربع أرجل.

الثالث والعشرون: بقصد الترتيب، كقوله تعالى في آية الوضوء، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾²، قال العلماء إن هذه الآية تدل على ترتيب الغسل في الوضوء.

الرابع والعشرون: بخفة اللفظ، قال الإمام الزركشي في هذا "وقد يكون تقديم الإنس على الجن من ذلك، فالإنس أخف لمكان النون والسين المهموسة."³

الخامس والعشرون: برعاية الفواصل، هذا كقوله ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾⁴، ولو قال صلوه الجحيم لأفاد المعنى، ولكن يفوت الجمع، ويقال إنه يفيد الاختصاص أيضا. فالتقدم في كثير من الأحيان له أكثر من فائدة.

في الحقيقة هذه الخمسة والعشرون مقتضيات تعتبر أيضا من أسباب التقدم ودواعيه، وإن كان الإمام الزركشي خص أسباب التقدم بفصل مستقل في كتابه البرهان. سندكرها في الموضوع بعد هذا.

النوع الثاني: للتقدم عند الإمام الزركشي هو ما قدم والنية به التأخير، وهو ما يدل عليه الإعراب، كتقدم المفعول على الفاعل في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁵. وكتقدم الخبر على المبتدأ في قوله ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَّانِعُهُمْ خُصُوفُهُمْ مِّنَ

¹ سورة النور، 45.

² سورة المائدة، 6.

³ البرهان، ج 3، ص 274.

⁴ سورة الحاقة، 30 - 31.

⁵ سورة فاطر، 28.

اللَّهِ¹. ومقتضياته الأخرى كثيرة.

هذان النوعان عند الإمام الزركشي هما نوعان عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ولكن عند الإمام الزركشي ثلاثة أنواع أخرى، وهي:

النوع الثالث: عنده قوله في سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ²﴾، في الآية الأولى ترتيب أصلي، وفي الآية الثانية تقدم الخبر؛ كذا في قوله ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى³﴾ وقوله ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى⁴﴾، في الآية الأولى قدم الجار والمجرور على الفاعل وفي آية أخرى آخر؛ وكذلك في قوله تعالى ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ⁵﴾ وقوله ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ⁶﴾، في هاتين الآيتين تقدم "هذا" وتأخيرها.

والنوع الرابع: عند الإمام الزركشي هو أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها لقصد أن يقع البداية والختم به للاعتناء بشأنه، وذلك كقوله:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا⁷﴾ إلى قوله ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ⁸﴾.

والنوع الآخر عنده هو أن يقع التقدم في موضع والتأخير في موضع آخر، واللفظ واحد والقصة واحدة للتفنن في الفصاحة، كما في قوله تعالى ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

¹ سورة الحشر، 2.

² سورة الجاثية، 36.

³ سورة يس، 20.

⁴ سورة القصص، 20.

⁵ سورة النمل، 68.

⁶ سورة المؤمنون، 83.

⁷ سورة الجمعة، 11.

⁸ سورة الجمعة، 11.

وَقُولُوا حِطَّةً¹ وقوله ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾².

هذه خلاصة القول للشيخين في أنواع التقديم، ولكن أرى أن كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في جعل التقديم نوعين يشمل الكل. أما الأنواع عند الإمام الزركشي سوى النوعين الأولين إما تستطيع أن تدخل تحت النوع ما قدم لا على نية التأخير وإما تدخل تحت النوع ما قدم على نية التأخير. فكل هذه الأنواع عند الإمام الزركشي ليس أنواعا جديدة في الأصل!

¹ سورة البقرة، 58.

² سورة الأعراف، 161.

أسباب التقديم والتأخير

للتقديم والتأخير في القرآن الكريم أسباب كثيرة، درسها بعض العلماء، منهم جلال الدين السيوطي الذي تناولها في كتابه الإتيان في علوم القرآن، فعدها عشرة بالأشارة إلى أنه تناول هذا الأسباب من العلامة شمس الدين بن الصائغ، فقال: "وأما تفاصيل أسباب التقديم وأساره فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع."¹

الأول: التبرك، منه قوله ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾²، فيها تقدم اسم الله تعالى في الأمور ذوات الشأن.

الثاني: التعظيم، كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾³، و﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾⁴.

الثالث: التشريف، كتقدم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - على سائر الأنبياء المذكورين في نحو قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾⁵، فيها تقدم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - على الأنبياء الآخرين - عليهم السلام جميعا.

الرابع: المناسبة، وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾⁶، فيه تقدم نفي الإسراف لأن الإسراف في الإنفاق، وهذا

¹ الإتيان في علوم القرآن، ص 1402.

² سورة آل عمران، 18.

³ سورة الأحزاب، 56.

⁴ سورة التوبة، 62.

⁵ سورة الأحزاب، 7.

⁶ سورة الفرقان، 67.

يناسب سياق الكلام المتقدم. وإما مناسبة لفظ هو من التقدم والتأخر، هذا كقوله ﴿لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾¹، و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾².

الخامس: الحث عليه والحض على القيام به، حذرا من التهاون به، كتقدم الوصية على الدين في قوله ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾³، مع أن الدين مقدم عليها شرعا.

السادس: السبق، وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد، كقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾⁴؛ أو باعتبار الإنزال كقوله ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾⁵؛ أو باعتبار الوجوب والتكليف كقوله ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾⁶؛ أو بالذات، نحو ﴿مَثْنَى وَثِلَتَ وَرُبَاعَ﴾⁷.

السابع: السببية، ومنه تقدم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة، لأن العبادة سبب حصول الإعانة.

الثامن: الكثرة، كقوله ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾⁸.

التاسع: الترقى من الأدنى إلى الأعلى، نحو قوله ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَنْطِشُونَ بِهَا﴾⁹، فاليد أشرف من الرجل، تبدأ الآية بالأدنى لغرض الترقى.

¹ سورة المدثر، 37.

² سورة الروم، 4.

³ سورة النساء، 11.

⁴ سورة الحج، 75.

⁵ سورة الأعلى، 19.

⁶ سورة البقرة، 158.

⁷ سورة النساء، 3.

⁸ سورة التغاين، 2.

⁹ سورة الأعراف، 195.

العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى، كقوله ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾¹.

بعد ذكر هذه الأسباب العشرة أشار الإمام السيوطي إلى أن الإمام الزركشي زاد أسبابا أخرى، فمن هنا نعرف أن السيوطي تأثر بالزركشي في هذا الموضوع، وهذه الأسباب العشرة عنده في الأصل من مقتضيات النوع الأول للتقدم عند الزركشي.

أما الأسباب عند الإمام الزركشي فهي كثيرة أيضا ولكن مختلفة.²

أحدها: أن يكون أصله التقدم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقدم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها، نحو جاء زيد راكبا.

الثاني: أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾³، فإنه لو أخر قوله "من آل فرعون" فلا يفهم أنه منهم.

الثالث: أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة، كقوله ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾⁴، فالآية قبله ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، وبعده ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، لو أخر "في نفسه" عن "موسى" لفات تناسب الفواصل.

الرابع: لعظمه والاهتمام به، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾⁵، فبدأ بالصلاة لأنها أهم.

الخامس: أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، وذلك كقوله تعالى

¹ سورة الكهف، 49.

² البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 233-237.

³ سورة غافر، 28.

⁴ سورة طه، 67.

⁵ سورة البقرة، 43.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾¹، فيه تقدم المحرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا مطلق الجعل.

السادس: أن يكون التقدم لإرادة التبيكيت والتعجيب من حال المذكور، كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾²، والأصل "الجن شركاء"، وقدم لأن المقصود التوبيخ وتقدم الشركاء أبلغ في حصوله.

السابع: الاختصاص، وذلك بتقدم المفعول والخبر والظرف والجار والمحرور ونحوها على الفعل. كقوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي لا نعبد إلا أنت.

قد ذكر كل من الشيخين أنواع التقدم وأسبابه حسب رأيهما، من هنا نجد أن أنواع التقدم وأسبابه تتداخل عند مختلف العلماء، فبعض الأسباب عند عالم هي ضمن الأنواع عند عالم آخر. والعلماء بعدهما أيضا تكلموا كثيرا عن أسباب التقدم وأنواعه ولكن معظمهم أخذوا كلامهما ولم يقدموا شيئا جديدا يذكر.

للتقدم في أي آية أسباب وفوائد وحكم كثيرة دائما، وهذا سنوضحها عند تناولنا لكلام ابن عادل فيها.

¹ سورة الأنعام، 100.

² سورة الأنعام، 100.

الباب الأول: التقديم الصناعي

قسمت هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: التقديم في عمدة الكلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تقديم المسند إليه

المبحث الثاني: تقديم المسند

الفصل الثاني: التقديم في متعلقات الكلام، وفيه مبحثان أيضا:

المبحث الأول: تقديم المتعلقات على عاملها

المبحث الثاني: تقديم المتعلقات بعضها على بعض

فاتحة:

الجملة العربية المفيدة كلام تام يدل على معنى أقله نسبة شيء إلى شيء إثباتاً أو نفياً، أو إنشاء ربط بين شيء وشيء آخر يكفي لإنشائه القول، مثل أمر التكوين أو الأمر بفعل ما. فالتقديم الصناعي مقصود به هنا التقديم والتأخير في عناصر الجملة، وأقل ما تتكون منه الجملة عنصران هما المسند إليه والمسند، ثم يلحق بهما قيودها لأركان الجملة ومتعلقاتها. فمقصود التقديم والتأخير في هذا الباب إما التقديم في أساس الكلام وهو المسند إليه كالمبتدأ في الجملة الاسمية، والمسند كالفعل في الجملة الفعلية؛ وإما التقديم في متعلقات الكلام كالتقديم في المتعلقات المختلفة وتقديم المتعلقات على عاملها.

الفصل الأول: التقديم في عمدة الكلام

الجملة العربية تتألف من جزأين أساسيين ويسمى كل منهما عمدةً، وهما
المسند إليه والمسند. فجعلت هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: تقديم المسند إليه

المبحث الثاني: تقديم المسند

المبحث الأول:

تقديم المسند إليه عند ابن عادل

توطئة ومهاد:

قبل أن ندخل في كلام ابن عادل ينبغي لي أن أسلط الضوء على مفهوم المسند إليه وغرضه بإيجاز غير محل.

المسند إليه يسمى أيضا المحكوم عليه، أو الخبر عنه، أما تعريفه فهو ما أسند إليه حكما من الأحكام ويكون واجب الذكر إلا إذا دل عليه دليل.

له عدة مواضع:¹

1. فاعل: جاء زيد، "زيد" مسند إليه.
2. نائب الفاعل: ضُرب زيد.
3. المبتدأ الذي له خبر: زيد كريم.
4. مرفوع المبتدأ المكتفي به عن الخبر (فاعل الوصف): أصائم زيد؟
5. ما كان أصله مبتدأ، كاسم كان وأخواتها، أو اسم إن وأخواتها: كان زيد كريما، إن زيدا كريما.
6. المفعول به الأول للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر: ظننت زيدا كريما.
7. المفعول به الثاني للأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل: أعلم المدير الموظفين زيدا مجتهدا.

أما أهم أغراض تقلسم المسند إليه في القرآن فهي:²

¹ لخصها الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، ص 120.

² انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، الدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان بجامعة اليرموك، الطبعة العاشرة، 2005م، ج 1، ص 212-228.

1. التشويق، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ¹، فيها تقدم المسند إليه "أكرمكم"، فالمخاطبون يستعجلون معرفة الخبر، ولا سيما أنهم كانوا يحسبون أن الكرم هو البذل، ولكنه هنا شيء آخر، إنه التقوى.

2. الاختصاص، نحو قولك: ما أنا غششت في الامتحان، إذا أردت تخصيص نفي الغش عن نفسك فقط، لا عن الآخرين.

3. التعميم، فإذا أردت التعميم، قدمت المسند إليه، نحو قولك كل المسلمين لم يقوموا بواجبهم. وهذا دائما يأتي مع أدوات العموم: كل، وجميع، وعامة، وكافة، وما يشبهها.

4. تقوية حكم المسند، وهذا إذا كان كلمة "مثل" أو "غير"، نحو قولنا: مثل زيد لا يكذب. أبلغ وأقوى في الحكم من قولنا: لا يكذب زيد، فكأننا قلنا: إن من اجتمعت فيه هذه الصفات، وإن كان يتحلى بهذه الأخلاق التي اجتمعت لك، والتي تتحلى بها، إن مثل هذا لا يمكن أن يصدر منه الكذب، فقولنا: لا يكذب زيد، هذه مجرد دعوى، أما قولنا: مثل زيد لا يكذب، فهي دعوى ودليلها معها. بعد ذكر هذه الأغراض ندخل في موضوع هذا المبحث مباشرة.

فالآن ندرس كيف تناول ابن عادل تقدم المسند إليه.

بعد قراءتي لكل كلامه في هذا الموضوع وجدت أنه تكلم كثيرا عن تقدم الاسم على الفعل كمبتدأ في الجملة الاسمية بدلا من تأخيرها عن الفعل كفاعل في الجملة الفعلية. فحلل سبب هذا التقديم والغرض وراء هذا مستعينا بكلام العلماء الآخرين مثل الزمخشري. فمن هذه الآيات التي فيه تقدم المسند إليه:

¹ سورة الحجرات، 13.

1. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَمَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَنَهُنَّ دَرَجَةٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾¹

هذه الآية بيان لحكم المرأة بعد التطليق بعدما ذكر الله الإيلاء وأن الطلاق قد يقع. بدأت هذه الآية بالجملة الاسمية وهي "المطلقات يتربصن" من مبتدأ وخبر، ولم يقل "تتربصن المطلقات" من فعل وفاعل، فتساءل ابن عادل عن الحكمة في هذا قائلا: "فما الحكمة من ترك ذلك، والعدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية، وجعل المطلقات مبتدأ، ثم قوله "يتربصن" إسناد للفعل إلى ضمير المطلقات، ثم جعل هذه الجملة خبرا عن ذلك المبتدأ"².

في هذه الآية تقدم المسند إليه على الجملة الفعلية، شرح ابن عادل فائدة هذا التقديم مستعينا بكلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه: دلائل الإعجاز، فقال: "إنك إذا قدمت الاسم، فقلت زيد فعل، فهذا يفيد من التأكيد والقوة ما لا يفيد قولك: فعل زيد؛ وذلك لأن قولك: زيد فعل قد يستعمل في أمرين:

أحدهما: أن يكون لتخصيص ذلك الفعل بذلك الفاعل، قولك: أنا أكتب في المهم الفلاني إلى السلطان، والمراد دعوى الإنسان الانفراد.

الثاني: ألا يكون المقصود الحصر، بل إن تقدم ذكر المحدث عنه بحديث كذا لإثبات ذلك الفعل له، كقولهم: هو يعطي الجزيل، ولا يريد الحصر، بل أن يحقق عند السامع أن إعطاء الجزيل دأبه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

¹ سورة البقرة، 228.

² تفسير اللباب، ج 4، ص 112.

شَيْنًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ¹، وليس المراد تخصيص المخلوقية بهم، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾²، وقول الشاعر: (أبو التمام -- من بحر الطويل)

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لَيْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَاهُمَا³

والسبب في حصول هذا المعنى عند تقديم ذكر المبتدأ: أنك إذا قلت: عبد الله، فقد أشعرت بأنك تريد الإخبار عنه، فيحصل في النفس شوق إلى معرفة ذلك، فإذا ذكرت ذلك الخبر، قبله العقل بتشوق، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق، ونفي الشبهة⁴.

معنى كلام ابن عادل هذا أن تقديم المسند إليه هنا لا يفيد الحصر، بل لإثبات ذلك الفعل للفاعل، كأن الله يقول إن التبرص دأب المطلقات، ففيه تشجيع لامتنال أمر الله. ثم أشار إلى فائدة أخرى لهذا أنه يحصل في النفس شوق إلى معرفة ذلك، فذكر المسند إليه أولاً يثير في النفوس الشوق إلى ما حدث لهذا المسند إليه، فيكون هذا أبلغ في تحقيق مراد الله تبارك وتعالى في الإثبات والتشجيع.

وبسبب هذا التقديم أصبحت الجملة من الفعلية إلى الاسمية، وقال المفسرون إن الخبر هنا بمعنى الأمر⁵، فأمر الله ذلك بلفظ الخبر، كأنهن قد امتثلن الأمر بالتبرص. فأجاب ابن عادل على هذه المسألة بإجابة على وجهين:

¹ سورة النحل، 20.

² سورة المائدة، 61.

³ هذا كلام أبي تمام من ديوانه الحماسة.

⁴ تفسير الباب، ج 4، ص 113.

⁵ انظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضي القضاة الإمام إبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفي سنة 982هـ. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج 1، ص 225؛ وتفسير ابن عادل، ج 4، ص 111.

الأول: أنه تعالى لو ذكره بلفظ الأمر، لكان ذلك يوهم أنه لا يحصل المقصود، إلا إذا شرعت فيها بالقصد والاختيار، وعلى هذا التقدير: فلو مات الزوج ولم تعلم المرأة حتى انقضت العدة، وجب ألا يكون ذلك كافيا في المقصود، لأنها إذا أمرت بذلك لم تخرج عن العهدة إلا إذا قصدت أداء التكليف، فلما ذكره بلفظ الخبر، زال ذلك الوهم، وعرف أنه متى انقضت هذه القروء، حصل المقصود سواء علمت بذلك أو لم تعلم، وسواء شرعت في العدة بالرضا أو بالغضب.

الثاني: قال الزمخشري: التعبير عن الأمر بصيغة الخبر يفيد تأكيد الأمر، والإشعار بأنه مما يجب أن يتعلق بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودا، ونظيره قولهم في الدعاء رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة، كأنها وجدت الرحمة فهو يخبر عنها¹.

ابن عاشور² صاحب تفسير التحرير والتنوير³ أيضا قال في هذا: "وجملة ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾⁴ خبرية مراد بها الأمر، فالخبر مستعمل في الإنشاء وهو مجاز فيجوز جعله مجازا مرسلا مركبا، باستعمال الخبر في لازم معناه، وهو التقرر والحصول." ثم استمر ابن عاشور في شرح هذا بكلام التفتازاني والزمخشري. وهو تشبيه ما هو مطلوب

¹ انظر: تفسير ابن عادل، ج 4، ص 112؛ تفسير الكشاف، ص 132.

² هو محمد الطاهر بن عاشور، ولد في 13 رجب 1879م وتوفي في 12 أغسطس 1973م، عالم وفقه تونسي، ولي حاكما بالمجلس المختلط، ثم مفتيا ثم شيخ الإسلام المالكي، كما أنه كان أول شيخ لجامعة الزيتونية. أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين وهي غاية في الدقة العلمية، وهي تنقسم إلى قسمين: العلوم الإسلامية والعربية وأدائها. منها "مقاصد الشريعة الإسلامية" و"حاشية التنقيح للقرافي" و"أصول العلم الاجتماعي في الإسلام" و"موجز البلاغة" و"كتاب الإنشاء والخطابة" وإلخ. ومن أجلها تفسيره "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، وهو مشهور بـ"تفسير التحرير والتنوير". انظر: موقع ويكيبيديا تحت الكلمة محمد الطاهر ابن عاشور، تاريخ الاطلاع: 28 سبتمبر 2020.

³ تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى 1984م.

⁴ سورة البقرة، 228.

الوقوع بما هو محقق الوقوع في الماضي، بأن يكون الخبر مستعملاً في المعنى المركب الإنشائي، بعلاقة اللزوم بين الأمر وبين الامتثال¹.

من هنا نستطيع أن نعرف أولاً بأن ابن عادل وابن عاشور وهؤلاء العلماء الذين جاؤوا بعد الزمخشري وقد تأثروا به في هذه المسألة؛ ثم إن كل هذه الفوائد ترجع إلى تقديم الاسم -- تقدم المسند إليه لتكون الجملة من الفعلية إلى الخبرية. فمعظم آراء ابن عادل أخذها من العلماء السابقين إلا أنه شرحه وجمع هذه الآراء ليبين هذه الفوائد من كل جوانبها ويساعدنا في فهم كلام الله فهما شاملاً كاملاً.

هذا التقدم ليس للحصر، وهناك تقدم المسند إليه للحصر والاختصاص، وهذا أكثر في القرآن كمثال ما في هذه الآية:

2. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَافْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَافْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝۲۰﴾².

في هذه الآية "والله يقدر الليل والنهار"، فيها تقدم اسم الجلالة "الله" وهو مسند إليه في هذه الجملة. أشار ابن عادل إلى أن الزمخشري ذهب إلى أن تقدم اسمه عز وجل هنا

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 388.

² سورة المزمل، 20.

للاختصاص كما ذكر أن أبا حيان¹ نازعه في هذا، ثم رجح الرأي الأول².

فقال الزمخشري في الكشف، إنه لا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده، وتقدم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه "يقدر"، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير. والمعنى أنكم لا تقدرون عليه³.

ونازعه أبو حيان في ذلك، وقال بعد ذكر كلام الزمخشري هذا: "هذا مذهبه، وإنما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقدم المبتدأ، ولو قلت: زيد يحفظ القرآن⁴". فوافق أبو حيان الزمخشري أن هنا قصر تقدير الليل والنهار على الله وحده لا في غيره، ولكن هذا الاختصاص عنده ليس من تقدم المبتدأ، بل مفهوم من سياق الكلام. قال ابن عادل أيضًا في هذا: وقيل الاختصاص في الآية مفهوم من السياق⁵.

بيد أن ابن عادل جمع كليهما في شرح تقدم اسم الجلالة هنا، فلم يقل أيهما أرجح عنده، ولكن ذكر هذين الرأيين ليبين لنا أن التقدم هنا للاختصاص ولكن هذا المعنى مفهوم من السياق.

¹ هو العلامة محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي الجياني النفري، ولد في غرناطة سنة 654هـ. طلب العلم في غرناطة ثم في تونس ثم في مصر حتى أصبح عالمًا كبيرًا في علوم اللغة والقرآن. عمر أبو حيان في القاهرة حتى توفي في منزله خارج باب البحر بظاهر القاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة 745هـ، ودفن بمقابر باب النصر شمال القاهرة. له أعمال كثيرة وأشهرها وأعظمها هو تفسيره الضخم البحر المحيط الذي يعد قمة التفاسير التي عينت بالنحو. انظر: طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ج 2، ص 287.

² تفسير ابن عادل، ج 19، ص 482.

³ تفسير الكشف، ص 1153.

⁴ تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى 1413هـ = 1993م، ج 8، ص 358.

⁵ تفسير ابن عادل، ج 19، ص 482.

ففي بداية هذه الآية تحدث الله عن قيام النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعض الصحابة في الليل في أوقاته المختلفة. ثم مباشرة تكلم الله عن أنه مقدر هذه الأوقات في الليل والنهار. فأتى بالجملة الاسمية بتقديم المسند إليه، كأنه يقول إنه وحده يقدر لا غيره، لو قلنا "يقدر الله" فلا يفهم منها هذا المعنى، بل يفهم منها أن غير الله يقدر أيضا في هذا مع قدرة الله.

فمن هنا نعرف أن جمع كلاميهما أصح، أي تقديم اسمه عز وجل للاختصاص ولكن السياق يساعد في توضيح هذا المعنى.

في الحقيقة إن تقديم اسم الجلالة أو مثله - وهو المسند إليه - على الخبر الفعلي للاختصاص في القرآن كثير، خاصة في بيان قدرة الله عز وجل وصفاته، مثل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾¹، فالله وحده يبسط ويقدر؛ و﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾²، فالله وحده يملك قدرة الاختصاص برحمته لمن يشاء؛ و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾³، تقدم المسند إليه على المسند الفعلي هنا لإفادة الاختصاص: أي نحن نرزقكم وإياهم لا أنتم ترزقون أنفسكم ولا ترزقون أبناءكم؛ و﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾⁴، تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا يفيد القصر للرد على دعوى المشركين أن الأصنام شاركت الله في العلم، ففيه إعلام بأن الله وحده يعلم بخلاف الأصنام فهي لا تعلم.

¹ سورة الرعد، 26.

² سورة البقرة، 105.

³ سورة الأنعام، 151.

⁴ سورة النحل، 17-20.

الأمثلة كثيرة، ولكن ابن عادل لم يتكلم عن مثل هذه الجملة كثيرا، لكن تحدث في آية أخرى عن تقديم المسند إليه للاختصاص:

3. ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾¹

هذه الآية تتكلم عن فضل الله ونعمه، بداية من البحر، مروراً بما في البر، وصولاً إلى ما في سماء الليل. قد أشار ابن عادل عند هذه الآية إلى أن تقديم المتعلق "بالنجم" والمسند إليه "هم" للاختصاص، وهو يشرح هذا بكلام الزمخشري، فقال: "قال الزمخشري: فإن قلت: قوله تعالى: وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه "النجم" مقحم فيه "هم" كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً"².

من الواضح أن ابن عادل هنا كلامه يوافق كلام الزمخشري، لأنه بعد ذكر كلام الزمخشري لم ينقد كلامه، فهذا يدل على أنه يقبل كلامه بأن التقديمين في هذه الآية للاختصاص.

ولكن هل هذا يفيد الاختصاص عند العلماء الآخرين أيضاً؟ ثم ما فائدة هذا الاختصاص؟

رأى أبو حيان أن تقديم المتعلق والمسند إليه هنا للاعتناء ولأجل الفاصلة فقط³، فلم يذكر أنه للاختصاص.

¹ سورة النحل، 14 - 16.

² تفسير الباب، ج 12، ص 34.

³ تفسير البحر المحيط، ج 5، ص 467.

وقال أبو السعود¹ إنه صرف النظم عن سنن الخطاب وتقدم النجم والضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم. فهو أخذ كلام الزمخشري، ثم أضاف إليه بالقول في فائدة هذا الاختصاص².

وقال الآلوسي³ إن تقدم المجرور للفاصلة والضمير المنفصل للتقوي، كما أنه أيضاً يقبل رأي الزمخشري في أن تقدم الجار والضمير للتخصيص وكأن الله يقول بالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، كأنهم يختصون بهذه النعمة فالاعتبار بها وأوجب عليهم الشكر عليها وألزم لهم التوحيد⁴. فتقدم الضمير والمسند عنده ليس للتخصيص والفاصلة فحسب، بل أيضاً للتقوي. ثم أنه أورد كلام أبي السعود في فائدة هذا الاختصاص بدون الإشارة إلى مصدره.

أما ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فنازع الزمخشري وابن عادل والعلماء

¹ هو قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة 901 هجرية، هو فقيه وقاضي ومفسر، ولد في قسبة لأسكليب العثمانية في نهايات القرن التاسع الهجري، هو من أكبر العلماء في عصره، له تفسير كبير يسمى "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المشهور بتفسير أبي السعود، وبسبب هذا التفسير العظيم دعي أبو السعود بلقب "خطيب المفسرين". ---- انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض، ط 1، 1404هـ/1984م، ج 2، ص 107.

² تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 5، ص 104.

³ هو محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي، ولد في سنة 1217 هـ، وتوفي في سنة 1270 هـ، نسبه يرجع إلى الحسن بن علي بن أبي الطالب، هو مفسر محدث فقيه أديب وشاعر. من أهم وأشهر مؤلفاته تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المعروف بتفسير الآلوسي أو تفسير روح المعاني. ---- انظر: موقع ويكيبيديا تحت كلمة أبو الثناء الآلوسي، تاريخ الاطلاع: 28 سبتمبر 2020.

⁴ تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لخاتمة المحققين وعمدة المدققين مرجع أهل العراق ومفتي بغداد العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة 1270 هـ. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج 14، ص 117.

الآخرين في سبب تقديم المسند إليه، فقال: وتقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله تعالى "هم يهتدون" لمجرد تقوي الحكم، إذ لا يسمح المقام بقصد القصر وإن تكلفه في الكشف¹.

هذه خلاصة كلام العلماء في التقديم في هذه الآية، منها نستطيع أن نعرف آراءهم المختلفة، بالإضافة إلى مدى التأثير والتأثر بعضهم بعضا. فمنهم من قال إنه للاهتمام والتخصيص، منهم من قال إنه للتقوي. ولكن عندي رأي آخر، حيث إن التقديم هنا يفيد كل هذه الفوائد، لأن الاختصاص يأتي من الاهتمام والتقوي للحكم لا يعارض هذا الاختصاص بل يساعد على بيان المعنى والمغزى خلف هذا التقديم كما بينه أبو السعود ونقل عنه الألوسي. لأن الإنسان يكسب الفائدة من القرآن ما يناسب علمه وعقله وفهمه وخلفيته وميله. لعل هذا أيضا جانب من جوانب خصائص لغة القرآن وإعجازه. فلا مانع للقرآن أن يفيد كل هذه الفوائد، وإن كان بينها تعارض في الظاهر أحيانا، ولكن بعد أن نعرف أن هذا من خصائص لغة القرآن، ونتأمل فيه قليلا سنعرف أنه ليس هنالك تعارض بل فيه تكامل.

هذا كلام عن التقديم في هذه الآية، وكلام ابن عادل والعلماء الآخرين فيه، فهو تأثر بكلام الزمخشري كثيرا فالتقديم عنده للاختصاص ولكن لم يذكر من أين جاء هذا الاختصاص وسببه.

الآن نلفت النظر إلى آية أخرى:

4. ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ؟﴾²

في هذه الآية تقدم المسند إليه "أنت" على الخبر الفعلي أيضا بعد أداة الاستفهام "أ"،

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 14، ص 122.

² سورة الأنبياء، 62.

فهنا لهذا التقديم فائدة أخرى بعد الاختصاص الذي تفيده الآية السابقة.

فقد تكلم الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز عن التقديم مع الاستفهام بالهمزة والفعل الماضي فقال إن "تقديم عنصر من الجملة بفائدة لا تكون تلك فائدة مع التأخير. إذا قلت "أفعلت" فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل وغرضك من الاستفهام أن تعلم أنه فعل أم لا، وإذا قلت "أأنت فعلت" بتقديم الاسم، كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه"¹. فبتقديم المسند إليه يتغير المعنى.

قال ابن عادل في تفسيره لهذه الآية: "من حيث المعنى أن الاستفهام إذا دخل على الفعل أشعر بأن الشك إنما تعلق به هل وقع أم لا؟ من غير شك في فاعله. وإذا دخل على الاسم وقع الشك فيه هل هو الفاعل أم غيره؟ والفعل غير مشكوك في وقوعه، بل هو واقع فقط." ثم مثل لقوله: "إذا قلت أقام زيد؟ كان شكك في قيامه. وإذا قلت أزيد قام؟ وجعلته مبتدأ كان شكك في صدور الفعل منه أم من عمرو."²

فمن الواضح أنه تأثر بالشيخ عبد القاهر الجرجاني في شرح تقديم المسند إليه في هذه الآية التي كاد كلامه فيها أن يطابق كلام شيخه إلا أنه أتى بمثال مختلف.

هذا يعني أن قوم إبراهيم - عليه السلام - كانوا يعرفون أنه هو كاسر الأصنام، فسألوه هل هو الذي فعله، فجاء بتقديم الاسم بدلا من تقديم الفعل للتقرير بالفاعل، إذ ليس مراد القوم الإقرار بالفعل كان أم لا، بل للإقرار بأنه منه، فأجاب إبراهيم: "بل فعله كبيرهم هذا"، ولو كان الإقرار بالفعل لكان الجواب "فعلت أو ما فعلت". فتبين من هنا فائدة تقديم الاسم مع الاستفهام. وبهذا يخرج الاستفهام عن أصله، فهو يفيد التقرير، لا يفيد الاستعلام. الألوسي في تفسيره لهذه الآية أشار إلى أن بعض العلماء ذهبوا إلى أن يكون الاستفهام

¹ دلائل الإعجاز، ص 110-111.

² تفسير اللباب، ج 13، ص 531.

هنا على أصله إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام. فرد على هذا الكلام قائلا: "بأنه يدل عليه ما قبل الآية وهو أنه عليه السلام قد حلف بقوله "تالله لأكيدن أصنامكم" إلخ، ثم لما رأوا كسر الأصنام قالوا "من فعل هذا" إلخ. فالظاهر أنهم قد علموا ذلك من حلفه وذمه الأصنام. ... إنهم بعد المفاوضة في أمر الأصنام وإخبار بعضهم بعضا بما يقنعه بأنه - عليه السلام - هو الذي كسرها تيقنوا كلهم أنه الكاسر فأنت فعلت ممن صدر للتقرير بالفاعل"¹. وهذا التقرير لا يتم إلا بتقديم المسند إليه فتظهر أهمية هذا التقديم من هنا في هذه الآية.

ثم جواب إبراهيم - عليه السلام - لهم "بل فعله كبيرهم هذا" أيضا يساعد في إظهار فائدة هذا الاستفهام والتقديم، أي التقرير بالفاعل. كيف؟ هذا كما تحدث عنه ابن عادل بأنه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته له، يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهن ومثل لذلك بما لو قال لك صاحبك فيما كتبت بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أنت كتبت هذا فقلت له بل كتبت أنت، وكان قصدك بهذا تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك وإثباته لصاحبك².

فجواب إبراهيم من هذا الباب، إنما مراده عليه السلام بهذا الأسلوب كما قال أبو السعود توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم وتوبيخهم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادتهم الأصنام.

فخلاصة القول في هذه الآية، أن تقديم المسند إليه بعد الاستفهام للتقرير بالفاعل لبعض الفوائد، والسياق فيه يلعب دورا كبيرا في مساعدة بيان هذا المعنى فمن السياق نعرف أن الاستفهام ليس على أصله بل للتقرير كما أن جواب إبراهيم عليه السلام أيضا يؤيد هذا

¹ تفسير روح المعاني، ج 17، ص 65.

² تفسير اللباب، ج 13، ص 533.

المعنى.

فلغة القرآن ومعانيه سلسلة جميلة لا تنقطع، فكل قسم مستقل بنفسه وفي الوقت نفسه مكمل للأقسام الأخرى. أما السياق فهو حبل يجعل كل قسم كسلسلة واحدة كاملة.

وهذا في القرآن كثير، كما في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ فَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾¹. قد شرح ابن عادل تقديم وبين أن "أنت" مع أداة الاستفهام "أ" هنا ليس للاستعلام لأن الله علام الغيوب، بل يراد به التقرير والتوبيخ لغير عيسى - عليه السلام -، لأولئك الذين اتخذوه وأمه إلهين.²

ومنها أيضا آية، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾³، فيها تقدم الضمير "أنتم" على الخبر الفعلي بعد أداة الاستفهام. أشار ابن عادل إلى أن هذا التقدم كمثّل التقديم في آية المائدة. فقال: "وقوله" "أأنتم أضللتم ... أم هم ضلوا" إنما قدم الاسم على الفعل كما تقدم في قوله "أأنت قلت للناس"⁴.

وهناك تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قصة إبراهيم - عليه السلام - في موضع آخر:

5. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمَيِّتُ قَالَ إنا أَخِي وَأُمَيِّتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

¹ سورة المائدة، 116.

² تفسير اللباب، ج 7، ص 618.

³ سورة الفرقان، 17.

⁴ تفسير اللباب، ج 14، 469.

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ¹

هذه الآية تقص لنا قصة إبراهيم - عليه السلام - مع ملك يقال له نمرود، فحاجه في الله تعالى وقدرته عز وجل. فاستدل إبراهيم عليه السلام على الإله بالإحياء والإماتة، لأن الإحياء والإماتة من القدرة التي لا يشاركه أحد فيما، فهذا دليل قوي للغاية، فقال إبراهيم - عليه السلام - له "ربي الذي يحيي ويميت". ولكن الملك المتكبر يرى أنه يشارك الله فيهما فرد "أنا أحيي وأميت".

في قول إبراهيم - عليه السلام - تقدم اسم "ربي" على الاسم الموصول فأخبر عن "ربي" بالموصول بها، أما قول الملك فهو أخبر عن "أنا"، فيه تقدم المسند إليه على المسند الخبر الفعلية. فقال ابن عادل في هذين القولين بأن الإخبار بالموصول يفيد الاختصاص بالمخبر عنه، والإخبار بالخبر الفعلية لا يفيد ذلك لأن الملك لم يدع لنفسه الخسيسة الخصوصية بذلك².

في الحقيقة كلامه هذا مأخوذ من صاحب الدر المصون، فقد قال السمين الحلبي³: "وربي الذي يحيي مبتدأ وخبر في محل نصب بالقول. قوله أنا أحيي مبتدأ وخبر منصوب المحل بالقول أيضا. وأخبر عن أنا بالجملة الفعلية، وعن ربي بالموصول بها، لأنه في الإخبار

¹ سورة البقرة، 258.

² تفسير اللباب، ج 4، ص 240.

³ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 297-298.

³ اسمه أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود، كنيته أبو العباس، ويلقب بشهاب الدين أو الشهاب الحلبي المعروف بالنحوي أو السمين الحلبي، وهذا أشهر ألقابه. لم تذكر لنا المصادر العربية شيئا عن زمن ولادته إلا أن أغلب المؤرخين لا يختلفون في مكان نشأته حلب وزمن وفاته، فقد توفي في القاهرة سنة ست وخمسين وسبع مئة للهجرة النبوية الشريفة. كان ينتقل في بلاد مصر بين بيئاتها العلمية، كان أحد أكابر اصحاب أبي حيان الأندلسي، من أشهر مؤلفاته تفسيره الدر المصون. انظر: طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ج 1، ص 101.

بالموصول يفيد الاختصاص بالمخبر عنه بخلاف الثاني، فإنه لم يدع لنفسه الخسيسة الخصوصية بذلك.¹

أبو حيان في البحر المحیط أيضا أشار إلى هذا قائلا: "لما ذكر إبراهيم أن ربي الذي يحيي ويميت، عارضه الكافر بأنه يحيي ويميت، ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه كان يدل على الاختصاص لربك، ليس كذلك، بل أنا مشاركته في ذلك."²

من هذه الأقوال نستطيع أن نعرف أن تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا ليس للاختصاص، بل لتقوية الحكم. لأننا نعرف من السياق أنه لا ينكر قول إبراهيم - عليه السلام -، لكن التعبير عن مشاركته في الإحياء والإماتة، وإبراهيم عليه السلام طبعاً لا يرى هكذا فيأتي بضمير أنا مقدماً لتقوية هذا الحكم أمام إبراهيم عليه السلام.

هذه الفائدة لم يشر إليها ابن عادل، فهو في شرحه لمثل هذه الآيات تأثر بصاحب الدر المصون كثيراً كما أنه نقل كثيراً عن العلماء خاصة حينما تكلم عن الخصائص البيانية. وأحياناً يشير إلى مصدر كلامه وأحياناً أخرى لم يشر.

هناك آية أخرى فيها تقدم المسند إليه للاختصاص، وهي

6. ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لِلْأُمْسَكُتُمْ خَشْيَةٌ
الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾³

مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الكفار قالوا قبل هذا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا
مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا
﴿4﴾، فبين الله في هذه الآية أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم، ولا

¹ تفسير الدر المصون للسمين الحلي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج 2، ص 552.

² البحر المحیط، ج 2، ص 299.

³ سورة الإسراء، 100.

⁴ سورة الإسراء، 90-91.

أقدموا على إيصال النفع إلى أحد، وعلى هذا التقدير فلا فائدة في إسعافهم لما طلبوا.¹
في هذه الآية تقدم المسند إليه بعد لو، لأن "لو" تدخل على الفعل دائما فهنا تأتي ضمير منفصل أنتم قبل الفعل لا بد من فائدة، وفقا لقول ابن عادل في شرح هذه الفائدة: "قال أهل المعاني: إن التقدم بالذكر يدل على التخصيص، فقوله "لو أنتم تملكون" دليل على أنهم هم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل. فكان المعنى أنهم ملكوا وحدهم من النعم خزائن لا نهاية لها، ليقيمون على الشح، وهذه مبالغة عظيمة في وصفهم بهذه الصفة.²
فذكر هنا أن رأيهم رأي أهل المعاني، فمن هؤلاء أهل المعاني؟

منهم الزمخشري، الذي قال إن هذا التقديم فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ.³

ومنهم فخر الدين الرازي،⁴ الذي قال: "فهو أن التقدم بالذكر يدل على التخصيص فقوله "أنتم تملكون" دلالة على أنهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل. خزائن فضل الله ورحمته غير متناهية فكان المعنى أنكم لو ملكتم من الخير والنعم خزائن لا نهاية لها لبقيتهم على الشح وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء.⁵
من هنا تبين لنا أن ابن عادل قد استفاد من سابقه كما أن العلماء بعده مثل أبي

¹ تفسير اللباب، ج 12، ص 394-395.

² تفسير اللباب، ج 12، ص 396.

³ تفسير الكشاف، ص 609.

⁴ هو محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري، ولد سنة 544هـ وتوفي سنة 604هـ. هو إمام مفسر فقيه أصولي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في الفيزياء والرياضيات والطب والفلك. له تفسير مشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب وتفسير الرازي. ---- انظر تفسير الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، ج 1، ص 3.

⁵ تفسير الفخر الرازي، ج 21، ص 64.

السعود¹ والطاهر بن عاشور، استفادوا منهم أيضا، هكذا أحوال العلماء المفسرين: تأثر بعضهم ببعض. فلنذكر كلام ابن عاشور في هذا لفهم فائدة هذا التقديم بشكل أحسن: "و شأن لو أن يليها الفعل ماضيا في الأكثر أو مضارعا في اعتبارات، فهي مختصة بالدخول على الأفعال، فإذا أوقعوا الاسم بعدها في الكلام وأخروا الفعل عنه فإنما يفعلون ذلك لقصد بليغ: إما لقصد التقوي والتأكيد للإشعار بأن ذكر الفعل بعد الأداة ثم ذكر فاعله ثم ذكر الفعل مرة ثانية تأكيد وتقوية؛ مثل قوله "وإن أحد من المشركين استجارك" وإما للانتقال من التقوي إلى الاختصاص، بناء على أنه ما قدم الفاعل من مكانه إلا لقصد طريق غير مطروق. وهذا الاعتبار هو الذي يتعين التخريج عيله في هذه الآية ونحوها من الكلام البليغ. والمعنى: لو أنتم اختصاصتم بملك خزائن رحمة الله دون الله لما أنفقتم على الفقراء شيئا. وذلك أشد في التقرير وفي الامتنان بتخييل أن إنعام غيره كالعدم.²

خاتمة:

هذه خلاصة ما تناوله ابن عادل من تقدم المسند إليه في القرآن الكريم، فلم يتكلم عنه كثيرا بالنسبة إلى الأنواع الأخرى من التقديم، ولكن من هذه الأمثلة نعرف أنه تكلم عنه بتفصيل، لا يكتفي بالإشارة إلى أن التقديم للاهتمام، بل فصل القول في سبب هذا الاهتمام وفائده في الآية القرآنية، كما أنه تأثر كثيرا بالعلماء السابقين، مثل عبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسمين الحلبي، وأبي الحيان، ومحمد الرازي فخر الدين.

¹ تفسير أبي السعود، ج 5، ص 197.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 15، ص 223.

المبحث الثاني: تقديم المسند

توطئة ومهاد:

التعريف بالمسند:

المسند لغة هو اسم مفعول من أسندَ، يسمى المحكوم به أو المخبر عنه في علم النحو والصرف، قد يكون له متعلقات أو ما في معناه مثل: مصدر، اسم الفاعل، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، الظرف. أما تعريفه اصطلاحاً فهو ما تضمن حكماً مسنداً إلى اسم تقدم عليه أو تأخر عنه، ويكون واجب الذكر إلا إذا دل عليه دليل.

مواضع المسند:¹

1. الفعل: مثل قام في قولك: قام زيد.
 2. اسم الفعل: مثل شتان بمعنى افترق، في قولك: شتان بين العالم والجاهل.
 3. خبر المبتدأ، مثل جميل في قولك: البيت جميل.
 4. المبتدأ الذي يكتفي بمرفوع، مثل ضارب في قولك: أضراب أنت صاحبك؟
 5. ما أصله خبر المبتدأ، مثل جميلاً في كان البستان جميلاً، وجميل في إن البيت جميل.
 6. المفعول الثاني أو الثالث من الأفعال التي تنصب مفعولين أو ثلاثة، مثل جميلاً في وجدت هذا البستان جميلاً، ومثل كبيرة في أعلمت أخي مشكلته كبيرة.
 7. المصدر النائب عن الفعل الأمر، مثل إحساناً في الآية القرآنية: وبالوالدين إحساناً.
- فالمسند في الجملة أصله التقديم أحياناً والتأخير أحياناً أخرى. سنركز في بحثنا هذا على المسند الذي أصله التأخير ويتقدم لأسباب وأغراض متعددة.
- قد لخص السكاكي دواعي تقدم المسند إلى الداعين الرئيسيين: تقوي الحكم

¹ لخصها الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،

والتخصيص،¹ إذا كان الأصل فيه التأخير، ومن أهم الدواعي في تقديمه أربعة:

الداعي الأول:

تخصيص المسند بالمسند إليه، أي قصر المسند على المسند إليه، فلا يكون لغيره، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾². في هذه الآية جملتان اسميتان، قدم فيهما المسند على المسند إليه، هما: " له الحمد في الأولى والآخرة "، و " له الحكم ". والأصل فيهما تقدم المسند إليه، وقدم فيهما المسند لفائدة التخصيص بمعنى القصر، يعنى اختص الله بكل الحمد وبكل الحكم، أي أن كل الحمد وكل الحكم مقصوران عليه عز وجل، لا يكونان إلى غيره.

وكذلك قول الله عز وجل في جنات النعيم: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١) بَيْضَاءَ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٢) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنَزَّفُونَ﴾³

ففي هذه الآية جملة: " لا فيها غول " فيها قدم المسند هو " فيها " المتعلق بخبر محذوف مقدر، وآخر المسند إليه وهو " غول " لإفادة التخصيص، أي خمر الجنة مخصوصة بنفي الغول عنها بخلاف خمر الدنيا، فنفي الغول مقصور على خمر الجنة لا يتعداها إلى غيرها من الخمر، وهي خمر الدنيا.

والآيات القرآنية التي فيها تقدم المسند للاختصاص كثيرة، مثل ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

¹ انظر: مفتاح العلوم، السكاكي المتوفى 626هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ/1987م، ص 221-222.

² سورة القصص، 70.

³ سورة الصافات، 45-47.

اللَّهُ¹، فيها تقدم المسند "لله" لتخصيص "ما في السماوات وما في الأرض" لله تعالى وحده. وكذلك ﴿وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ² عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ³ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ⁴﴾²، و﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ⁵ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ⁶ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ⁷﴾³، وغيرها.

الداعي الثاني:

التنبية على الخبرية، أي التنبية من أول الأمر على أنه خبر لا نعت، إذا كان تأخيره قد يوهم ابتداء أنه نعت للمسند إليه. لأن الخبر والصفة متقاربان، والذي يصلح أن يكون صفة قد يصلح ليكون خبراً. إن الخبر أقوى من الصفة في الدلالة، لأن الخبر ركن الجملة والصفة ليست كذلك، فإذا جعلنا شيئاً خبراً فهو أدل على شأنه وخطره. ومن ناحية أخرى أن الصفة لا تتقدم على الموصوف، ولكن الخبر قد يكون يتقدم على المبتدأ.

منه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ⁴﴾⁴، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ⁵﴾⁵. في هاتين الآيتين "لكم" خبران مقدمان.

الداعي الثالث:

التشويق، وقد يتقدم المسند للتشويق لمعرفة المسند إليه، ويكثر هذا الداعي في المدح والوعظ.

الداعي الرابع:

¹ سورة البقرة، 284.

² سورة الأنعام، 73.

³ سورة القصص، 28.

⁴ سورة البقرة، 36.

⁵ سورة البقرة، 179.

أن يكون في المسند ما يدعو إلى التفاؤل بالخير أو التشاؤم من الشر، ويريد موجه القول المبادرة بما يحدث في نفس المتلقي من التفاؤل أو التشاؤم.

فهذه هي أهم الأغراض التي يقدم من أجلها المسند. في تفسير الباب ذكر ابن عادل كثيرا من تقدم المسند، وما وراءه من الأغراض والفوائد.

فمن الآيات التي تكلم فيها تقدم المسند:

1. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹

هذه الآية تتكلم عن ختم الله تعالى على قلوب المنافقين وأسماعهم وأبصارهم، فقال ابن عادل أن في هذه الآية تقديمين للمسند، الأول: وعلى أبصارهم غشاوة؛ الثاني: ولهم عذاب عظيم.

في الجملة الأولى تقدم الخبر "على أبصارهم" وهو المسند على المبتدأ "الغشاوة" وهو المسند إليه. قال ابن عادل أن "غشاوة" مبتدأ، وجاز الابتداء بها لأن النكرة متى كان خبرها ظرفا أو حرف جر تاما، قدم عليها جاز الابتداء بها، ويكون تقدم الخبر حينئذ واجبا، لتسويغه الابتداء بالنكرة، والآية من هذا القبيل، وهذا بخلاف قوله تعالى ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾²، ويتبدأ بما بعده، وهو "وعلى أبصارهم غشاوة"، فـ "على أبصارهم" خبر مقدم، و"غشاوة" مبتدأ مؤخر.³

ابن عادل تكلم عن تقدم المسند في هذه الجملة من ناحية النحو، فتقدم الخبر هنا تقدم واجب، ليكون الابتداء بالنكرة صحيحا.

¹ سورة البقرة، 7.

² سورة الأنعام، 2.

³ تفسير الباب، ج 1، ص 321.

في الحقيقة هذا الكلام نقل من صاحب الدر المصون السمين الحلبي،¹ فشرح السمين الحلبي هذا التقديم من ناحية النحو فقط بدون ذكر فائدة هذا التقديم، وكذلك ابن عادل. والعلماء بعدهما مثل الآلوسي أيضا رأى هذا الرأي، فقال: " والجمهور على أن على أبصارهم خبر مقدم لغشاوة والتقديم مصحح لجواز الابتداء بالنكرة مع أن فيه مطابقة الجملة قبله لأنه تقدم الجزء المحكوم به فيها وهذا كذلك."²

فابن عادل نقل هذا الشرح من الآخرين بدون إشارة إلى فائدة هذا التقديم، أما صاحب التحرير والتنوير فقال إن تقديم قوله " وعلى أبصارهم " دليل على أنه هو الخبر. ثم أيضا أشار إلى هذا لتسوية الابتداء بالنكرة فلو كان قوله " وعلى سمعهم " هو الخبر لاستغني بتقديم أحدهما وأبقى الآخر على الأصل من التأخير فقل: وعلى سمعهم غشاوة وعلى أبصارهم.³

أما الجملة الثانية " ولهم عذاب عظيم "، كما قال ابن عادل أن فيها خبرا مقدما فيتعلق بمحذوف، و" عذاب " مبتدأ مؤخر، و" عظيم " صفة. والخبر هنا جائز التقديم، لأن للمبتدأ مسوغا وهو وصفه ونظيره: وأجل مسمى عنده، من حيث الجواز.⁴

هذا الكلام أيضا نقله ابن عادل مباشرة من السمين الحلبي. كما أن كليهما لم يذكر فائدة هذا التقديم أيضا. في الحقيقة علم البلاغة يركز في هذه المسألة على التقديم جوازا، أما التقديم وجوبا فلا يهتم به علماء البلاغة كثيرا، فهم دائما يتكلمون عنه من ناحية النحو فقط مثل الجملة الأولى في هذه الآية، لأن التقديم وجوبا دائما لا يكون وراءه سبب بلاغي يذكر. أما التقديم جوازا معناه أنه يجوز تقديمه ويجوز تأخيره، فلماذا هنا التقديم دون التأخير؟

¹ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 111.

² تفسير روح المعاني، ج 1، ص 136.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 258.

⁴ تفسير اللباب، ج 1، ص 328.

هكذا نال اهتمام الدارسين فبدأوا يبحثون ما وراءه من فوائد بلاغية.

أما في هذه الجملة الثانية فيوجد التقسيم جوازا، فما فائدته؟ لم يجب عليه ابن عادل ولا السمين الحلبي، ولكن هل هناك عالم ذكره أو أشار إليه؟

فقد ذكر الألوسي أنه يجوز أن يكون تقديمه للتخصيص، فلا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد¹. فلماذا هذا التخصيص؟ فقد ذكر الله أن الكفار على قلوبهم وسمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فلهم وحدهم عذاب لا غيرهم، لزيادة معنى التوبيخ والتنديد كأن الله يقول هذا العذاب تستحقونه أنتم بسبب عنادكم في الكفر، فوصف العذاب بأنه عظيم أيضا يعزز هذا المعنى.

فهذا قول في تقديم المسند في هذه الآية، الآن نأتي إلى آية أخرى، وهي:

2. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾²

قبل هذه الآية تكلم الله تعالى عن المؤمنين الذين أخلصوا في دينهم والكفار الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا، ثم ذكر الله عز وجل في هذه الآية المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فهم أخطر الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر بإيمانهم بأفواههم بشكل مموه وهم أشد خطرا على المجتمع المسلم.

قال ابن عادل في تفسيره لهذه الآية، أن " من الناس " خبر مقدم و " من يقول " مبتدأ مؤخر³. ثم قال في فائدة هذا الخبر أنه تفصيل معنوي، لأنه تقدم ذكر المؤمنين، ثم ذكر الكافرين، ثم عقب بذكر المنافقين، فصار نظير التفصيل اللفظي، نحو قوله: " ومن الناس من

¹ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 137.

² سورة البقرة، 8.

³ تفسير اللباب، ج 1، ص 327.

يعجبك¹، " ومن الناس من يشترى²، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن، وكافر، ومنافق³.

في الحقيقة هذا الكلام مأخوذ من أبي حيان، فقد قال أبو حيان: " وسأل سائل ما معنى 'ومن الناس من يقول' ومعلوم أن الذي يقول هو من الناس فكيف يصلح لهذا الجار والجرور وقوعه خبر للمبتدأ بعده، فأجيب بأن هذا تفصيل معنوي، لأنه تقدم ذكر المؤمنين، ثم ذكر الكافرين، ثم أعقب بذكر المنافقين، فصار نظير التفصيل اللفظي في قوله ومن الناس من يعجبك، ومن الناس من يشري نفسه، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق، كما فصلوا إلى من يعجبك قوله ومن يشري نفسه⁴.

تقدم الخبر " من الناس " وهو المسند هذا الأسلوب كثير في القرآن، كما ذكر في كلام ابن عادل من المثالين، هناك آيات كثيرة فيها تقدم الخبر هكذا، نحو: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾⁵، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ﴾⁶، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾⁷، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۖ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾⁸، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ

¹ سورة بقرة، 204.

² سورة لقمان، 6.

³ تفسير اللباب، ج 1، ص 330.

⁴ تفسير البحر المحیط، ج 1، ص 182.

⁵ سورة البقرة، 165.

⁶ سورة البقرة، 200.

⁷ سورة الحج، 11.

⁸ سورة العنكبوت، 10.

مُنِيرٌ¹، وغيرها.² فلماذا استعمل الله تعالى هذا الأسلوب في تعبير عن شيء ما؟ فما هذا الشيء؟ وما هذه الفائدة؟ قد أشار ابن عادل إلى أن هنا تقديم الخبر ثم تكلم عن فائدة الخبر فقط، فلم يجب عن هذه الأسئلة بشكل واضح، إذن فما إجابات هذه الأسئلة؟

قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: "وقوله من الناس خير مقدم لا محالة ... إن القصد إخفاء مدلول الخبر عنه كما تقول قال هذا إنسان وذلك عندما يكون الحديث يكسب ذما أو نقصان ... وقد كثر التقديم والتأخير في مثل هذا التركيب لأن في تقديمه تنبيها للسامع على عجيب ما سيذكر، وتشويقا لمعرفة ما يتم به الإخبار ولو أخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بأن ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من إنسان.³

لا شك أن التشويق والتنبيه الذين أشار إليهما ابن عاشور غرض من أغراض تقديم المسند على المسند إليه، لأن في المسند إليه يمثل هذا التركيب أمرا مهما دائما يثير شوق الناس ورغبتهم في معرفة حقيقته واهتمامهم بشأنه، وهذا يساعد الناس في فهم هذا الأمر ويدفعهم إلى قبوله وبقائه في نفوسهم، في فعل أهل النفاق المذموم وحالتهم الشنيعة.

ثم أشار ابن عاشور إلى أن هذا التقديم ليس للاختصاص، بل للإفادة أن فاعل هذه الحباث من الناس لثلا يظن المخاطب أنه من غير الناس لشناعة فعلهم وهذا ليس قصد الآية، لو كان قصد الآية هكذا كان تأخيرها أولى. فيقع اهتمام الناس في المنافقين وفعلهم القبيح، لا جنسهم.⁴

فمن قول ابن عاشور نحصل على إجابات لما سلف ذكره من أسئلة بأن هذا

¹ سورة لقمان، 20.

² والآيات التي فيها تقديم "من الناس" أيضا: سورة البقرة، 204، 207؛ سورة الحج، 3، 8، 11؛ سورة لقمان، 6؛ سورة فاطر، 28.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 259-260.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص

الأسلوب كثيرا ما يستعمل في أهل الضلال والفسوق، خاصة في المنافقين، والآيات التي ذكرناه آنفا تدل على هذه النكتة، للتشويق إلى استعمال المبتدأ كأن الله لحالتهم من الشناعة يستحيي أن يصرح بموصوفه حتى يثير تعجب المخاطب، في ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمتهم أمر كبير.

اتضح من هذا أن دور ابن عادل في موضع تقديم المسند على المسند إليه قليل، فهو ذكر أن هنا تقديمًا وتحدث عن فائدة الخبر ثم لم يتكلم أكثر من هذا. ولكن العلماء الذين جاؤوا بعده ذكروا فائدة التقديم في مثل هذا التركيب.

الآن نأتي إلى آية أخرى، وهي:

3. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾¹

قال ابن عادل إن " في قلوبهم مرض " الجار والمجرور خبر مقدم واجب التقديم. ولم يتكلم عن فائدة هذا التقديم².

هذا الكلام أخذه أيضا من صاحب الدر المصون السمين الحلبي الذي لم يشر هنا إلى فائدة تقديم المسند أيضا³. فلا بد لمثل هذا التقديم فائدة، لو لا هذا التقديم لكان المبتدأ هو المقدم، فما تلك الفائدة؟

أشار إلى تلك الفائدة الطاهر بن عاشور بقوله: يجوز كون هذه الآية بيانا لجواب سؤال متعجب ناشئ عن سماع الأحوال التي وصفوا بها قبل في قوله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾⁴ فإن من يسمع أن طائفة

¹ سورة البقرة، 10.

² تفسير اللباب، ج 1، ص 241.

³ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 129.

⁴ سورة البقرة، 9.

تخدع الله تعالى وتخدع قوما عديدين وتطمع أن خداعها يتمشى عليهم ثم لا تشعر بأن ضرر الخداع لاحق بها لطائفة جدية بأن يتعجب من أمرها المتعجب ويتساءل كيف خطر هذا بخواطرها فكان قوله في قلوبهم مرض بيانا وهو أن في قلوبهم خللا تزايد إلى أن بلغ حد الأفن. ثم قال لهذا السبب قدم الظرف وهو في قلوبهم للاهتمام لأن القلوب هي محل الفكرة في الخداع فلما كان المسئول عنه هو متعلقها وأثرها كان هو المهتم به في الجواب. وتنوين مرض للتعظيم. وأطلق القلوب هنا على محل التفكير كما تقدم عند قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم.¹

فرأى ابن عاشور أن تقدم الخير المسند على المسند إليه هنا للاهتمام وسبب الاهتمام هو أهمية القلوب في التفكير والخداع، وبهذا تشبع رغبة المخاطب في معرفة سبب خداعهم لأنفسهم وتعجبهم فيه.

في الحقيقة مثل هذه الحال كثيرة عند تناول ابن عادل لتقديم المسند، أي إنه أشار إلى أن هنا تقدم المسند ولكن بدون ذكر سببه وفائدته. ولكن من الممكن أن نعرف إجابات هذه الأسئلة من شروح العلماء الآخرين.

في آيات كثيرة أخرى فقد أشار ابن عادل كذلك إلى تقدم المسند بدون شرح سببه وفائدته، منها، من تلك الآيات على سبيل المثال، قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۖ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾².

في قوله " أن لهم جنات " تقدم المسند خير " أن "، قال ابن عادل في هذا: "

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 279.

² سورة البقرة، 25.

الجنات اسم أن، ولهم خبر مقدم، ولا يجوز تقديم الخبر أن وأخواتها إلا ظرفاً أو حرف جر¹. فهو تكلم عن هذا التقديم من ناحية النحو فحسب وكلامه هذا أيضاً نقل من الدر المصون². كما أن أبا حيان رأى أن تقديم المسند " لهم " للاختصاص، وتقديم الخبر هنا أكد من تقديم المخبر عنه لقرب عود الضمير على " الذين آمنوا " فهو أسر للسامع، والشائع أنه إذا كان الاسم نكرة تعين تقديمه³. هذا يعني أن الجنات للذين آمنوا وعملوا الصالحات وحدهم لا لغيرهم، ثناءً عليهم وتشجيعاً لهم على العمل الصالح. و من الواضح أن ابن عادل ما تأثر به في هذه المسألة كما تأثر بالسمين الجلي.

ثم آية ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁴.

في قوله " لكم في الأرض مستقر " تقديم الخبر على المبتدأ " مستقر "، أشار ابن عادل إلى أن هنا كلامين، أولهما هو أن " لكم " خبر مقدم، و " في الأرض " متعلق به الخبر من الاستقرار؛ وثانيهما أن " في الأرض " خبر مقدم، و " لكم " متعلق بما يتعلق به هو من الاستقرار. ولكن على كل حال هنا تقديم الخبر على المبتدأ، فقال: " ولكم خبر مقدم وفي الأرض متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار. وتعلقه به على وجهين: أحدهما: أنه حال. والثاني: أنه غير حال، بل كسائر الظروف ويجوز أن يكون في الأرض هو الخبر، ولكم متعلق بما يتعلق به هو من الاستقرار، لكن على أنه غير حال، لئلا يلزم تقديم الحال على عاملها المعنوي، على أن بعض النحويين أجاز ذلك إذا كانت الحال نفسها ظرفاً، أو حرف جر كهذه الآية، فيكون في لكم أيضاً الوجهان، قال بعضهم : ولا يجوز أن يكون في الأرض

¹ تفسير اللباب، ج 1، ص 449.

² تفسير الدر المصون، ج 1، ص 211.

³ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 255.

⁴ سورة البقرة، 36.

متعلقا بـ " مستقر "، سواء جعل مكانا أو مصدرا، إما كونه مكانا فلأن أسماء الأمكنة لا تعمل، وأما كونه مصدرا فلأن المصدر الموصول لا يجوز تقديم معموله عليه¹. هذا كمثل هذه الآية تماما: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²، فقوله " لكم " يجوز أن يكون خبرا و " في القصاص " متعلق بالاستقرار الذي تضمنه " لكم " ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من حياة، لأنه كان في الأصل صفة لها، فلما قدم عليها نصب حالا؛ ويجوز أن يكون " في القصاص " هو الخبر، و " لكم " متعلق بالاستقرار المتضمن له³. فابن عادل أيضا تناول هذه المسألة من ناحية النحو في هاتين الآيتين بدون الدخول في البلاغة. أما فائدة هذين التقديمين فقد بينتها عند الحديث عن دواعي تقديم المسند سابقا، وهي التنبيه على الخبرية، أي التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت، فـ " لكم " في الجملتين خبران لا صفتان.

ثم آية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁴.

في هذه الآية تقديمان للمسند، الأول: " لله "، والثاني: " فتم وجه الله ". ولكن في تفسير اللباب أشار ابن عادل إلى التقديم الثاني فقط، فقال: " و " ثم " خبر مقدم و " وجه الله " رفع بالابتداء، و " ثم " اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مثل هنا وهنا بتشديد النون⁵. أبو السعود أيضا قال مثل هذا الكلام، فقال في تفسيره إن " ثم " اسم الإشارة للمكان

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 571.

² سورة البقرة، 179.

³ تفسير اللباب، ج 3، ص 228.

⁴ سورة البقرة، 115.

⁵ تفسير اللباب، ج 2، ص 415.

البعيد خاصة مبني على الفتح ... وهو خبر مقدم و" وجه الله " مبتدأ¹. أما تقديم المسند الأول " لله " فلم يشرحه كلاهما. ولكن ابن عاشور في تفسيره ذكر أن تقديم الخبر " لله " للاختصاص أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عبادة الله المخلصين².

ثم آية ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾³.

في هذه الآية تقديم الخبر المسند " له "، قال ابن عادل إن " له " خبر مقدم و" ما " مبتدأ مؤخر⁴، بدون الإشارة إلى فائدة هذا التقديم وهو الاختصاص، أي كل ما في السماوات والأرض لله تعالى وحده لا سواه.

ثم آية ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِمَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁵.

قال ابن عادل إن جمهور القراء على تنوين " كل "، وتنوينه للعوض من المضاف إليه، والجار خبر مقدم، و" وجهة " مبتدأ مؤخر⁶. وفي الوقت نفسه أشار ابن عادل إلى أن هناك رأياً آخر في هذه الجملة، فقال إن لكل وجهة متعلق بقوله: فاستبقوا الخيرات أي: فاستبقوا الخيرات لكل وجهة، وإنما قدم على العامل للاهتمام به، كما تقدم المفعول⁷.

¹ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 150.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 683.

³ سورة البقرة، 116.

⁴ تفسير اللباب، ج 2، ص 419.

⁵ سورة البقرة، 148.

⁶ تفسير اللباب، ج 3، ص 58.

⁷ المصدر نفسه، ج 3، ص 59.

ثم آية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾¹.

قال ابن عادل إن " لآيات " اسم " إن " والجار خبر مقدم، ودخلت اللام على الاسم لتأخره عن الخبر، ولو كان موضعه لما جاز ذلك فيه². فلم يبين سبب هذا التقديم، ولكن ابن عاشور بينه فقال: " فإن هنا مجرد الاهتمام بالخبر للفت الأنظار إليه، ويحتمل أنهم نزلوا منزلة من ينكر أن يكون في ذلك آيات³. بعد ذكر الوجدانية لله تعالى في الآية السابقة فأقام الله في هذه الآية الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم إليها. فجاء الله في هذه الآية بخبر مقدم وهو بمنزلة الدلائل الواضحة التي للفت الأنظار إليها ولتفكر فيها مباشرة بعد الدعوى.

ثم آية ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۚ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁴.

في هذه الآية عدد من القراءات، ذكر ابن عادل بأن الجمهور قرأوا برفع " البر " وحمزة، وحفص عن ابن عاصم بنصبه، فقراءة الجمهور على أنه اسم " ليس " و " أن تولوا " خبرها

¹ سورة البقرة، 164.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 133.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 76.

⁴ سورة البقرة، 177.

في تأويل مصدر، أي: ليس البر توليتكم ... وأما قراءة حمزة وحفص فـ " البر " خبر مقدم و " أن تولوا " اسمها في تأويل مصدر ... وتقدم خبر " ليس " على اسمها قليل¹. فهذا دخل في علم القراءات وعلم النحو، وهذان ليسا من موضوعنا فلا داعي هنا لتفصيل القول في هذا التقدم أيضا.

ثم آية ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾².

أشار ابن عادل إلى أن " أولئك " مبتدأ وجملة " لهم نصيب " خبره، في هذه الجملة الخبرية " لهم " خبر مقدم و " نصيب " مبتدأ مؤخر. كما ذكر أن هنا قولاً آخر بأن يجوز كون " لهم " خبر " أولئك " و " نصيب " فاعل به، لما تضمنه من معنى الفعل لاعتماده³. ولكن على كل حال هنا في هذه الآية تقدم المسند على المسند إليه. أما فائدة التقدم عندي فهي للاختصاص والتفاوت بالنصيب. لأن هذه الآية تتكلم عن من يريد الدنيا والآخرة معا بأن لهم نصيب مما كسبوا، بعد ذكر من يريد الدنيا وحدها بأن ليس له في الآخرة من خلاق. فكل الفريقين لهما جزء خاص بهم. ففي هذه الآية تقدم " لهم " ليفيد هاتين الفائدتين معا، أي أن النصيب لهم وحدهم لا لغيرهم لدعائهم وأعمالهم الخيرة، ليجعل التفاؤل بالنصيب في قلوبهم مما كسبوا، ليشجعهم على الاستمرار في عمل الخير.

ثم آية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁴.

قال ابن عادل فيه بأن " فيهما إثم كبير " الجار خبر مقدم، و " إثم " مبتدأ مؤخر،

¹ تفسير اللباب، ج 3، ص 191.

² سورة البقرة، 202.

³ تفسير اللباب، ج 3، ص 442.

⁴ سورة البقرة، 219.

تقديم الخبر هنا ليس بواجب، وإن كان المبتدأ نكرة، لأن هنا مسوغا آخر، وهو الوصف، أو العطف، ولا بد من حذف مضاف أيضا، أي: في تعاطيهما إثم، لأن الإثم ليس في ذاتهما¹. فهو هنا مرة أخرى لم يتكلم عن فائدة هذا التقديم.

ثم آية ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾².

في هذه الآية تقديم المسندين: لهن مثل... وللرجال عليهن...، في تقديم الأول قال ابن عادل بأن " لهن " خبر مقدم، فهو متعلق بمحذوف. أما التقديم الثاني فهو قال بأن فيه وجهين: أظهرهما أن " للرجال " خبر مقدم و" درجة " مبتدأ مؤخر، و" عليهن " فيه وجهان على هذا التقدير، إما التعلق بما تعلق به " للرجال "، وإما التعلق بمحذوف على أنه حال من " درجة " مقدما عليها، لأنه كان صفة في الأصل، فلما قدم انتصب حالا؛ والثاني أن يكون " عليهن " هو الخبر و" للرجال " حال من " درجة "، لأنه يجوز أن يكون صفة لها في الأصل، ولكن هذا ضعيف...³ هذا كلام ابن عادل في هذين التقديمين من ناحية النحو البحث، أما فائدة هذين التقديمين فكما قال ابن عاشور في تفسيره: تقديم الظرف " لهن " للاهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغى السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما لو أخر فقيل: " ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف " وفي هذا إعلان لحقوق النساء، وإصداع بها وإشادة بذكرها، ومثل ذلك شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام. وقوله " وللرجال " خبر عن درجة، قدم للاهتمام بما تفيدته اللام من

¹ تفسير اللباب، ج 4، ص 36.

² سورة البقرة، 228.

³ تفسير اللباب، ج 4، ص 124-125.

معنى استحقاقهم تلك الدرجة، كما أشير إلى ذلك الاستحقاق في قوله تعالى " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض " وفي هذا الاهتمام مقصدان أحدهما دفع توهم المساواة بين الرجال والنساء في كل الحقوق والواجبات، توهم من قوله آتفا " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف " وثانيهما تحديد إثارة الرجال على النساء بمقدار مخصوص، لإبطال إثارةهم المطلق، الذي كان متبعا في الجاهلية.¹

ثم آية ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾².

في هذه الآية تقدم المسندين أيضا: " وعلى المولود له رزقهن "، " وعلى الوارث مثل ذلك "، قد أشار ابن عادل إلى أن هاتين الجملتين من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، وقدم الخبران للاعتناء والاهتمام، ولكن لم يذكر من أين جاء هذا الاعتناء وذاك الاهتمام.

ثم آية ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾³.

قال ابن عادل بأن " من أهل " خبر مقدم⁴، وفائدة التقديم هنا كما تكلمنا عندما

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 399.

² سورة البقرة، 233.

³ سورة آل عمران، 75.

⁴ تفسير اللباب، ج 5، ص 329.

تناولنا الآية " من الناس من يقول آمنا... "، وهي تشويق إلى المسند إليه وتعجيب من مضمون صلة المسند إليه. كما شرحه ابن عاشور: وتقدم المسند في قوله " ومن أهل الكتاب " في الموضعين للتعجيب من مضمون صلة المسند إليهما، ففي الأول للتعجيب من قوة الأمانة، مع إمكان الخيانة ووجود الغدر له في عادة أهل دينه، وفي الثاني للتعجيب من أن يكون الخون خلقاً لمتبع كتاب من كتب الله، ثم يزيد التعجيب عند قوله " ذلك بأنهم " فيكسب المسند إليهما زيادة عجب حال.¹

وكذلك آية ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَزَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾².

قال ابن عادل إن في " من الذين هادوا " بعض الأوجه، أحدها أن يكون " من الذين " خبر مقدم، و" يحرفون " جملة في محل رفع صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ، تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون. الثاني هو أن الجار والمجرور خبر مقدم أيضاً، ولكن المبتدأ المحذوف يقدر موصولاً، تقديره: من الذين هادوا من يحرفون. الثالث أن " من الذين " خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين هادوا، و" يحرفون " على هذا حال من ضمير " هادوا " ³. قد أيد ابن عاشور الرأي الثالث، فقال بأن " من " خبر لمبتدأ محذوف دلت عليه صفته وهي جملة " يحرفون " التقدير: قوم يحرفون الكلم ⁴. ولكن على كل حال فقد قدم المسند على المسند إليه في هذه الآية، وفائدته كمثل فائدة الآية السابقة، وهي تشويق للمسند إليه وتعجيب لما فعل

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 3، ص 285.

² سورة النساء، 46.

³ تفسير اللباب، ج 6، ص 404.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 5، ص 74.

الذين هادوا مع تقبيح لفعالهم.

ثم آية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾¹.

هذه الآية للرد على كذب اليهود والنصارى، فقال الله تعالى أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ثم بين هذا بأن ملك السماوات والأرض لوحده فالمصير إليه وحده. بسبب أن الضر والنفع لا يملكهما إلا هو فله هذه القوة والقدرة ليغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. فتقدم المسندين في الآية للاختصاص لبيان هذا المعنى. لم يتكلم ابن عادل عن هذه الفائدة في ظاهر الكلام ولكن أشار إليها بقوله: " وإليه المصير " أي وإليه يؤول أمر الخلق، لأنه لا يملك الضر والنفع هناك إلا هو.² كلامه هذا أيضا أخذ من عالم آخر وهو فخر الدين الرازي فقال في تفسيره الكلام نفسه: ثم قال تعالى " وإليه المصير " أي وإليه يؤول أمر الخلق في الآخرة لأنه لا يملك الضر والنفع هناك إلا هو كما قال " والأمر يومئذ لله "³.

من نماذج تقدم المسند على المنسد إليه للاختصاص والحصص الآية الآتية:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴.

في هذه الآية " لله " خبر مقدم وهو المنسد، و" غيب السماوات والأرض " مبتدأ مؤخر وهو المنسد إليه، فما فائدة هذا التقدم؟

إذا أردنا معرفة الإجابة فلا بد أن نرجع إلى مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها. فقد

¹ سورة المائدة، 18.

² تفسير اللباب، ج 6، ص 265.

³ تفسير الرازي، ج 11، ص 198.

⁴ سورة النحل، 77.

قال ابن عادل في هذا: لما مثل الكافر بالأبكم العاجز، ومثل نفسه بالذي يأمر بالعجل وهو على صراط مستقيم، ومعلوم أنه لا يكون أمرا بالعدل وهو على صراط مستقيم¹ إلا كان كاملا في العلم والقدرة فذكر في هذه الآية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة. أما بيان العلم، فقوله تعالى " ولله غيب السماوات والأرض " أفاد الحصر بأن العلم بهذه الغيوب ليس إلا لله تعالى. وأما بيان كمال القدرة، فقوله عز وجل " وما أمر الساعة إلا كلمح البصر "².

فبين ابن عادل أن هذا التقديم يفيد الاختصاص ليدل على كمال علم الله عز وجل بأن علم الغيب ليس إلا له، كما أنه عز وجل يأتي بأسلوب الاستثناء كذلك يفيد الاختصاص ليبين أن أمر الساعة لا يكون إلا كلمح البصر وهو يدل على كمال قدرة الله تعالى. فأسلوب التقديم والاستثناء كلاهما يفيدان الحصر. فالمناسبة بين هذه الآية وما قبلها لها علاقة قوية لفائدة هذا التقديم وذاك الاستثناء.

ولكن كلامه هذا مستفاد من كلام الفخر الرازي³. ثم أبو السعود رأى هذا الرأي فقال إنه لله تعالى خاصة لا لأحد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً ... والمراد بيان الاختصاص به تعالى

¹ وهي آية ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۚ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، سورة النحل، 76.

² تفسير اللباب، ج 12، ص 126-127.

³ انظر: كلام الرازي في تفسيره، ج 20، ص 90؛ اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى مثل الكفار بالأبكم العاجز، ومثل نفسه بالذي يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم، ومعلوم أنه يتمتع أن يكون أمرا بالعدل، وأن يكون على صراط مستقيم، إلا إذا كان كاملا في العلم والقدرة، ذكر في هذه الآية بيان كونه كاملا في العلم والقدرة، أما بيان كمال العلم فهو قوله (ولله غيب السماوات والأرض) والمعنى: علم الله غيب السماوات والأرض وأيضا فقوله (ولله غيب السماوات والأرض) يفيد الحصر، معناه: أن العلم بهذه الغيوب ليس إلا لله وأما بيان كمال القدرة فقوله: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. سورة النحل، 77.

من حيث المعلومية¹. كما أن الآلوسي قال ما قاله أبو السعود². وكذا قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: وتقدم المجرور أفاد الحصر، أي له لا لغيره. ولام الملك أفادت الحصر، فيكون التقدم مفيدا تأكيد الحصر أو هو للاهتمام³. فالعلماء متفقون على فائدة هذا التقدم بأنه للحصر، وأما ابن عاشور فهو أشار إلى أنه يمكن للاهتمام أيضا.

الآن ننظر إلى هذه الآية: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَزْجَمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾⁴.

قال ابن عادل في قوله "أراغب أنت" بأنه يجوز فيه وجهان، أحدهما أن يكون "راغب" مبتدأ، لاعتماده على همزة الاستفهام، و"أنت" فاعل سد مسد الخبر. والثاني أنه خبر مقدم، و"أنت" مبتدأ مؤخر، ورجح الأول بوجهين: أحدهما أنه ليس فيه تقدم ولا تأخير، إذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه. والثاني أنه لا يلزم منه الفصل بين العامل ومعموله بما ليس معمولاً للعامل، وذلك لأن "عن آلهتي" متعلق بـ "راغب" فإذا جعل "أنت" فاعلاً فقد فصل بما هو كالجزم من العامل، بخلاف جعله خبراً، فإنه أجنبي إذ ليس معمولاً لـ "راغب"⁵.

من كلام ابن عادل نعرف أنه يتكلم من ناحية النحو فرأى أن في هذه الآية لا يوجد تقدم وتأخير، فـ "راغب" مبتدأ و"أنت" فاعل سد مسد الخبر. هذا يعني أن المبتدأ والخبر في رتبتهما الأصلية، فلا تقدم ولا تأخير بينهما.

هذا من ناحية النحو صحيح طبعاً، ولكن إذا نظرنا في الآية من ناحية البلاغة

¹ تفسير أبي السعود، ج 5، ص 131.

² انظر تفسير روح المعاني، ج 14، ص 198.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 14، ص 230.

⁴ سورة مريم، 46.

⁵ تفسير اللباب، ج 13، ص 77.

فستكون على حال أخرى، لأن فيها تقدم المسند على المسند إليه. كيف؟

قد تكلمنا في بداية هذا المبحث عن مواضع المسند، فمن مواضع المسند المبتدأ الذي يكتفي بمرفوعه أي بفاعله. هنا مبتدأ " راغب " هو مسند و " أنت " فاعله أي مسند إليه. ففي هذه الآية تقدم المسند على المسند إليه إذا فكرنا من ناحية البلاغة.

ابن عادل لم يتكلم من ناحية البلاغة فلم يبين فائدة تقدم المسند هنا. التقدم عموماً يأتي من الاهتمام بالمتكلم يقدم شيئاً لأنه في قلبه أهم وأعنى به وأعجل لمعرفة المعلومات عنه، فتقدم المسند هنا أيضاً لاهتمام أبي إبراهيم عليه السلام، أما سبب اهتمامه هو أنه بعد أن سمع قول إبراهيم عليه السلام عن آلهته، عرف أنه عليه السلام هو الذي يشتم الآلهة فاهتمامه لا يقع في الفاعل، بل في الفعل. من حيث إن إبراهيم لما دعا أباه إلى التوحيد وذكر الأدلة على فساد عبادة الأوثان، وأردف ذلك بالوعظ البليغ، مقروناً باللفظ والرفق قابله أبوه بجواب مضاد لذلك. فتقدم المسند " راغب " تعبير عن تعجبه لفعل إبراهيم وإنكاره لرغبته عن الأصنام كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل، فبهذا بين الله تعالى ما في قلبه من الإصرار على عبادة الأصنام مع فظاظة كفره وغلظة عناده. فقال قوله بعد هذا: " لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً "، أي لئن لم تنته عن فعلك هذا، فهذا أيضاً يدل على اهتمامه بالفعل وهو مسند في الجملة.

وهذا وفقاً لما قاله الزمخشري، حيث قال: " قدم الخبر على المبتدأ في قوله " أراغب أنت عن آلهتنا يا إبراهيم " لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من مثل ذلك من كفار قومه¹.

من الواضح أن ابن عادل خالف الزمخشري في هذا التقدم حتى من ناحية النحو، فرأى

¹ تفسير الكشاف، ص 638.

الزمخشري أن فيها تقدم الخبر بينما رجح ابن عادل عدم وجود تقدم وتأخير.

وفي الحقيقة كلام ابن عادل في هذه الآية فيه تأثير واضح بكلام أبي حيان، فقد ذكر أبو حيان في تفسيره رأي الزمخشري والرأي الآخر بأن ليس فيها تقدم ولا تأخير، فرجح الثاني¹ وأخذ ابن عادل منه هذا الرأي.

أما ابن عاشور فله قول مفصل لخص ما بينته في هذه الآية، فقال: "وجملة "أراغب أنت" جملة اسمية مركبة من مبتدأ وفاعل سد مسد الخبر على اصطلاح النحاة طردا لقواعد التركيب اللفظي، ولكنهم لما اعتبروا الاسم الواقع ثانيا بعد الوصف فاعلا سادا مسد الخبر فقد أثبتوا لذلك الاسم حكم المسند إليه وصار للوصف المبتدأ حكم المسند. فمن أجل ذلك كان المصير إلى مثل هذا النظم في نظر البلغاء هو مقتضى كون المقام يتطلب جملة اسمية للدلالة على ثبات المسند إليه، ويتطلب الاهتمام بالوصف دون الاسم لغرض يوجب الاهتمام به، فيلتجئ البليغ إلى الإتيان بالوصف أولا والإتيان بالاسم ثانيا. ولما كان الوصف له عمل فعله تعين على النحاة اعتبار الوصف مبتدأ لأن للمبتدأ عراقة في الأسماء، واعتباره مع ذلك متطلبا فاعلا، وجعلوا فاعله سادا مسد الخبر، فصار للتركيب شبهان. والتحقيق أنه في قوة خبر مقدم ومبتدأ مؤخر. ولهذا نظر الزمخشري في الكشف إلى هذا المقصد فقال: قدم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى لأنه كان أهم عنده وهو به أعنى. فدل النظم في هذه الآية على أن أبا إبراهيم عليه السلام ينكر على إبراهيم تمكن الرغبة عن آلهتهم من نفسه، ويهتم بأمر الرغبة عن الآلهة لأنها موضع عجب".²

أما أنا فمع الشيخ ابن عاشور، لأن التقديم والتأخير في كلام الله تعالى لا بد أن تترتب عليه فائدة وغرض، وأشار الشيخ ابن عاشور إلى الغرض خلف هذا التقديم، فأنا أؤيد رأيه.

¹ تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 183.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 119.

ثم آية ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾¹.

قوله تعالى " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " وهذا كتفسير لكونهم محسنين، ذكر ابن عادل أقوالا فيها، منها: أن تجعل " ما " مصدرية في محل رفع بـ " قليلا "، والتقدير: كانوا قليلا هجوعهم؛ منها: أن تجعل ما المصدرية بدلا من اسم كان بدل اشتغال أي كان هجوعهم قليلا؛ منها: كانوا قليلا معناه كانوا من الناس قليلا، فيكون " قليلا " خبر كان².
قد عرفنا أن خبر كان وأخواتها من مواضع المسند، ففي هذه الأوجه الثلاثة " قليلا " خبر كان المقدم، أي تقدم المسند على المسند إليه.

ثم بين ابن عادل فائدة تقدم المسند " قليلا " فقال: " تقدم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في آخر الآيات، بل لأن الهجوع راحة لهم والمقصود بيان اجتهداهم وتحملهم السهر لله تعالى، فلا يناسبه تقدم راحتهم، وقد يغفل السامع عما بعد الكلام فيعتقد كونهم محسنين بسبب هجوعهم، فقدم قوله قليلا ليسبق إلى الفهم أولا قلة الهجوع، وقوله تعالى: من الليل إشارة إلى أنه الزمن الذي يهجع الناس فيه ولا يسهر في الطاعة إلا متعبدا³.

بعدهما بحثنا في أقوال العلماء السابقين وجدنا أن كلامه في فائدة هذا التقديم أيضا مستفاد منهم. وهذا العالم هو الفخر الرازي، إذ قال في تفسيره: " تقدم قليلا في الذكر ليس لمجرد السجع حتى يقع يهجعون ويستغفرون في أواخر الآيات، بل فيه فائدتان، الأولى هي أن الهجوع راحة لهم، وكان المقصود بيان اجتهداهم وتحملهم السهر لله تعالى فلو قال كانوا يهجعون كان المذكور أولا راحتهم ثم يصفه بالقلة. وربما يغفل الإنسان السامع عما بعد

¹ سورة الذاريات، 15-17.

² تفسير اللباب، ج 18، ص 69-70.

³ تفسير اللباب، ج 18، ص 70.

الكلام فيقول إحسانهم وكونهم محسنين بسبب أنهم يهجعون وإذا قدم قوله قليلا يكون السابق إلى الفهم قلة الهجوع، وهذه الفائدة من يراعيها يقول فلان قليل الهجوع ولا يقول هجوعه قليل، لأن الغرض بيان قلة الهجوع لا بيان الهجوع بوصف القلة أو الكثرة، فإن الهجوع لو لم يكن لكان نفي القلة أولى ولا كذلك قلة الهجوع لأنها لو لم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهرة¹.

فمن هنا نستطيع أن نعرف مدى تأثير ابن عادل بالفخر الرازي في تفسير هذه الآية. أما ابن عاشور فرأى أن حرف ما في قوله تعالى مزيد للتأكيد، وشاعت زيادة ما بعد اسم قليل وكثير وبعد فعل قل وكثر وطال. والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل، وليست ما نافية². فلا ابن عاشور رأي خاص في هذه المسألة ولم يتأثر بهما فيها.

ثم آية ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝۳﴾.

في هذه الآية قوله "ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله"، ذكر ابن عادل أن فيه وجهين: أحدهما أن تكون "حصونهم" مبتدأ، و"مانعتهم" خبر مقدم، والجملة خبر "أنهم". لم لا يقال "مانعتهم" مبتدأ، لأنه معرفة، و"حصونهم" خبره، ولا حاجة إلى تقديم ولا تأخير؟ لأن القصد الإخبار عن الحصون، ولأن الإضافة غير محضة فهي نكرة. الثاني أن تكون "مانعتهم" خبر "أنهم" و"حصونهم" فاعل به، نحو إن زيدا قائم أبوه، وإن عمرا قائم

¹ تفسير الرازي، ج 18، ص 69-70.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 26، ص 349.

³ سورة الحشر، 2.

جاريته. ثم أشار إلى أنه رجح الإعراب الأول¹.

فالإعراب الأول هو أن تكون " حصونهم " مبتدأ مؤخر و " مانعتهم " خبر مقدم، ففي الآية تقدم المسند على المسند إليه. أما في فائدة هذا التقدم فذكر ابن عادل كلام الزمخشري فيها، فتساءل الزمخشري في الكشف: فإن قلت فأبي فرق بين قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم، وبين النظم الذي جاء به؟ ثم أجاب: بتقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم، ومنعها إياهم، وفي تغيير ضميرهم اسما لـ "أن"، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالون معها بأحد يتعرض لهم، أو يطمع في معارزهم وليس ذلك في قولك: وظنوا حصونهم تمنعهم².

من هنا تعرف أن ابن عادل أخذ رأي الزمخشري في شرح هذه الآية وما فيها من تقدم المسند وفائدته. والفخر الرازي أيضا تأثر برأي الزمخشري ونقل كلامه في تفسيره لهذه الآية³. كما أن أبا حيان أيضا تأثر به وقال ما قاله الزمخشري في بيان فائدة تقدم الخبر هنا⁴. وكذلك أبو السعود عند شرحه لفائدة هذا التقدم أيضا نقل كلام الزمخشري⁵. أما ابن عاشور فكذلك بين فائدة هذا التقدم من هذه الناحية ولكن له تعبير خاص وشرح أكثر، حيث قال: " ونظم جملة وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم على هذا النظم دون أن يقال وظنوا أن حصونهم مانعتهم ليكون الابتداء بضميرهم لأنه سيعقبه إسناد مانعتهم إليه فيكون الابتداء بضميرهم مشيرا إلى اغترارهم بأنفسهم أنهم في عزة ومنعة، وأن منعة حصونهم هي من شؤون عزتهم. وفي تقدم مانعتهم وهو وصف على حصونهم وهم اسم والاسم بحسب

¹ تفسير اللباب، ج 18، ص 564-565.

² تفسير الكشف، ص 1092.

³ تفسير الرازي، ج 29، ص 280.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 242.

⁵ تفسير الأبي السعود، ج 8، ص 225.

الظاهر أولى بأن يجعل في مرتبة المبتدأ ويجعل الوصف خبراً عنه، فعدل عن ذلك إشارة إلى أهمية منعة الحصون عند ظنهم فهي بمحل التقديم في استحضار ظنهم¹. فمن كلام ابن عاشور نجد أنه قال ما قاله سابقوه في فائدة التقديم، ثم جاء بسبب عدول النظم الظاهر إلى ما جاء به الله تعالى.

ثم من مواضع المسند خبر إن وأخواتها، منها هذه الآية ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾².

في هذه الآية تقدم المسندين، وهما إلينا وعلينا. بين ابن عادل أن تقدم الخبرين في قوله "إلينا وعلينا" مبالغة في التشديد في الوعيد³.

معنى قوله: ذكر الله تعالى قبل هذه الآية أن من تولى وكفر سيعذبه الله العذاب الأكبر، فمن له هذه القوة والقدرة التامة لا بد له هذه القوة لا لغيره، فأسلوب التقديم هنا يقوي هذا المعنى ليشدد الوعيد.

فتقدم الخبرين هنا للاختصاص، إن الله تعالى بين في الآيات التي قبل هاتين الآيتين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس مذكراً ولا مسيطراً على من تولى وكفر، بل رجوعهم إلى الله فقط فمحاسبته على الله لا غيره. فجاء الله بتقدم الخبرين لبيان هذا المعنى.

هذا كما قاله الزمخشري: "تقدم الخبر في 'إلينا وعلينا' مبالغة في التشديد في الوعيد. وأن إياهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام. وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقيض والقطمير"⁴.

ويبدو لنا جلياً تأثير ابن عادل في هذه المسألة أيضاً بالزمخشري، كما تأثر به العلماء

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 28، ص 69-70.

² سورة الغاشية، 25-26.

³ تفسير اللباب، ج 20، ص 306.

⁴ تفسير الكشاف، 1199.

بعده مثل الفخر الرازي وغيره. أما ابن عاشور فله رأي آخر، وهو أن تقدم خبر إن على اسمها هنا لمجرد الاهتمام، تحقيقاً لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه، وتنبيهاً على إمكانه بأنه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة.¹

أنا لا أوافق الشيخ ابن عاشور في أن التقدم هنا يفيد الاهتمام فحسب، لأن الاهتمام أساس كل التقدم كما نعرف، ف وراء الاهتمام لا بد من غرض خفي وفائدة أكثر، فالعلماء الذين سبقوه أشاروا إلى فائدة إضافية للتقدم غير الاهتمام، فأنا معهم في هذه المسألة.

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 30، ص 308.

الفصل الثاني: التقديم في متعلقات الفعل

في هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: تقديم المتعلقات على عاملها

المبحث الثاني: تقديم المتعلقات بعضها على البعض

توطئة ومهاد:

المتعلقات هي أجزاء الجملة سوى المسند والمُسند إليه من المفاعيل المختلفة: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والجار والمجرور، والظرف، والحال، والتمييز في أحوال قليلة ونادرة. وبينها وبين عاملها ترتيب عام وهو أنها تجيء دائما بعد عاملها، ولكن في كثير من الأحيان تأتي المتعلقات خلاف العادة أي مقدمة على عاملها لغرض خاص. كما أن في التقديم والتأخير بين المتعلقات المختلفة أيضا أسراراً وحكماً. وقد ذكر عبد الرحمن حسن في كتابه: البلاغة العربية - أسسها وعلومها بعضاً من دواعي تقديم متعلقات الفعل عن مراتبها، من أهمها إرادة التخصيص، والاهتمام بشأن المقدم، التنبيه على أن المقدم هو مناط الإنكار أو الاستغراب أو الاستعظام أو لفت النظر أو نحو ذلك، أورعاية فواصل رؤوس الآيات في القرآن، إرادة الترقى من الأدنى إلى الأعلى أو عكسه، وغيره.¹ فالعلماء اهتموا بهذا التقديم والتأخير بنظرة بلاغية، فهذا الفصل يدرس هذه الأغراض والغايات لتقديم المتعلقات على عاملها وتقديم بعضها على بعض.

¹ انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م، ج 1، ص 381-394.

المبحث الأول:

تقديم متعلقات الفعل على عاملها

في هذا المبحث أتكلم عن تقديم المتعلقات على عاملها، فنبدأ من هذه الآية:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹

هذه الآية فيها تقديم المفعول على عامله، أي تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وتقديمه هنا وجوباً للاختصاص أي يخص الله وحده بالعبادة وطلب العون. المفعول به يجب تقديمه على عامله في صور ثلاث كما ذكرها صاحب النحو الوافي، "منها يجب تقديمه إن كان ضميراً منفصلاً لو تأخر عن عامله لوجب اتصاله به؛ كقولهم: "أيها الأحرار: إياكم نخاطب، وإياكم ترقب البلاد"، فلو تأخر المفعول به: "إيا" لا تصل بالفعل، وصار الكلام: نخاطبكم... ترقبكم...؛ فيضيع الغرض البلاغي من التقديم وهو: الحصر."²

إن صاحب درج الدرر أشار إلى أن تقديم الضمير لكون ذكره أهم من ذكر العبادة،³ قد أشار ابن عادل في تفسيره إلى أن "إياك" كلمة ضمير خصت بالإضافة إلى المضمر، ويستعمل مقدماً على الفعل، وهو مفعول مقدم على "نعبد" قدم للاختصاص، وهو واجب الانفصال.⁴

ثم في موضع آخر استمر في شرح هذا، فقال إن "إياك" واجب التقديم على عامله، لأن القاعدة أن المفعول به إذا كان ضميراً - لو تأخر عن عامله - وجب اتصاله ووجب تقديمه.⁵

كما نعرف في كلام العرب لو تقدم شيء حقه التأخير فلا بد لتقديمه من سبب وغرض،

¹ سورة الفاتحة، 5.

² النحو الوافي لعباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشر، ج 2، ص 90.

³ درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2009م/1430هـ، ج 1، ص 102.

⁴ تفسير اللباب في علوم الكتاب، ج 1، ص 195.

⁵ تفسير اللباب في علوم الكتاب، ج 1، ص 199.

وخاصة في نظم القرآن، فنجد أن ابن عادل عند شرح هذه الآية تناولها من الناحية النحوية أولاً، فبين ما نوع هذا التقديم وشرطه، هذا يعطينا معرفة أساسية لفهم الآية. ثم خصص فصلاً مستقلاً في نظم هذه الآية وبين أسرار البلاغة، كما إنه أشار إلى أن هذا يستفيد من كلام فخر الدين الرازي،¹ فقال: "قال تعالى: 'إياك نعبد' فقدم قوله 'إياك' على قوله 'نعبد' ولم يقل 'نعبدك' لوجوه:

أحدها: أنه تبارك وتعالى قدم ذكر نفسه لينبه العابد على أن المعبود هو الله تعالى فلا يتكاسل في التعظيم.

وثانيها: أنه إن ثقلت عليك العبادات والطاعات وصعبت، فاذكر أولاً قوله 'إياك' لتذكرني، وتحضر في قلبك معرفتي، فإذا ذكرت جلالي وعظمتي، وعلمت أنني مولاك وأنتك عبدي سهلت عليك تلك العبادة.

وثالثها: أن التقديم الواجب لذاته متقدم في الوجود على المحدث الممكن لذاته، فوجب أن يكون ذكره متقدماً على جميع الأذكار.²

هكذا ابن عادل وقف عند قول الرازي في شرح سر هذا التقديم، فمن هنا نستطيع أن نعرف منهج ابن عادل في تناوله وشرحه لمسألة من المسائل، حيث تناوله من كل جوانبه، كما أنه اعتمد كثيراً على أقوال العلماء السابقين مثل فخر الدين الرازي، والسمين الحلبي فتأثر بهم، وذكر الآراء فيه ثم رجحه مع ذكر السبب فبهذا الأسلوب أصبح تفسيره موسوعة علمية يستفيد الدارسون منه كثيراً.

ثم بالإضافة إلى هذا أرى في هذه الآية فائدة أخرى، حيث إن التوحيد هو أساس الإيمان والإسلام وأهم القضايا التي يعالجها القرآن الكريم، فالقرآن الكريم بكامله يخدم لهذا

¹ انظر تفسير الرازي، ج 1، ص 249-250.

² الباب في علوم الكتاب، ج 1، ص 202.

الهدف الأسمى، فعندما ننظر في سياق القرآن الكريم بشكل عام نجد فائدة كبرى في إثبات معنى التوحيد في فاتحة الكتاب كأن الله يضع حجر الزاوية التي يبنى المبنى عليه ويجعله فكرة جوهرية لكتابه الكريم، ويبين أن التوحيد هو أساس وأصل كل شيء، فيدخل هذا المعنى في قلوب الناس في بداية الكتاب بأسلوب الحصر بالتقديم، فمعنى التأكيد الذي يتضمنه هذا الأسلوب كذلك يساعد في إظهار وإثبات روح التوحيد.

تقدم المفعول به على الفعل في القرآن مثل هذه الآية كثير، رغم أن أكثر هذا الأسلوب لحصر الفعل على المفعول، لكن دواعي الإتيان بهذا الأسلوب ومناسباته مختلفة، يحددها سياق الآية، من هذه الآيات:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾¹.

تقدم المفعول في " وإياي فارهبون، وإياي فاتقون " كمثل " إياك نعبد " يفيد الاختصاص، يعني لا ترهبوا إلا إنا ولا تتقوا إلا أنا.

عن " إياي فارهبون " قال ابن عادل: " وفي الآية دليل على أن المرء يجب عليه ألا يخاف أحدا إلا الله تعالى، لما وجب ذلك في الخوف، فكذا في الرجاء فيها دلالة على أنه يجب على المكلف أن يأتي بالطاعات للخوف والرجاء، وأن ذلك لا بد منه.²

إن الله تعالى يأمر اليهود بذكر نعمته التي أنعم عليهم وبإيفاء عهده معهم، لأنهم كانوا ينكرون نعمة الله وينقضون عهده بسبب عدم خوفهم له فجاء الله بهذا الأسلوب ليوضح لهم ألا يخافوا إلا منه لأنه هو الذي أنعم عليهم وعاهدهم لا غيره.

¹ سورة البقرة، 40-41.

² تفسير اللباب، ج 2، ص 13.

و " إياي فاتقون " كقوله " وإياي فارهبون "، بين ابن عادل هذه المسألة بقوله:
"وقال هنا فاتقون وهناك فارهبون لأن ترك المأمور به هناك معصية، وهي ترك ذكر النعمة
والإيفاء بالعهد، وهنا ترك الإيمان بالمنزل والاشتراء به ثمنا قليلا كفر، فناسب ذكر الرهب
هناك، لأنه أخف يجوز العفو لكونه معصية، وذكر التقوى هنا، لأنه كفر لا يجوز العفو عنه،
لأن التقوى اتخاذ الوقاية لما هو كائن لا بد منه."¹

نجد من كلامه هذا مناسبة تقدم المفعول به هنا، إذ قال الله تعالى للكفار الذين
يشترون بآياته ثمنا قليلا، لا ترهبوا إلا منه لأنه وحده له القوة والقدرة على إدخالهم النار هم
فيها خالدون كما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.²

فقد قال الزمخشري في هذا التقديم بأنه أؤكد في إفادة التخصيص من " إياك نعبد ".³
أما أبو حيان في البحر المحيط فقد بين سبب هذا قائلا: " قال الزمخشري وهو أؤكد في إفادة
الاختصاص من إياك نعبد، ومعنى ذلك أن الكلام جملتان في التقدير وإياك نعبد جملة واحدة
والاختصاص مستفاد عنده من تقدم المفعول على العامل."⁴

أما أبو السعود فقد قال عن سبب هذا بأنه لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول
والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئا فارهبوني
والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف إلا الله تعالى.⁵

¹ تفسير اللباب، ج 2، ص 18.

² سورة البقرة، 39.

³ تفسير الكشاف، 73.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 331331.

⁵ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 95.

أما ابن عاشور فبين هذا التقديم بتفصيل أكثر، فأشار أولاً إلى أن تقديم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى ويكون النهي عن رهبة غيره. ثم تكلم عن سببؤكد هذا التقديم بأنه تقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإياي أكد من نحو إياي اهربوا. ثم بين أن الوجه عنده أن تقديم المفعول يحتمل الاختصاص إلا أن الأصل فيه أن يدل على الاختصاص إلا إذا أقامت القرينة على التقوي فإذا كان مع التقديم اشتغال الفعل بضمير المقدم نحو زيدا ضربته كان الاختصاص يؤكد أي كان احتمال التقوي أضعف. ثم استمر في شرح هذه المسألة فقال إن الغالب أن يكون التقديم مع صيغة الاشتغال للتخصيص إذ العرب لا تقدم المفعول غالباً إلا لذلك¹.

خلاصة هذه الأقوال أن تقديم المفعول هنا للاختصاص، لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول. والتقديم بهذا الأسلوب أكد في إفادة الاختصاص لأنه تقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإياي أكد من نحو إياي اهربوا. ولكن دور ابن عادل في استخراج هذه الفوائد محصور جداً. ثم آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾².

تقديم المفعول في هذه الآية كذلك يفيد الحصر، قال ابن عادل في هذا: إن كنتم إياه تعبدون، أي إن صح أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه هو إلهكم لا غيره فاشكروا الله الذي رزقكم هذه النعمة وحده لأن هذه القدرة له لا لغيره، الشكر رأس العبادة، فلا بد من أن

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 454-455.

² سورة البقرة، 172.

تعبدوا وحده للشكر له¹.

ثم آية ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ ۖ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۚ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾².

في هذه الآية تقدم المفعول به على الفاعل "إيانا تعبدون"، قال ابن عادل عن هذا: "وإيانا" مفعول مقدم، قدم للاهتمام به والاختصاص، وهو واجب التقديم على ناصبه، لأنه ضمير منفصل، لو تأخر عنه، لزم اتصاله³.

شرح ابن عادل هذا التقديم من الناحيتين البلاغية والنحوية، فبين سبب التقديم النحوي، ولكن لم يشر إلى سبب الاهتمام والاختصاص.

ثم آية ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ ۗ مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَعْبُدُونَ﴾⁴.

هذه الآية كمثّل الآية التي في سورة يونس تتكلم عن تبرئة الشركاء من المشركين ونفي عبادتهم لهم بأسلوب التقديم ليؤكد هذا النفي. فقال شركائهم في سورة يونس: ما كنتم إيانا تعبدون، وهنا: ما كانوا إيانا يعبدون. في رأي ابن عادل أن تقدم المفعول في سورة يونس للاهتمام والاختصاص، ولكن له رأيا آخر هنا، فقال: "إيانا مفعول "يعبدون" قدم لأجل الفاصلة⁵.

هذا رأي أبي حيان أخذ منه ابن عادل، فقال أبو حيان: وإيانا مفعول يعبدون، لما

¹ تفسير اللباب، ج 3، ص 169.

² سورة يونس، 28.

³ تفسير اللباب، ج 10، ص 316، رآيه هذا استفاد من السمين الحلبي: انظر تفسير الدر المصون، ج 6، ص 192.

⁴ سورة القصص، 63.

⁵ تفسير اللباب، ج 15، ص 279.

تقدم انفصل، وانفصاله لكون يعبدون فاصلة¹.

أما ابن عاشور فرأى أنه يفيد هاتين الفائدتين معا، فقال: "وتقدم إيانا على يعبدون دون أن يقال يعبدوننا للاهتمام بهذا التبرؤ مع الرعاية على الفاصلة²."

في القرآن تقدم المفعول به كثير غير هذا الشكل، هذا كما جاء في هذه الآية:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾³.

في آخر الآية تقدم المفعول به "فريقا" على الفعلين "كذبتم" و"تقتلون"، رأى ابن عادل أنه للرعاية على رؤوس الآي، فقال: فريقا مفعول مقدم، قدم لتتفق رؤوس الآي⁴. لأن الآيات قبلها وبعدها تنتهي بـ "تشهدون، تعملون، ينصرون، يؤمنون".

في الحقيقة رأيه هذا وكلامه نقل أيضا من السمين الحلبي⁵.

وأبو حيان أيضا رأى هكذا فقال إن تقدم المفعول هنا ليتواخى رؤوس الآي⁶

لكن لأبي السعود رأي آخر في هذا التقدم، فقال إن تقدم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم لا للقصر⁷. الألوسي أيد هذا الرأي، فنقل كلام أبي السعود في تفسيره روح المعاني⁸.

¹ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 123.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 159.

³ سورة البقرة، 87.

⁴ تفسير اللباب، ج 2، ص 268.

⁵ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 500.

⁶ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 469.

⁷ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 127.

⁸ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 318.

أما ابن عاشور فبين سبب التقديم هنا بتفصيل، رأى أن تقدم المفعول هنا لما فيه من الدلالة على التفصيل فناسب أن يقدم ليدل على ذلك كما في قوله تعالى ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾¹. ثم أشار إلى أن هذا الاستعمال العربي كثير في لفظ فريق وما في معناه نحو طائفة إذا وقع معمولاً لفعل في مقام التقسيم نحو "يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم أنفسهم". كما أنه أيضاً تكلم عن سبب هذا التفصيل، فقال إنه راجع إلى ما في قوله "رسول" من الإجمال لأن كلما جاءكم رسول أفاد عموم الرسل وشمل هذا موسى عليه السلام فإنهم وإن لم يكذبوه بصريح اللفظ لكنهم عاملوه معاملة المكذبين به. وأما بقية الرسل فكذبوهم بصريح القول مثل عيسى وقتلوا بعض الرسل مثل أشعياء وزكرياء ويحيى ابنه وأرمياء².

فخلاصة القول أن ابن عادل أخذ رأي السمين الحلبي في فائدة التقديمين في هذه الآية، وهو تواخي رؤوس الآية، ثم العلماء الآخرون جاءوا بفوائد أخرى هي الاهتمام والتشويق وللدلالة على التفصيل. فلا مانع أن تجمع الآية كل هذه الفوائد، لأنها أيضاً من الخصائص البيانية القرآنية الفريدة.

وفي آية أخرى مشابهة للآيات السابقة يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَآرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾³.

و فيها قال ابن عادل: "وإنما قدم مفعول يقتلون لتواخي رؤوس الآي، وقدم مفعول كذبوا مناسبة لما بعده⁴. وأما العلماء الآخرون فرأوا ما رأوا في الآية السابقة.

¹ سورة الأعراف، 30.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 598.

³ سورة المائدة، 70.

⁴ تفسير اللباب، ج 7، ص 451.

وهناك آية أخرى مثل هذه الآية ولكن مختلفة قليلا، وهي:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾¹.

قد تغير شكل التقديم قليلا في هذه الآية حيث قدّم المفعول على الفعل الأول وتأخيره عن الفعل الثاني، فلماذا هذا الاختلاف؟ هل في هذا فائدة؟

قد بين ابن عادل بأن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والمقتولون هم الرجال كانوا مشهورين فقدم². كما أنه أشار إلى أن هذا الكلام مأخوذ من الرازي، فقال الرازي في تفسيره: " فريقتا تقتلون وهم الرجال، وتأسرون فريقتا وهم الصبيان والنسوان، فإن قيل هل في تقديم المفعول حيث قال فريقتا تقتلون وتأخيره حيث قال وتأسرون فريقتا فائدة؟ قلت قد أجبنا أن ما من شيء من القرآن إلا وله فوائد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر، والذي يظهر من هذا - والله أعلم - أن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأعرف فالأعرف والأقرب فالأقرب، والرجال كانوا مشهورين فكان القتل واردا عليهم والأسرى كانوا هم النساء والصغار ولم يكونوا مشهورين والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلين ما هو أشهر على الفعل القائم به وما هو أشهر من الفعلين قدمه على المحل الأخرى. وإن شئنا نقول بعبارة توافق المسائل النحوية فنقول قوله فريقتا تقتلون فعل ومفعول والأصل في الجملة الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل، أما أنها جملة فعلية فلائها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع وكان يقول فريق منهم تقتلون فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره تقتلون فريقتا تقتلون والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه

¹ سورة الأحزاب، 26.

² تفسير اللباب، ج 15، ص 531.

قذف في قلوبهم الرعب فلو قال تقتلون إلى أن يسمع السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم أنهم هم المقتولون، فأما إذا قال فريقا مع سبق في قلوبهم الرعب إلى سماعه يستمع إلى تمام الكلام وإذا كان الأول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل فقدم الفعل لزوال موجب التقديم إذا عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفا إليهم، ولو قال بعد ذلك وفريقا تأسرون فمن سمع فريقا ربما يظن فيهم يطلقون، أو لا يقدرهم عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى¹.

هذا كلام الرازي، فبين سبب التقديم في الأول والتأخير في الثاني بالتفصيل، ولكن أبا السعود له رأي آخر وهو أن تأخير المفعول الثاني لمراعاة الفواصل، فقال: " ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى وفريقا كذبتهم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل².

أما الألوسي فذكر شيئا مختلفا بعد ذكر كل النواحي السابقة، فبين أن التقديم لتفصيله وأما التأخير فلئلا يفصل بين القتل وأخيه وهو الأسر فاصل، كما أنه أشار إلى تغاير نظم الجملتين لتغاير حال الفريقين في الواقع فقد قدم أحدهما فقتل وأخر الآخر فأسر³.

أما ابن عاشور فقال: " وتقدم المفعول في فريقا تقتلون للاهتمام بذكره لأن ذلك الفريق هم رجال القبيلة الذين بقتلهم يتم الاستيلاء على الأرض والأموال والأسرى، ولذلك لم يقدم مفعول تأسرون إذ لا داعي إلى تقديمه فهو على أصله⁴.

فبين ابن عاشور هذه المسألة بكلامه الخاص، ولكن لم يخرج عن معنى السابقين. فكل العلماء بعد الرازي بما فيهم ابن عادل تأثروا بالرازي في بيان هذه المسألة البلاغية إلا أنه

¹ تفسير الرازي، ج 25، ص 205-206.

² تفسير أبي السعود، ج 7، ص 100.

³ تفسير روح المعاني، ج 21، ص 175.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 21، ص 313.

زاد بعضهم شيئا جديدا مختلفا.

هناك آيات كثيرة أخرى فيها تقدم المفعول على الفعل، منها:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾¹.

فيها تقدم المفعول مما رزقناهم على الفعل ينفقون، قال ابن عادل في فائدة هذا التقديم بأنه للدلالة على كونه أهم كأنه قال يخصص بعض المال بالتصدق به². فقدم الله تعالى مما رزقناهم ليبين أن إنفاقهم من المال الذي رزقناهم فلا تبخل في الإنفاق لأن المال منا ففيه تشجيع على الإنفاق، فمن هنا تبينت أهمية المفعول فقدم والله أعلم.

كلامه هذا مستفاد من الرازي³، وقد أشار ابن عادل إلى هذا.

أما أبو السعود فقد رأى أن تقدم المفعول للاهتمام أيضا مع المحافظة على رؤوس الآي⁴. ففائدة تقدم المفعول هنا أيضا لرعاية على رؤوس الآي، لأن الآيات بعدها تنتهي بـ "يوقنون، مفلحون".

وكذلك رأى ابن عاشور، فقال: "وتقدم المجرور المعمول على عامله وهو يتفقون لمجرد الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذان بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس كقوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه، مع رعى فواصل الآيات على حرف النون⁵."

وفي آية أخرى يقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ

¹ سورة البقرة، 3.

² تفسير اللباب، ج 1، ص 294.

³ انظر تفسير الرازي، ج 2، ص 35.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 32.

⁵ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 236.

يُوقِنُونَ¹

قال ابن عادل إن تقدم الجار والمجرور " بالآخرة " هنا للاهتمام به كما قدم المنفق في قوله " ومما رزقناهم ينفقون " لذلك².

فائدة هذا التقديم عنده مثل ما في الآية السابقة. وأبو حيان أيضا على هذا الرأي إلا أنه أشار إلى إنه لتطابق الأواخر مع الاعتناء به³. أما ابن عاشور فرأى ما رأى أبو حيان إلا أنه نقد من رأى هذا التقديم للحصر بتكلف. فقال إن خروج الحصر عن تعلقه بذات المحصور فيه إلى تعلقه بأحواله وهذا غير معهود في الحصر، ولأن معنى الحصر هنا لا يستقيم بأن يكون المعنى أنهم يوقنون بالآخرة دون غيرها. كما أنه بين فائدة هذا التقديم بأن فيه ثناء على هؤلاء بأنهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن⁴.

وهنا أشار ابن عادل إلى سبب التقديم وبين أنه للاهتمام.

وكذلك آية ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۖ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ⁵﴾.

في هذه الآية تقدم الجار والمجرور على الفعل، فقال ابن عادل في هذا: قوله وعلى الله متعلق بقوله فليتكول، قدم للاختصاص، ولتناسب رؤوس الآي⁶.

فائدة هذا التقديم عنده ليس للاهتمام كما في الآيتين السابقتين، فلماذا هذا الاختلاف مع أن هنا أيضا تقدم المفعول؟

¹ سورة البقرة، 4.

² تفسير اللباب، ج 1، ص 300.

³ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 168.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 176.

⁵ سورة آل عمران، 122.

⁶ تفسير اللباب، ج 5، ص 512.

لأن سياق الآية يحدد معنى الحصر في هذا التقديم، فيتكلم القرآن الكريم عن التوكل على الله، والله وحده مستحق للتوكل عليه، والمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله كما لا يؤمنون إلا بالله، فيفيد التقديم هنا تخصيص التوكل على الله تعالى لا غيره.

وقال صاحب الكشف بأن الله هنا أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه¹. فهذا يعني أن الزمخشري أيضا رأى أن تقديم المفعول هنا للحصر.

أما أبو حيان فقد أشار إلى أن التقديم في هذه الآية قد يكون للاهتمام وقد يكون للحصر، فقال: "وأخبر تعالى أنه وليهما ومن كان الله وليه فلا يفوض أمره إلا إليه، أمرهم بالتوكل عليه وقدم المجرور للاعتناء بمن يتوكل عليه، أو للاختصاص على مذهب من يرى ذلك²".

كما أن أبا السعود أيضا رأى أنه للحصر، فبين هذا قائلا: "وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالاً أو اشتراكاً فليتوكل المؤمنون في جميع أمورهم فإنه حسبهم³". ففي فائدة هذا التقديم رأى ابن عادل كمثل آراء الآخرين، فليس له رأي خاص أو يتأثر بالآخرين بشكل واضح.

وهذه الآية كمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁴.

في الآية السابقة تقدم "على الله"، وفي هذه الآية تقدم "على ربهم"، فقال ابن عادل كمثل ما قاله في الآية السابقة: "فالتقديم يفيد الاختصاص، أي: عليه لا على غيره⁵".

¹ الكشف، 193.

² تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 51.

³ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 79.

⁴ سورة الأنفال، 2.

⁵ تفسير اللباب، ج 9، ص 449.

والعلماء آراؤهم في هذا أيضا لا تختلف عن رأي ابن عادل.

الآن ننظر إلى هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾¹.

فيها تقدم الجار والمجرور "به" على الفعل "يؤمنون". قال ابن عادل إن هذا التقديم ليس للحصر لأن تخصيص إيمانهم على هذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه من الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو عكس المراد².

فرأى ابن عادل أن تقدم المفعول هنا ليس للحصر خلافا عن الآيتين السابقتين، مع أن كلها تقدم الجار والمجرور على الفعل، لأن السياق مختلف بينها. فالآيتان الأوليان تتكلمان عن التوكل على الله، فالله تعالى هو وحيد في هذا التوكل كما ذكرت آنفا فهما تفيدان الحصر. أما هنا فتكلم عن الإيمان ومن المعلوم أن الإيمان ليس فقط بالله تعالى، بل بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلا يفيد الحصر في هذه الآية. وبسبب هذا نقد مرة أخرى كلام الزمخشري ومن معه بأن التقديم هنا للحصر. فالتقديم يفيد القصر أو لا يفيد يحدده السياق، وليس كل التقديم مثل هذا التركيب للقصر والاختصاص.

من تقدم المفعول على الفعل أيضا آية: ﴿وَوَهَبْنَا عَلَىٰ آلِكَامِ الْغَنَاءَ وَأَنزَلْنَا عَلَىٰ آلِكَامِ الْمَنَ وَالسَّلَوىَ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾³.

قال السمين الحلبي أن تقدم المفعول "أنفسهم" لاختصاص الظلم بهم وأنه لا يتعداهم. أما أبو حيان فقال فيه: "وقدم معمول الخبر عليه هنا وهو قوله أنفسهم، ليحصل بذلك توافق رؤوس الآي والفواصل، وليدل على الاعتناء بالإخبار عن حل به الفعل ولأنه

¹ سورة القصص، 52.

² تفسير اللباب، ج 15، ص 281.

³ سورة البقرة، 57.

من حيث المعنى صار العامل في المفعول توكيدا لما يدل عليه ما قبله فليس ذكره ضروريا، وبأن التوكيد إن يتأخر عن المؤكد ذلك أنك تقول: ما ضربت زيدا ولكن ضربت عمرا فذكر ضربت الثانية أفادت التأكيد لأن لكن موضوعها أن يكون ما بعدها منافيا لما قبلها ولذلك يجوز أن تقول: ما ضربت زيدا ولكن عمر فليس مضطرا لذكر العامل فلما كان معنى قوله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون في معنى ولكن ظلموا أنفسهم كان ذكر العامل في المفعول ليس مضطرا إليه، إذ لو قيل وما ظلمونا ولكن أنفسهم لكان كلاما عربيا ويكتفي بدلالة لكن أن ما بعدها منف لما قبلها، فلما اجتمعت هذه المحسنات لتقدم المفعول كان تقديمه هنا الأوضح¹.

فأبو حيان رأى أن تقدم المفعول على العامل لتوافق رؤوس الآي والفواصل والاعتناء بالإخبار عن حل به الفعل. ثم بين المحسنات لتقدم المفعول وبهذه المحسنات كان تقديمه أفصح. فهو لم يشر إلى أن هنا للحصر خلافا عن رأي السمين الحلبي. أما ابن عادل فهو مع السمين الحلبي في فائدة هذا التقديم، ونقل الكلام منه². ولكن كمثال شيخه السمين الحلبي لم يبين أكثر عن فائدة القصر.

وأبو السعود أيضا رأى أن التقديم هنا للقصر، فقال إن تقدم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تحكم بهم³. فهو أشار إلى فائدة التقديم الأخرى وهي التهكم بهم.

كذلك ابن عاشور أيضا رآه للقصر، فذكر أولا من أين حصل القصر ثم بين سبب التوكيد بالتقدم في هذه الآية قائلا: "وقوله: ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" قدم فيه المفعول للقصر وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات ثم أكد بالتقدم لأن حالهم

¹ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 376.

² سورة الباب، ج 2، ص 91.

³ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 104.

كحال من ينكى غيره كما قيل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو بعدوه¹.

أما أنا فأرى أن هذه الفوائد كلها صحيحة من ناحية ما وحسب الفهم المختلف، لأن في الحقيقة أن التقسم في الآية القرآنية هذه يمكن أن تجمع كل هذه الفوائد في آن واحد، لأنها من كلام الله تعالى فكلام الله متفوق على كل كلام ومتفوق على كل فهم. فهذا من خصائص اللغة القرآنية الفريدة.

ومثل هذه الآية آية أخرى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيمَا صِرَّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۖ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾².

ابن عادل كذلك رأى أن تقسم المفعول "أنفسهم" هنا للقصر، ولكن هذه المرة عنده فائدة أخرى له وهو لأجل الفواصل. فقال: وأنفسهم مفعول مقدم، قدم للاختصاص، أي: لم يقع وبال ظلمهم إلا بأنفسهم خاصة، لا يتخطاهم، ولأجل الفواصل أيضا³.

وكذلك آية: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁴.

ابن عادل شرح أولا أن تقدم المفعول في هذه الآية يدل على تقدم خبر كان عليها، ثم أشار إلى أنه هنا تبع طريق الزمخشري وأنظاره، أي رأى أن تقسم "أنفسهم" في هذه الآية للقصر، فقال: "وقدم المفعول ليفيد الاختصاص وهذا على طريق الزمخشري وأنصاره وكأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم، وما تعدى ذلك الظلم عنهم إلى غيرهم⁵.

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 512.

² سورة آل عمران، 117.

³ تفسير اللباب، ج 5، ص 486.

⁴ سورة الأعراف، 177.

⁵ تفسير اللباب، ج 9، ص 393.

فمن هنا نعرف أن ابن عادل لم يكن يتخذ رأيا واحدا في مثل هذه الآية، بل بين فائدة التقديم حسب السياق والسبب الخفي لهذا التقديم، وإن كان يشير إلى أنه تبع طريق الرمخشري إلا أنه بقي مستقلا عقليا فلم يتأثر بأي واحد تأثرا كاملا.

ثم تقدم المعمول على العامل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾¹.

فيها تقدم المعمول "بالوالدين" على العامل "إحسانا"، قال ابن عادل أن في هذه الجملة خمسة أوجه، منها أن تتعلق الباء بـ "إحسانا" على أنه مصدر واقع موقع فعل الأمر، والتقدير وأحسنوا بالوالدين، والباء ترادف "إلى" في هذا المعنى. وهذا الوجه أظهر، لعدم الإضمار والحذف فيه أو لأن وقوع المصدر موقع الفعل الأمر مطرد شائع.

ثم بين أن الإحسان هو الإنعام على الغير والنافع لكل شيء وقيل هو أعم من الإنعام فتقدم المعمول هنا للاهتمام به والتنبيه على أنه أولى بالإحسان إليه ممن ذكر معه² وفيه الحث على بر الوالدين.

قال ابن عاشور في هذا التقديم أن قوله "وبالوالدين إحسانا" هو مما أخذ عليهم الميثاق به وهو أمر مؤكد لما دل عليه تقدم المتعلق على متعلقه وهما "وبالوالدين إحسانا" وأصله وإحسانا بالوالدين، والمصدر بدل من فعله والتقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا³.

من كلام ابن عاشور نجد أنه أيضا رأى رأي ابن عادل إلا أنه لم يتكلم عن فائدة هذا التقديم كما فعل ابن عادل.

¹ سورة البقرة، 83.

² تفسير اللباب، ج 2، ص 231.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 582-583.

كما أن ابن عادل بين هذا التقديم أيضا في آية أخرى، وهي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾¹. فقال: "أنه تعالى لم يقل: وإحسانا بالوالدين، بل قال: وبالوالدين إحسانا، فتقدم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام. ومنها أنه تعالى قال إحسانا بلفظ التنكير والتذكير يدل على التعظيم، أي: إحسانا عظيما كاملا². التقديم هنا أيضا بسبب الاهتمام، لتعظيمهما والحث على برهما.

وفي القرآن موضعان آخران أيضا بهذا الأسلوب عند الحث على بر الوالدين، وإن كانت هذه الآيات في مختلف السور والسياقات. وهما: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾³، و﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۚ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁴.

ثم ننظر إلى أسلوب آخر لتقديم المفعول على الفعل في هذه الآيات: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾⁵.

فيها تقدم المفعولين: "الجحيم وفي سلسلة". رأى الزمخشري أن التقديمين هنا

¹ سورة الإسراء، 23.

² تفسير اللباب، ج 12، ص 251.

³ سورة النساء، 36.

⁴ سورة الأنعام، 151.

⁵ سورة الحاقة، 30-32.

للاختصاص، فقال في الكشف: "ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس... والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة كأنها أفضع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم¹.

ثم رد أبو حيان على رأي الزمخشري في البحر المحيط بأنه للاهتمام فقط، ليس للاختصاص².

ابن عادل ذكر قول الزمخشري في تفسيره وأشار إلى رد أبي حيان عليه ولكن لم يعطنا رأيه في هذا³.

ثم آية: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾⁴

فيها "ربك، ثيابك، الرجز، لربك" انتصبت على المفعولية، وقدمت على أفعالهن، قال الزمخشري إن التقديم هنا للاختصاص، أي: واختص ربك بالتكبير⁵.

هذا أيضا مذهب أبي حيان،⁶ أما ابن عادل فهو أيضا رأى هكذا، فقال عن التقديم في هذه الآيات: "قدم المفعول وكذا ما بعده، إيدانا بالاختصاص عند من يرى ذلك، أو للاهتمام به. فهو يرى أن التقديم في هذه الآية للاختصاص أو للاهتمام. ولكن لم يشر بالضبط إلى أي واحد منها للاهتمام وأيها للاختصاص. فلم يفصل القول في كل هذه الآيات.

¹ تفسير الكشف، 1137.

² انظر تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 319.

³ تفسير اللباب، ج 19، ص 336.

⁴ سورة المدثر، 1-7.

⁵ تفسير الكشف، ص 1154.

⁶ تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 362.

ثم جاء ابن عاشور بالرأي نفسه، ولكن فصل القول في كل هذه التقديمات، فقال: "انتصب 'ربك' على المفعولية لفعل 'كبر' قدم على عامله لإفادة الاختصاص، أي لا بكبر غيره وهو قصر إفراده، أي دون الأصنام." ثم تكلم أيضا عن علاقة دخول الفاء بهذا التقديم قائلا: "ودخلت الفاء على 'كبر' إيدانا بشرط محذوف يكون 'كبر' جوابه، وهو شرط عام إذ لا دليل على الشرط مخصوص وهيء لتقدير الشرط بتقدم المفعول. لأن تقدم المفعول قد ينزل منزلة الشرط." ثم أشار إلى دخول الفاء في كل الآيات كما دحوها في "وربك فكبر"، بالإضافة إلى بيان تفصيل فائدة التقديم بعد هذه، فقال بأن تقدم 'ثيابك' على الفعل 'طهر' للاهتمام به في الأمر بالتطهير؛ وتقدم 'الرجز' على الفعل 'اهجر' للاهتمام في مهيج الأمر بتركه؛ وتقدم 'لربك' على 'اصبر' للاهتمام بالأمور التي يصير لأجلها مع الرعاية على الفاصلة.¹

في الأخير قد أشار ابن عاشور إلى نكتة مهمة، إذ إن كل هذه التقديمات أيضا تفيد رعاية الفاصلة، لأن بتقدم هذه المفعولات أصبحت كل الآيات منتهية بحرف واحد، فجعل الآيات في غاية الجمال على المستويين اللغوي الظاهر والمعنوي الباطن، فانسجمت اللغة والمعنى كانسجام الجسم والروح.

ثم هناك تقدم المفعول لا على الفعل، بل تأخير عنه ولكن تقدم على المسند إليه أي تقدم على الفاعل. منه آية:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾².

"إبراهيم" مفعول مقدم، الرتبة الأصلية للمفعول أن يكون بعد الفاعل، هنا تقدم

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص 295-300.

² سورة البقرة، 124.

المفعول على الفاعل للاهتمام كما قاله ابن عادل. تكلم ابن عادل عن هذا التقديم أولاً من ناحية النحو، فقال إنه هو واجب التقديم عند جمهور النحاة، لأنه متى اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجب تقديمه، لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. ثم أشار إلى أن ابن عطية رأى أنه للاهتمام بمن وقع الابتلاء به، إذ معلوم أن الله هو المبتلي، واتصال ضمير المفعول بالفاعل موجب للتقديم، يعني أن الموجب للتقديم سببان: سبب معنوي وسبب صناعي¹.

فمعناه هذا أن السامع يعرف المبتلي هو الله تعالى فوق اهتمامه في من هو المبتلي به، ففي الآية تقدم المفعول إبراهيم ليبين هذا المعنى وأهمية النبي إبراهيم في هذا الموضع وإنما بني الكلام على هذا الاهتمام.

قد تأثر ابن عادل بابن عطية في شرح هذا التقديم وفي الحقيقة هو ليس وحيداً في التأثر به في هذه المسألة، بل تأثر به أبو حيان أيضاً فنقل كلام ابن عطية في تفسيره أيضاً².

أما ابن عاشور فرأى أكثر من هذا، فرأى مقصود تقدم المفعول إبراهيم هنا تشریف إبراهيم بإضافة اسم رب اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل وإذ ابتلى الله إبراهيم³.

ثم آية ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁴.

هذه الآية تتكلم عن نبي آخر يعقوب - عليه السلام -، فيها تقدم اسمه على الفاعل

¹ تفسير اللباب، ج 2، ص 442، وتفسير المحرر الوجيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى 547هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م، ج 1، ص 205.

² تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 545.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 702.

⁴ سورة البقرة، 133.

في "إذ حضر يعقوب الموت"، قال ابن عادل إنه للاهتمام كذلك دون ذكر من أين جاء هذا الاهتمام¹.

وهذا أيضا رأي ابن عطية² وأبي حيان³، هذا فيما يتعلق بالقول في تقديم المفعول على الفعل.

وفيما يلي سأتناول بعض الآيات التي ورد فيها تقديم متعلق الخبر عليه، ورأى ابن عادل وبعض العلماء حول هذه المسألة، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁴.

'بما تعملون' متعلق بـ'خبير'، هذا تقدم المتعلق على الخبر، قال ابن عادل إن هذا التقدم لأجل الفواصل،⁵ لأن الآية السابقة تنتهي بـ'بصير'. وهذا أيضا رأي السمين الحلبي.⁶

ثم آية: ﴿إِنْ تَمَسَسْنَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۗ وَإِنْ تَصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁷.

هذه الآية مثل الآية السابقة فيها تقدم متعلق "بما تعملون" على الخبر "محيط"، ولكن فائدة التقدم هنا عند ابن عادل مختلفة. ففي الآية السابقة رأى أنه لأجل الفاصلة، أما هنا فرأى أنه للاهتمام. فقال: "ولم يقل: 'إن الله محيط بما يعملون'، لأنهم يقدمون

¹ تفسير اللباب، ج 1، 506.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 214.

³ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 573.

⁴ سورة البقرة، 234.

⁵ تفسير اللباب، ج 4، ص 196.

⁶ انظر: تفسير الدر المصون، ج 2، ص 481.

⁷ سورة آل عمران، 120.

الأهم، والذي هم بشأنه أعنى، وليس المقصود هنا بيان كونه تعالى عالما، بل بيان أن جميع أعمالهم معلومة لله تعالى، ومجازيهم عليها، فلا جرم أن قدم ذكر العمل.¹

من إجابتي ابن عادل لفائدة هذين التقديمين نعرف أنه غير رأيه حسب سياق الآية ومناسبتها. لأن نهاية الآيات التي قبل الآية الثانية وبعدها لا تناسب "محيط" حتى نقول إن التقديم هنا لأجل الفاصلة، فقال هنا للاهتمام. في الحقيقة لا جرم أيضا أن تجتمع في الآية الأولى فائدتان الاهتمام ورعاية الفاصلة، لأن التقديم عموما للاهتمام وهو السبب الأصلي لتقديم شيء على شيء آخر في اللغة العربية.

ثم آية: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.²

في هذه الآية تقديم المتعلق "له" على صاحبها الخبر "مسلمين"، في هذا التقديم رأى ابن عادل فائدة أخرى غير الفائدتين المذكورتين سابقا.

فقال إنه للحصر هنا، وأشار إلى أن هذا رأى الفخر الرازي، فقال: "قال ابن خطيب: ونحن له مسلمون يفيد الحصر، والتقدير: له أسلمنا لا لغرض آخر من سمعة، ورياء، وطلب المال، وهذا تنبيه على أن حالهم بالضد من ذلك.³ فإنهم لا يفعلون ولا يقولون إلا للسمعة والرياء وطلب الأموال.⁴

فتأثر ابن عادل بالرازي في شرح فائدة هذا التقديم، من كلامه نعرف أن الحصر هنا له معنيان، الأول أننا لا نسلم إلا له، والثاني أننا نسلم له لامثال بأمره لا لغرض آخر.

¹ تفسير اللباب، ج 5، ص 504.

² سورة آل عمران، 84.

³ تفسير اللباب، ج 5، ص 371.

⁴ تفسير الرازي، ج 8، ص 137.

ثم آية ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾¹.
 في هذه الآية تقدم المتعلق "بما أرسل به" على الخبر "مؤمنون"، قال ابن عادل عن فائدة هذا التقديم: "إنما 'بما أرسل به' متعلق بـ 'مؤمنون' قدم للاختصاص والاهتمام وللفاصلة."² فهو جمع لهذا التقديم كل هذه الفوائد الثلاثة المذكورة آنفا. هذا كما قلنا إن الآية القرآنية لا مانع أن تجمع كل هذه الفوائد في الآية الواحدة، هذا من الخصائص الفريدة للبيان القرآني.

وكذلك الآيات الخمسة الأولى من سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)﴾³.

فيها تقدم المتعلقات "في صلاتهم، عن الله، للزكاة، لفروجهم"، رأى ابن عادل أنه للاهتمام. فقال: "قوله في صلاتهم خاشعون الجار متعلق بما بعده، وقدم للاهتمام به، وحسنه كون متعلقه فاصلة، وكذا فيما بعده من أخواته."⁴

من كلامه نعرف أنه رأى أن التقديم في كل هذه الآيات يفيد الاهتمام ورعاية الفاصلة دون الحصر. لأنه من سياق الآية نعرف أن الله تعالى قصده ليس لبيان أنهم خاشعون في صلاتهم فقط لأن الخشوع كما نعرف لا بد في كل الأعمال والعبادات، لو يفيد التقديم الحصر هنا ليظن السامع أن الخشوع في صلاتهم فحسب، هذا يخالف الأسس العملية والعلمية، فلا يمكن لهذا التقديم أن يفيد الحصر.

¹ سورة الأعراف، 75.

² تفسير اللباب، ج 9، ص 197.

³ سورة المؤمنون، 1-5.

⁴ تفسير اللباب، ج 14، ص 166-168.

ثم آية: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾¹.

تقدم المتعلق على خبر كان "مقرنين" لأجل الفواصل كما قال ابن عادل.²

وكذلك أشار ابن عادل إلى أن التقديم يفيد رعاية الفاصلة³ في آية العاديات: ﴿إِنَّ

رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾⁴.

وكذلك تقدم المتعلق على عامله المفعول به في هذه الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾⁵.

فيها تقدم الجار والمجرور "به" على عامله المفعول به "خبير"، قال ابن عادل إن الضمير في "به" الله تعالى، و"خبير" من صفات الملك وهو جبريل، وإنما قدم لرؤوس الآي وحسن النظم.⁶

الآيات قبل هذه الآية وبعدها تنتهي بنفس الفاصلة كما جاء في هذه الآية:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۚ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا

¹ سورة الزخرف، 13.

² تفسير اللباب، ج 17، ص 237.

³ تفسير اللباب، ج 20، ص 468.

⁴ سورة العاديات، 11.

⁵ سورة الفرقان، 59.

⁶ تفسير اللباب، ج 14، ص 558.

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١﴾. فهذا يدل على صحة كلامه بأن التقديم هنا لرؤوس الآي وحسن النظم.

فهذا الكلام في تقديم المعمول على العامل عند ابن عادل، منه نعرف أنه استفاد من العلماء السابقين في تناول هذه المسائل خاصة السمين الحلبي والفخر الرازي. كما أننا نعرف منه أن أهم فوائد تقديم العامل على المعمول عنده هي اختصاص واهتمام ولأجل الفاصلة.

¹ سورة الفرقان، 58-62.

المبحث الثاني:

تقديم المتعلقات بعضها على بعض

بعد أن تكلمنا عن تقديم المتعلق على عامله نأتي الآن إلى تقديم المتعلقات بعضها على بعض. فإن المتعلقات في الجملة دائماً أكثر من واحد، الترتيب الطبيعي للمتعلقات هو المفعول به - المفعول المطلق - المفعول لأجله - المفعول معه - المفعول منه - الحال - التمييز - الاستثناء - الجار ومجرور، ولكن أحياناً تقدم المتعلق على المتعلق الآخر بسبب ما، أو لغرض بلاغي، فهذا المبحث نتكلم فيه عن تناول ابن عادل لهذه التقديمات مبيناً ما فيه من الأسرار البلاغية.

ونبدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹.

في هذه الآية قول ربنا "إني جاعل في الأرض خليفة"، فيه متعلقان "في الأرض" و"خليفة"، والترتيب الأصلي لهذين المتعلقين هو "إني جاعل خليفة في الأرض"، فما سبب هذا الترتيب؟ وما السر البلاغي في هذا؟

فقد بيّن ابن عادل هذه الجملة من وجهين نحويين، فقال: "وجاعل فيه قولان: أحدهما أنه بمعنى خالق فيكون خليفة مفعولاً به وفي الأرض فيه، فيه حينئذ قولان: أحدهما وهو الواضح أنه متعلق بـ"جاعل" والثاني أنه متعلق بمحذوف لأنه حال من النكرة بعده. القول الثاني أنه بمعنى مصير ذكره الزمخشري، فيكون خليفة هو المفعول الأول، وفي الأرض هو الثاني قدم عليه، ويتعلق بمحذوف على ما تقرر."²

فشرح ابن عادل هذه الجملة من الناحيتين النحويتين مستعينا بقول الزمخشري،³ ومع

¹ سورة البقرة، 30.

² تفسير اللباب، ج 1، ص 500.

³ قال الزمخشري: "جعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر، وهما قوله: في الأرض خليفة، فكانا مفعولين خليفة مصير. تفسير الكشاف، ص 70.

هذا فمن كل من هاتين الناحيتين نعرف أن هنا مفعولين يتقدم أحدهما على الآخر. ولكن لم يذكر ابن عادل سبب التقديم والتأخير هنا ولا الزمخشري.

أما أبو السعود فقد شرح في تفسيره بأن الذي يقتضيه المقام هنا هو الإخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة - عليهم السلام - بإذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بـ"جاعل"، ثم بين أن الظرف قدم على المفعول الصريح للتشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة.¹

فرأى أبو السعود أن فائدة التقديم المتعلق على الآخر التشويق إلى المؤخر، وعندي له فائدة أخرى وهي الاهتمام بالمقدم، لأن الله تعالى ذكر الأرض مقدما ليبين أنه في الأرض لا في غيرها، ولتأكيد هذا المعنى في نفوس الملائكة وليثير فضولهم وتعجبهم في جعل الله تعالى الخليفة في الأرض لأن الملائكة علموا أن من في الأرض سيفعلون بعض الأفعال السيئة، فمع علمهم لهذا قدم الله تعالى ذكر الأرض لهذه الأسباب، فيناسب هذا كلام الملائكة: أُنْجِلَ فيها...، ففي قول الملائكة أيضا تقدم الظرف "فيها" - أي في الأرض - على المفعول.

ثم ننظر إلى هذه الآية: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾².

فيها تقدم صفة لـ"بلاء" "من ربكم" على صفة أخرى "عظيم"، قال ابن عادل في هذا: "من ربكم" متعلق بـ"بلاء"، و"من" لا ابتداء الغاية مجازا... هو في موضع رفع صفة لـ"بلاء"، وفي هذا نظر، من حيث إنه إذا اجتمعت صفتان إحداها صريحة والأخرى مؤولة، قدمت الصريحة، حتى إن بعض الناس يجعل ما سواه ضرورة، و"عظيم" صفة لـ"بلاء".³

¹ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 81.

² سورة البقرة، 49.

³ تفسير اللباب، ج 1، ص 62.

ظهر في كلامه أن "من ربكم" و"عظيم" صفتين لـ"بلاء"، الترتيب الأصلي لهاتين الصفتين هو صفة مشبهة أولا وصفة شبه الجملة ثانية، وجاء كلام الله تعالى عكس هذا الترتيب، قد ذكر ابن عادل هذا ولكن لم يذكر سبب هذا التقديم والتأخير.

هذه الآية تتكلم عن البلاء الذي أصاب بني إسرائيل، وقد يكون خيرا وقد يكون الشر، في هذه الآية في الخير، أي في تنجيتهم نعمة من الله عليهم؛ وبعضهم الآخر قالوا إنه في الشر، في الذبح مكروه وامتحان، ثم في تفسير التحرير والتنوير رأى ابن عاشور أنه هنا بمعنى الشر، "فيطلق غالبا على المصيبة التي تحل بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة والمراد هنا المصيبة بدليل قوله 'عظيم'".²

فقدم الله تعالى صفة "من ربكم" لأهميتها الأكثر بالنسبة إلى صفة "عظيم"، ليبين أن هذا البلاء من ربهم لا من غيره بمعنى أنه خالقه، فلا بد من قبوله والصبر عنده، وجاء اسم "رب" يدل على أن في البلاء الشاق على النفوس خيرا ونعمة إن صبروا دون الغضب على الله عز وجل، فنجاهم الله تعالى بصبرهم على البلاء، فبتقدم هذه الصفة يؤكد الله تعالى هذه المعاني ويدخلها في قلوب المخطئين.

ثم آية: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ^٢ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ^٣ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا^٤﴾.

في الآية تقدم المفعول الثاني على الفعل والمفعول الأول، قال ابن عادل في هذا بأن لا بد لـ"كل" من شيء تضاف إليه، وإن كان التقدير: لكل إنسان، ففيه ثلاثة أوجه: الوجه الأول هو الأرجح، تقديره: ويتعلق "مما ترك" بـ"موالي" لما فيه من معنى الورثة، و"موالي"

¹ سورة الأعراف، 168.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 493.

³ سورة النساء، 33.

مفعول أول لـ"جعل"، و"جعل" بمعنى "صَيَّر"، و"لكل" جار ومجرور هو المفعول الثاني، قدم على عامله والمفعول الأول كذلك.¹

أشار ابن عادل إلى تقدم المفعول الثاني على الفعل والمفعول الأول، ولكن مرة أخرى اكتفى بهذا ولم يذكر فائدة هذا التقدم.

قد أشار أبو السعود إلى فائدة التقدم في تفسيره: "ولكل جعلنا...، جملة مبتدأة مقررّة لمضمون ما قبلها و"لكل" مفعول ثانٍ لـ"جعلنا" قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾²، أي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة.³

هذا أيضا رأي الآلوسي،⁴ أما ابن عاشور فرأى أنه للاهتمام، فقال: "و'لكل' متعلق بـ'جعلنا' قدم على متعلقه للاهتمام."⁵

من خلال هذه الأقوال عن التقدم ندرك بكل وضوح فوائد هذا التقدم والتي تتلخص في تأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض، وفي الحقيقة إن هذا الأسلوب كثير في كلام العرب.

ثم آية: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾⁶.

في "جعلوا لله شركاء الجن" أقوال، قال ابن عادل بأن الظاهر أن "الجن" هو المفعول

¹ تفسير اللباب، ج6، ص 354.

² سورة المائدة، 48.

³ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 172.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 5، ص 21.

⁵ تفسير التحرير والتنوير، ج 5، ص 33.

⁶ سورة الأنعام، 100.

الأول، و"شركاء" مفعول ثانٍ مقدم، و"لله" متعلق بـ"شركاء"، ففيه تقدم المتعلق على المفعولين، وتقدم المفعول الثاني على الأول، فبين ابن عادل فائدة هذا التقديم بقول الرمحشري بأنها لاستعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً أو جنياً أو إنسياً، ولذلك قدم اسم الله تبارك وتعالى على "شركاء". فمعنى هذه الآية هو "جعلوا الجن شركاء لله هو أنهم يعتقدون أنهم يخلقون من المضار والحيات والسباع".¹

وقال أبو حيان: "ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والانتقاض لمن جعلوا شريكاً لله تعالى".²

أما ابن عاشور فجاء في تفسيره ببيان أكثر تفصيلاً في هذا، هذا قوله: "فقوله 'الجن' مفعول أول لـ'جعلوا' و'شركاء' مفعول ثانٍ، لأن الجن المقصود من السياق لا مطلق الشركاء، لأن جعل الشركاء لله تعالى قد تقرر من قبل. والله متعلق بشركاء. وقدم مفعول الثاني على الأول لأنه محل تعجب وإنكار فصار لذلك أهم وذكره أسبق. وتقدم المحرور على المفعول في قوله تعالى 'لله شركاء' للاهتمام والتعجب من خطئ عقولهم إذ يجعلون لله شركاء من مخلوقاته لأن المشركين يعترفون بأن الله هو خالق الجن، فهذا التقديم جرى على خلاف مقتضى الظاهر لأجل ما اقتضى خلافه. وكلام الكشاف يجعل تقدم المحرور في الآية للاهتمام باعتقادهم الشريك لله اهتماماً في مقامه وهو الاستفزاز والإنكار التوبيخي. وتبعه في المفتاح إذ قال في تقدم بعض المفعولات على بعض للعناية بتقديمه لكونه نصب عينك كما تجددك إذا قال لك أحد: عرفت شركاء الله تعالى، يقف شعرك وتقول: لله شركاء. وعليه قوله تعالى: 'وجعلوا لله شركاء'. فيكون تقدم المحرور جارياً على مقتضى الظاهر".³

¹ تفسير اللباب، ج 8، ص 334.

² تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 196.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 7، ص 406.

فمن كلام ابن عاشور نعرف أنه أيضا رأى أن "الله" متعلق على "شركاء"، ومقدم عليه، ثم إن "شركاء" مفعول ثان مقدم على مفعول أول "الجن"، كما أنه أيضا رأى أن التقديم هنا للتعجيب واستعظام أمر الشرك، إلا أنه أعطى شرحا أكثر تفصيلا من سابقه، وأشار إلى فائدة عامة لتقديم بعض المعمولات على بعض.

ثم نظر إلى هذه الآية: ﴿فَلَا تَخْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾¹.

في هذه الآية تقدم المفعول الثاني على المفعول الأول لاسم الفاعل "مخلف"، قد أشار ابن عادل إلى أن فيه قولين وأظهرهما أن "مخلف" يتعدى لاثنتين كفعله، فقدم المفعول الثاني، وأضيف إليه اسم الفاعل تخفيفا، نحو: هذا كاسي جبة زيد. ثم بين سبب تقدم المفعول الثاني على الأول فقال: "فإن قلت: هلا قيل مخلف رسله وعده؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد، ثم قال رسله ليؤذن أنه لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد، كيف يخلف رسله؟"²

ثم وجدت أن ابن عادل استفاد من الزمخشري في سبب هذا التقديم،³ كما أن الفخر الرازي أيضا تأثر به في هذه المسألة،⁴ فلا ين عادل والرازي الرأي نفسه معه. وأما ابن عاشور فقال في تفسيره: "وأضيف مخلف إلى المفعول الثاني، وهو وعده وإن كان المفعول الأول هو الأصل في التقديم والإضافة إليه لأن الاهتمام بنفي إخلاف الوعد أشد، ولذلك قدم وعده على رسله."⁵

¹ سورة إبراهيم، 47.

² تفسير اللباب، ج 11، ص 414.

³ تفسير الكشاف، ص 556.

⁴ تفسير الرازي، ج 19، ص 148.

⁵ تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 251.

ففي كلام ابن عاشور وابن عادل والآخرين معنى واحد، وهو أن التقديم هنا ليعلم أنه لا يخلف الوعد، وبعبارة أخرى أنه بسبب أن الاهتمام بنفي إخلاف الوعد أشد.

ثم في هذه الآية: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾¹ قولان، الأول أن "كل شيء" مفعول أول، و"خلقه" مفعول ثان، والثاني أن "كل شيء" مفعول ثان مقدم، و"خلقه" مفعول أول مؤخر. قال ابن عادل: "قوله 'أعطى كل شيء خلقه' في هذه الآية وجهان، أحدهما أن يكون 'كل شيء' مفعولا أولا، و'خلقه' مفعولا ثانيا على معنى أعطى كل شيء شكله وصورته التي تطابق المنفعة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الأبصار، والأذن الهيئة التي تطابق الاستماع وتوافقها، وكذلك اليد والرجل واللسان. الثاني أن يكون 'كل شيء' مفعولا ثانيا و'خلقه' هو الأول فقدم الثاني عليه والمعنى: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به."²

من هذا الكلام نعرف أن كلا الوجهين صحيح حسب القواعد النحوية والسياق اللغوية فلم يشر ابن عادل إلى سبب التقديم في الوجه الثاني وفائدته. هذا أيضا رأي كل المفسرين قبله وبعده، فاتفقوا على أن هنا قولين كلاهما صحيح، ولكن لم نجد أيهم تكلم بالتفصيل فائدة هذا التقديم.

وأما الآية الآتية ففيها اختلاف ابن عادل مع الآخرين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾³.

فقد رأى الزمخشري أن في "إلهه هواه" تقديم المفعول الثاني "إلهه" على المفعول الأول "هواه"، فقال: "فإن قلت: لم آخر 'هواه' والأصل قولك 'أتخذ الهوى إلها'، قلت ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول: علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك

¹ سورة طه، 50.

² تفسير اللباب، ج 13، ص 262-263.

³ سورة الفرقان، 43.

بالمنطلق.¹

أما ابن عادل فرأى غير هذا الرأي، فقال: "وقوله 'من اتخذ إلهه هواه' مفعولا لاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير، لاستوائيهما في التعريف."² وهذا أيضا رأي أبي حيان، فرأى أن ليس في هذين المفعولين تقديم ولا تأخير.³

ولكن جاء أبو السعود بعدهم برأي الزمخشري، مع الرد على أبي حيان وابن عادل في هذه المسألة، فقال: "أرأيت من اتخذ إلهه هواه تعجيب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من شناعة حالهم بعد الحكاية قبائحهم من الأقوال والأفعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه و'إلهه' مفعول ثان ل'اتخذ' قدم على الأو للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجيب. ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أي أرأيت من جعل هواه إلهًا لنفسه من غير أن يلاحظه وبني عليه أمر دينه معرضًا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجب منه."⁴

فمن هذه الأقوال نعرف أن ابن عادل كان مع أبي حيان في أن المفعولين على الترتيب. هذا الرأي مختلف عن رأي الزمخشري، فبين أن هنا التقديم بينهما مع الإشارة إلى سبب تقديم المفعول على الآخر. أما بعض المفسرين بعدهم كمثل أبي السعود وابن عاشور فأيدوا رأي الزمخشري مع الرد على من توهم أن هنا على الترتيب. وأما أنا فمع الزمخشري وأبي السعود، لأن بعد التأمل في سياق الآية بدا لي أن في الآية معنى تعجيب من هذا العمل

¹ تفسير الكشاف، ص 747.

² تفسير اللباب، ج 14، ص 539.

³ تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 459.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 6، ص 221.

القيبح، فتقدم المفعول الثاني "إلهه" على المفعول الأول "هواه" يناسب هذا المعنى ويبرز فائدته كما شرحه الزمخشري وأبو السعود، فأرى رأيهما أقرب إلى غرض الآية.

ثم آية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.¹

في هذه الآية تقدم مفعول على مفعول آخر، فالكتاب الذين اصطفينا مفعولا أورثنا والكتاب مفعول ثان مقدم على المفعول الأول الذين، فقال ابن عادل إن تقدم الكتاب هنا لشرفه إذ لا لبس.²

ثم في هذه الآية ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.³ نوع آخر من التقديم في المتعلقات، وهو التقديم لصدارة الكلام.

قال ابن عادل في هذا: "قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لما ذكر دلائل التوحيد أردفه بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها، لأن المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا، فقال و'ما أوتيتم' ما شرطية، وهي في محل نصب مفعولا ثانيا ل'أوتيتم' والأول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل، وإنما قدم الثاني لأن له صدر الكلام."⁴

فجاء ابن عادل في هذه الآية بسبب التقديم الجديد، وهو صدارة الكلام. وهذا السبب في الحقيقة موجود في كل نوع من أنواع التقديم ذكرناها فيما مضى، مثل ماذا وكيف ومتى وأنى وغير ذلك من أدوات الاستفهام وأسماء الموصول.

¹ سورة فاطر، 32.

² تفسير اللباب، ج 16، ص 138.

³ سورة الشورى، 36.

⁴ تفسير اللباب، ج 17، ص 208.

فهذا كل الأمثلة التي جاء بها ابن عادل في التقديم بين المتعلقات وكلام الباحث فيها، فمن الأمثلة السابقة نعرف أن هذا النوع من التقديم عند ابن عادل جاء لبعض الأسباب الخاصة، مع ما خلفها من الأسرار المختلفة لكل آية، وهذا الاختلاف يتعلق بالسياق ونظم الآية، وإن كان بعض الآيات فيها السبب نفسه في التقديم ولكن بينها بون شاسع في السياق ومقتضى الحال للإتيان بهذا التقديم. فابن عادل وضح لنا هذه الأسباب والأسرار وإن كان يستعين بكلام العلماء السابقين أحياناً، ولكنه ذكر لطائف وأسرار بلاغية وحكما بليغة لمثل هذا التقديم، فهذا فضله وفائدته.

الباب الثاني: التقديم الذكري

وهو يحتوي على فصلين، وتحت كل فصل مبحثان:

الفصل الأول: التقديم الذكري في الأمور العقائدية والغيبية

المبحث الأول: التقديم الذكري في الأمور العقائدية

المبحث الثاني: التقديم الذكري في الأمور الغيبية

الفصل الثاني: التقديم الذكري في الأمور الدنيوية والكونية

المبحث الأول: التقديم الذكري في الأمور الدنيوية

المبحث الثاني: التقديم الذكري في الأمور الكونية

فاتحة:

التقديم الذكري هو ليس مثل ما تناولنا من قبل في هذا البحث، فهو تقديم لا في أحد ركني الإسناد ولا في المتعلقات، وإنما يتعلق بما هو مقدم في مكان ومؤخر في مكان آخر، أو بدرجة التقدم في الذكر في مكان واحد بسبب ما يستدعي ذلك من سياق الآية والأسرار البلاغية الأخرى. هذا في القرآن كثير جدا لا يحصى.

هذا النوع من التقديم قد تكلم عنه العلماء قديما وحديثا،¹ ففي كتب متعددة وتفسير متنوعة نجد منها نماذج كثيرة في هذا التقديم، ولكن قلما يخص التقديم الذكري في باب مستقل، وإنما ذكروا بعض نماذجه عند كلامهم عن أسباب التقديم أو أنواعه، أو عند بيانهم لمتشابهات الآيات.

بعد أن اطلعت على تفسير ابن عادل وجدت أنه تكلم عن هذا التقديم في مواضع كثيرة، لذا أفردت له بابا خاصا له لأبينه من كل جوانبه ولأبين كيفية تناول ابن عادل لهذا النوع من التقديم، فأوزع هذا الباب إلى ما يتعلق بالأمور العقائدية والغيبية، ثم الدنيوية والكونية، لكي يشتمل الباب على كل الموضوعات بدون استثناء.

¹ من القدماء: السيوطي في الإتقان، والزركشي في البرهان، وبعض المفسرين الذين اهتموا بالجانب البلاغي للقرآن الكريم مثل الزمخشري والفخر الرازي والآلوسي وغيرهم؛ ومن المحدثين: الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، وسيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، والدكتور محمد موسى أبو موسى في كتابه والدكتور عبد العزيز العتيق في كتابه في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2009م.

الفصل الأول:

التقديم الذكري في الأمور العقائدية والغيبية

في هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التقديم في الأمور العقائدية

المبحث الثاني: التقديم في الأمور الغيبية

المبحث الأول:

التقديم في الأمور العقائدية

توطئة ومهاد:

إن الأمور العقائدية التي سنتناولها في هذا المبحث هي تلك الأمور التي تتناولها آيات القرآن الكريم والتي تتعلق بصفات الله تعالى وأسمائه وقدرته ومشيبته، وكل ما يتعلق بهذه الأشياء وما علاقتها بما قبلها وبما بعدها.

فالجزءان المختلفان في الكلام إذا تقدم أحدهما أو تأخر يعبران عن معنيين مختلفين، ففي هذا الفرق الدقيق سر بلاغي وفي أكثر الأحيان لا نعرفه إلا بعد التأمل والتأني، فيجد المحاطب مقصود المتكلم بما فيه من اللذة واللفظ، وهذه الميزة توجد في القرآن الكريم خاصة. وللتقديم والتأخير في أسماء الله تعالى الحسنی فوائد وأسرار بلاغية خاصة في فهم مقصود ربنا عز وجل، فأردت أن أدلو بدلوي في هذا الموضوع بمبحث متواضع. والبحث في مثل هذا الموضوع شرف عظيم، لأن الله سبحانه وتعالى قد رغب في الدعاء بأسمائه الحسنی كما قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾¹.

وقال أيضا: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا ۚ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾².

وقال أيضا: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۚ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

قد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن له الأسماء الحسنی، فيه ندعو ويسبح له كل

¹ سورة الأعراف، 180.

² سورة الإسراء، 110.

³ سورة الحشر، 24.

خلقه. ولهذه الأسماء الحسنى أهمية بالغة، فأهمية فهمها فهما صحيحا تتضمن في العقيدة لأنها جزء مهم في الإيمان بألوهيته تبارك وتعالى، كما أنها من الموضوعات المهمة التي تدرس في علوم كثيرة، ومنها علم البلاغة. فهذا البحث يدرس ما يتعلق بهذه الأسماء الحسنى من الأسرار البلاغية في التقليم والتأخير بين الاسمين أو الصفتين لله تعالى.

قد ذكر الله تعالى في القرآن اسما منفردا أحيانا وفي أكثر الأحيان جاءت هذه الأسماء ثنائيا، فبطبيعة الحال يوجد في هذين الاسمين اسم مقدم وآخر مؤخر، فعلى هذا الأساس تكون هذه الأسماء التي جاءت ثنائية هي موضوع بحثي هذا.

فقبل الدخول في تفسير ابن عادل نستعرض أولا قصة مشهورة في هذا الموضوع لكي نعرف معرفة عامة لفائدة السياق في تحديد معنى الآية وفهمها:

حكى عن الأصمعي¹ أنه قال: كنت أقرأ "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم." وبجاني أعرابي فقال: كلام من هذا؟

قلت: كلام الله.

قال: أعد.

فأعدت.

قال: ليس هذا كلام الله.

فانتبهت فقرأت: والله عزيز حكيم.

فقال: أصبت، هذا كلام الله.

فقلت: أتقرأ القرآن؟

¹ هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن عني بن أصعق الباهلي (121-216هـ، 740-831م)، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. ولد وتوفي في البصرة. كان كثير التطوف في الروادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها. ثم اشتهر بين الناس بعلمه حتى أصبح جليس الخلفاء. له مؤلفات كثيرة في العديد من المجالات المختلفة، من أشهرها الأصمعيات. انظر: طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ج 1، ص 360.

قال: لا.

قلت: من أي شيء علمت؟

قال: يا هذا عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع.¹

لقد لاحظ الأعرابي بفطرته السليمة أن الآية تتحدث عن حكم شديد من أحكام الإسلام وهو قطع اليد للسارق درءا للمفاسد وتخويفا لغيره، فليس من المعقول أن تنتهي الآية بكلمة "غفور رحيم"، لأن هذا المكان ليس محل المغفرة بل لتطبيق الحدود.

من هذه القصة ندرك بوضوح إحصائية كلام الله تعالى وتفوقه على كلام الناس، كما تقدم القصة لنا فائدة السياق في تحديد معنى الآية وفهمها فهما صحيحا. وأيضا منها نعرف أن ترتيب الصفات المختلفة له علاقة قوية بالسياق أيضا، ففي هذه الآية أن الله عزير لا غالب له فحكم بحكمة، فيها تقدم السبب على المسبب.

الآن نأتي إلى الآيات التي ذكرها ابن عادل وشرحها في تفسيره، منها:

أ- تقديم العليم على الحكيم:

ذكر ابن عادل أولا تقدم العليم على الحكيم في قوله تعالى:

1- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾².

في هذه الآية تقدم "العليم" على "الحكيم"، فبين ابن عادل سبب هذا التقديم لأنه هو المتصل به في قوله "وعلم"، وقوله "لا علم لنا" فناسب اتصاله به، ولأن الحكمة ناشئة عن

¹ ذكرت هذه القصة في حاشية القنوي على تفسير الإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى

2001م، ج 5، ص 163.

² سورة البقرة، 31-32.

العلم وأثر له وكثيرا ما تقدم صفة العلم عليها.¹

الحكمة تنشأ من العلم، فمن كلامه نعرف أن تقدم العلم على الحكمة في الآية يتعلق بما قبلها، فذكر الله تعالى أنه علم آدم الأسماء كلها، فلا بد من حكمة في هذا التعليم، وقال الملائكة: "إنك أنت العليم الحكيم" فكأنهم قالوا: أنت العالم بكل المعلومات فأمكنك تعليم آدم، وأنت الحكيم في هذا الفعل المصيب فيه.

هذا رأي ابن عادل، فهو بين لنا سبب تقدم "عليم" على "حكيم" مع الإشارة بوضوح إلى دور السياق والمناسبة في ترتيبهما. فكلامه وشرحه في هذا وجيه وجميل لأن لكل واحد في شرح مثل هذه الآية رأيه الخاص المقبول بشرط ألا يكون رأيه مخالفا للعقائد والشرعية وسنن الله تعالى. فكل مفسر فسر وشرح الآية حسب عقله وفهمه، ويتناولها من جانب من جوانبها.

فلعلماء آخرين من السلف والخلف آراء في هذه الآية فسنستعرض بعضا من آرائهم لمعرفة سر هذا التقدم، ولنعرف تأثيره عليهم في هذه المسألة.

أشار أبو حيان إلى حسن جواب الملائكة لكلام الله تعالى بتقديمهم بين يدي الله تعالى، ثم اعترافهم بجهلهم، ثم نسبتهم إلى الله تعالى العلم والحكمة. ثم بين أن "تقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به في قوله "وعلم" و"أنبئوني" و"لا علم لنا"، فالذي ظهرت به المزية لآدم والفضيلة هو العلم، فناسب ذكره متصلا به، ولأن الحكمة إنما هي من آثار العلم وناشئة عنه"، ثم أشار أيضا إلى أن أكثر ما جاء في القرآن الكريم تقدم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة مبينا سببه بأن يكون آخر مقالهم مخالفا لأوله حتى رجوعهم عن قولهم "أجعل فيها" وعلى القول "الحكيم".²

¹ تفسير اللباب، ج 1، ص 522.

² تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 297-298.

فقد وجدت هذا الرأي عند السمين الحلبي، لأن الأخير أيضا قال إن تقدم "العليم" على "الحكيم" بسبب اتصال "العليم" بما قبله من قولهم "علم"، و"لا علم لنا"، فناسب هذا الاتصال. والحكمة تأتي بعد العلم، فقالت الملائكة بتقدم العليم على الحكيم.¹

فمن هنا نعرف أن ابن عادل تأثر بالسلف، ولكن في الحقيقة أن تأثر المفسر بالسابقين لا يعد مأخذا عليه، لأن الآراء والشروح لكثير من آيات الله تعالى واضحة ومقبولة عند كل الناس، فالمتأخرون يأخذون من المتقدمين بعض الآراء العلمية قابلين ومؤيدين لها هذا يحدث في كل زمان وعند كل العلماء.

وأما المتأخرون ومنهم أبو السعود، فقد قال "تلك الجملة تعليل لما سبق من قصر عليهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكأنهم قالوا أنت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الأرض من أنواع المخلوقات التي عليها يدور فلك خلافة الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة على ما في الأرض وبناء أمر الخلافة عليها.²

فقد أشار في كلامه هذا إلى سبب تقدم "العليم" على "الحكيم" وإن لم يبينه بشكل واضح إلا أنه بين أن تعليم آدم يعقبه "الحكيم" يدل على أن العلم وهذا التعليم لآدم عليه السلام دون تعليم الملائكة لا يفعله إلا ما تقتضيه الحكمة. فالحكمة تأتي بعد العلم دائما.

أما ابن عاشور الذي زمان عيشه قريب منا فقال في تفسيره: "وتعقيب العليم بالحكيم من اتباع الوصف بأخص منه فإن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم؛ لأن الحكمة كمال

¹ تفسير الدر المنصور، ج 1، ص 267.

² تفسير أبي السعود، ج 1، ص 86.

في العلم فهو كقولهم خطيب مصقع وشاعر مفلق.¹

فقد جاء ابن عاشور بشيء جديد، فرأى أن الحكمة كمال في العلم وهي الأخص فجاءت الحكمة بعد العلم.

من كلامهما نعرف أن المتأخرين مثلهما تأثروا بالمتقدمين قطعاً، وهم في الوقت نفسه استطاعوا أن يقدموا شيئاً جديداً يتسم بالجددة والصحة.

ب- تقديم السميع على العليم:

هناك بعض الآيات فيها تأخير الصفة "العليم" ولكن قبلها صفة أخرى، منها آية:

1- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾².

هذه الآية تتكلم عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد رفعهما قواعد الكعبة الشريفة أن يتقبل الله تعالى عملهما الصالح وخص الله هاتين الصفتين كما قاله ابن عطية لتناسبهما مع حالهما، ومعنى الصفتين هنا: "إنك أنت السميع لدعائنا والعليم بضمائرنا ونياتنا"³. فرأى ابن عادل أن تقدم صفة السمع للمجاورة، وإن كان سؤال التقبل متأخراً عن العمل، كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾⁴. وتأخرت صفة العلم، لأنها فاصلة ولأنها تشمل المسموعات وغيرها.⁵

فرأى ابن عادل في هذا التقديم واضح، فتقدم "السميع" عنده للمجاورة، لأن ما يجاورها هو دعاء إبراهيم وإسماعيل والدعاء أقرب إلى السمع فالسمع مقدم. وتأخير العلم هنا عنده

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 416.

² سورة البقرة، 127.

³ تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 211.

⁴ سورة آل عمران، 107.

⁵ تفسير اللباب، ج 2، ص 480.

للفاصلة، ولأنها أشمل من صفة السمع، فهذا تقدم صفة على صفة أشمل والصفة الأشمل في العربية دئما تأتي متأخرة عندما نصف شيئا بصفتين متقاربتين.

وهذا أيضا رأي السمين الحلبي¹ وأبي حيان² من قبله، وابن عاشور³ وغيرهم من المتأخرين.

ثم آية أخرى فيها تقدم "سميع" على "عليم"، ولكن ابن عادل رأى أن سبب هذا التقديم سبب آخر:

2- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁴.

فرأى ابن عادل أن هذه الآية تتكلم عن الحلف، وقوله تعالى ختم بهاتين الصفتين، لتقدم مناسبتهما، والحلف مناسب السمع، وإرادة البر والتقوى والإصلاح من فعل القلب يناسب العلم، فقدم السميع على العليم بسبب تقدم ما يناسبه وهو الحلف.⁵ وبشرحه نعرف معنى الآية أن الله تعالى يسمع إن حلفتكم، وإن تركتم الحلف للبر والتقوى فهو عليم يعلم ما في قلوبكم ونياتكم.

كما أن صاحب الدر المصون من قبله أيضا رأى هكذا.⁶ ثم العلماء بعدهما أيضا تأثروا بهما في هذا الرأي، منهم أبو حيان في تفسيره عند شرح هاتين الصفتين، فقال: "ختم هذه الآية بهاتين الصفتين لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع الحلف، لأنه من

¹ انظر: تفسير الدر المصون، ج 2، ص 115.

² انظر: تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 559.

³ انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 719.

⁴ سورة البقرة، 224.

⁵ تفسير اللباب، ج 4، ص 89.

⁶ انظر: تفسير الدر المصون، ج 2، ص 430.

المسموعات، والذي يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوى والإصلاح، إذ هو شيء محله القلب، فهو من المعلومات، فجاءت هاتان الصفتان منتظمين للعلة والمعلول، وجاءتا على ترتيب ما سبق، من تقدم السمع على العلم، كما قدم الحلف على الإرادة.¹ من هنا ندرك أن أبا حيان استفاد من سابقه إلا أنه فصل وأضاف أن علاقة هاتين الصفتين علاقة العلة والمعلول.

وفي آية أخرى جاء تقدم "السميع" على "العليم":

3- ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾².

قبل هذه الآية آية ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۖ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾³. فهذه الآية ترد على الذين لاهية قلوبهم بما أسروا من القول، فقال الله تعالى أنه يعلم القول في السماء والأرض، لأنه هو سميع لأقوالهم وعلیم بما انطوت عليه ضمائرهم. فهو تذييل مقرر لمضمون ما قبله بما فيه معنى الوعيد.

وأما عن سبب تقدم السميع على العليم، فقال ابن عادل بأنه لا بد من سماع الكلام أولاً ثم من حصول العلم.⁴

من كلامه نعرف أنه رأى أن هنا أيضاً كما تقدم في مثل هذه الآية تقدم العلة على المعلول ولوحظ فيها الترتيب الزمني.

وهكذا رأى الفخر الرازي قبله.⁵

¹ تفسير البحر المحیط، ج 2، ص 189-190.

² سورة الأنبياء، 4.

³ سورة الأنبياء، 3.

⁴ تفسير اللباب، ج 13، ص 451.

⁵ انظر: تفسير الرازي، ج 22، ص 143.

ج- تقديم العليم على القدير:

الآن نتكلم عن آية أخرى فيها تقدم العليم على القدير:

1- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾¹.

هذه الآية تتكلم عن علم الله تعالى وقدرته؛ لأن من هو قادر على شيء لا بد يحيطه بعلمه أولاً، فجاء الله تعالى بهاتين الصفتين هنا.

أما ابن عادل فبين في تفسيره سبب تقدم العليم على القدير قائلاً: "ما الحكمة في قوله ههنا:

وهو العليم القدير فقدم العلم على القدرة، وقوله من قبل: وهو العزيز الحكيم،² والعزة إشارة إلى كمال القدرة، والحكمة إشارة إلى كمال العلم، فقدم القدرة هناك على العلم؛ فالجواب أن المذكور هناك الإعادة ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ لأن الإعادة بقوله: كن فيكون، فالقدرة هناك أظهر وههنا المذكور الإبداء وهو أطوار وأحوال والعلم بكل حال حاصل، فالعلم ههنا أظهر ثم إن قوله تعالى: وهو العليم القدير، فيه تبشير وإنذار، لأنه إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب الذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم، وأما آية أخرى فالعلم بتلك الأحوال قبل العقاب فقال: وهو العزيز الحكيم.⁴

¹ سورة الروم، 54.

² ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة الروم، ٢٧.

³ سورة الروم، 27.

⁴ تفسير اللباب، ج 15، ص 429.

ظهر من هنا أن ابن عادل لم يبين سبب التقديم ههنا فحسب، بل بينه مع الاختلاف في التقديمين في الموضعين. فرأى أن السياق هو يحدد، فالسياق هنا يناسب تقديم العلم، وأما في آية أخرى فسياقها يناسب تقديم القدرة، وهذا ليس تعارضاً، بل هو يدل على علو أسلوب اللغة القرآنية وإعجاز التعبير الإلهي.

وقد استفاد ابن عادل من الفخر الرازي، فالرازي في تفسيره رأى الرأي نفسه في الاختلاف في التقديم في الموضعين، وبين سبب هذا الاختلاف بالكلام نفسه. فقال: "فالعزة إشارة إلى تمام القدرة والحكمة إلى العلم، فقدم القدرة هناك وقدم العلم على القدرة ههنا."¹

د- تقديم التواب على الرحيم:

ثم نأتي إلى الآيتين فيهما تقديم التواب على الرحيم:

1- ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾².

هذه الآية تتكلم عن قبول الله تعالى لتوبة آدم عليه السلام لأن الله تعالى هنا يقص لنا كيفية إزالال آدم وزوجه الشيطان بسبب خطئهما،³ فقال ابن عادل إن تقديم "التواب" على "الرحيم" لمناسبة "فتاب عليه"، ولأنه مناسب لحتم الفواصل بالرحيم.⁴

من كلامه الواضح نستطيع أن نعرف أن مجيء "التواب" في الآية لمناسبة هذه القصة وقوله تعالى "فتاب عليه"، لأن الله قبل توبة آدم عليه السلام فهو تواب، وهذا يدل على أنه رحيم به وبالتوابين، فيعقبه "الرحيم" لیتتم هذا المعنى الجليل، هذا من تقديم السبب على

¹ انظر تفسير الرازي، ج 25، ص 137.

² سورة البقرة، 37.

³ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۚ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سورة البقرة، 36.

⁴ تفسير اللباب، ج 1، ص 577.

المسبب، مع أن يكون هذا أيضا من حسن ختم الفواصل لهذه الآية.

هذا رأي ابن عادل في هاتين الصفتين في هذه الآية، حيث إنه استفاد من السمين الحلبي الذي أشار إلى أن تقدم "التواب" على "الرحيم" لفائدتين: المناسبة لما قبلها وحسن الختم.¹

وأما ابن عطية فقد بين فائدة أعمق لهذا الترتيب قائلا: "وفي قوله تعالى 'إنه هو التواب الرحيم' تأكيد فائدته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله، لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه."²

وأبو حيان بعد ابن عطية قد جاء بالرأي نفسه مع بيان الفائدة لهذا التقدم، فأشار إلى أن أعقب الصفة الأولى بصفة الرحمة لأن قبول التوبة سببه رحمة الله لعبده، فتقدم التواب لمناسبته "فتاب عليه" ولحسن ختم الفاصلة. وهذا كله ترغيب من الله تعالى للعبد في التوبة والرجوع إلى الطاعة وإطماع في عفوه تعالى وإحسانه لمن تاب إليه.³

ثم الآلوسي بعدهم أيضا رأى الرأي نفسه، فقال إن جمع بين وصفي كونه توابا وكونه رحيمًا إشارة إلى مزيد الفضل، وقدم "التوبة" لظهور مناسبتها لما قبلها، وقيل في ذكر "الرحيم" بعده. إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب، بل على سبيل الترحم والفضل، وأنه الذي سبقت رحمته غضبه فيرحم عبده في عين غضبه فسبحانه من تواب ما أكرمه ومن رحيم ما أعظمه.⁴

فالآلوسي لم يأت بجديد، كل كلامه في هذا كلام سابقه.

أما ابن عاشور فقد قال "إنه هو التواب الرحيم" تذييل وتعليل للآية السابقة لأن يفيد

¹ انظر تفسير الدر المنصور، ج 1، ص 296.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 131.

³ انظر: تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 320.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 237-238.

مفادها مع زيادة التعميم والتذليل من الإطناب. ثم شرح سبب تقديم "التواب" على "الرحيم" "لأن الرحيم جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العودة للذنوب حتى تترتب عليه الآثام. وأما الإثم المترتب فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعده من الله".¹

فقد أشار ابن عاشور إلى أن تقديم التواب على الرحيم على أن الصفة الأولى لمناسبة ما قبلها، والصفة الثانية لتعليل الصفة الأولى. ثم كما فعل سابقوه أشار إلى فائدة هذا الترتيب.

ثم آية أخرى فيها أيضا تقديم "التواب" على "الرحيم":

2- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾².

هذا دعاء إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بعد رفعهما لقواعد البيت الشريف، فقد أشار ابن عادل إلى قاعدة مهمة عند شرح هذه الآية، فقال: "إذا أراد الله من العبد أن يجيب دعاءه، فليدع بأسماء الله المناسبة لذلك الدعاء، فإن كان الدعاء للرحمة والمغفرة، فليدع باسم الغفار والتواب والرحيم وما أشبهه، وإن كان دعاؤه لشر، فليدع بالعزیز والمنتقم، وبما يناسبه. ثم أشار إلى أن شرح هاتين الصفتين قد تقدم، أي أن سبب تقديم "التواب" على "الرحيم" هو كما تحدثنا في الآية السابقة، أن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- طلبا من الله تعالى التوبة عليهما فجاء هنا على فم إبراهيم -عليه السلام- صفة "التواب" لتناسب هذا الدعاء، ثم تعقبه صفة "الرحيم" ليبين أن هذه التوبة رحمة من الله لا من أنفسهم.

¹ انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 439.

² سورة البقرة، 128.

هـ - تقديم الغفور على الرحيم:

ثم ننظر إلى آية أخرى فيها تقدم صفة أخرى "غفور" على "رحيم":

1- ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

هذه الآية تتكلم عن من يخاف من موص جنفا أو إثما فيصلح بينه وبين الموصي فلا إثم عليه، لأن الله غفور للآثمين ورحيم بلآثم. فقال ابن عادل عن تقدم "الغفور" على "الرحيم" بأن هذا بسبب التنبيه بالأدنى على الأعلى، بمعنى أن الله يغفر الذنوب ثم يرحم المذنب، فكأن الله قال بأنني أوصل رحمتي وثوابي إليك، مع أنك تحملت المحن الكثيرة في إصلاح هذا المهم.

كما أنه أشار إلى احتمال آخر بأن مراد الآية أن ذلك الموصي الذي فعل الجنف والإثم متى أصلحت وصيته، فإن الله تعالى يغفر له ويرحمه بفضله. ثم شرح أيضا بأن المصلح يحتاج إلى الإصلاح في أفعاله وأقواله، فإذا أراد الإصلاح وترك هذه الأفعال والأقوال فلا يؤاخذ الله بها، لأن الله غفور أولا ثم رحيم بهذا المصلح لتركه هذه الأفعال والأقوال.²

فخلاصة كلام ابن عادل في هذا هي أن هذا من باب التنبيه من الأدنى إلى الأعلى، فالمصلح يغفر له الله بسبب نيته الإصلاح لأن كل الأعمال بالنيات، ثم يرحمه بسبب تركه الجنف والإثم وتبديلهما من باطل إلى حق، فيكون "الغفور" مقدم على "الرحيم".

ثم وجدت أن رأيه متأثر بالفخر الرازي،³ كما أن المفسرين بعدهما تأثروا بهما في شرح هذه المسألة، مثل أبي السعود⁴ والآلوسي¹ وابن عاشور²، كما أن هؤلاء المفسرين أضافوا في

¹ سورة البقرة، 182.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 248-249.

³ انظر: تفسير الرازي، ج 5، ص 73.

⁴ انظر: تفسير أبي السعود، ج 2، ص 154.

شرحهم أن تقدم "الغفور" مطابق بتقدم الإثم.

و- تقديم العزيز على الحكيم:

ثم نظر إلى آيات فيها تقدم العزيز على الحكيم، منها قوله تعالى:

1- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

قال ابن عادل إن تقدم قوله "العزيز" لأنها صفة ذات، وتأخر "الحكيم" لأنها صفة فعل.⁴ ولكنه اكتفى بهذا الكلام ولم يشرح لنا ما هي صفة ذات وما هي صفة فعل، كما لم يبين سبب تقدم صفة ذات على صفة فعل.

ثم وجدت هذا الرأي عند العلماء الآخرين، مثل الفخر الرازي⁵ والسمين الحلبي⁶ وأبي حيان⁷ وغيرهم، إلا أن الفخر الرازي شرح هذه المسألة شرحاً أكثر وضوحاً، فقال: "العزيز هو القادر الذي لا يغلب، والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئاً، وإذا كان عالماً قادراً كان ما يفعله صواباً ومبرراً عن العبث والفسف، ولو لا كونه كذلك لما صح منه إجابة الدعاء ولا بعثة الرسول، ولا إنزال الكتاب. واعلم أن العزيز من صفات الذات إذا أريد اقتداره على الأشياء وامتناعه من الهضم والذلة، لأنه إذا كان منزهاً عن الحاجات لم تلحقه ذلة المحتاج، ولا يجوز أن يمنع من مراده حتى يلحقه اهتضام، فهو عزيز لا محالة ... وأريد بالحكمة أفعال

¹ انظر: تفسير روح المعاني، ج 2، ص 56.

² انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 154.

³ سورة البقرة، 129.

⁴ تفسير اللباب، ج 2، ص 492.

⁵ تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 74.

⁶ تفسير الدر المنصور، ج 2، ص 120.

⁷ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 564.

الحكمة لم يكن الحكيم من صفات الذات، بل من صفات الفعل.¹ ثم أشار إلى الفرق الأساسي بين صفتين الذات والفعل بأن صفة الذات أزلية وصفة الفعل نسبية يعتبر في تحققه صدور الآثار عن الفعل.²

ثم قال أبو حيان في تفسيره بأن هاتين الصفتين جاءتا متناسبتين لترتيب ورود الأشياء ما قبلها، لأن إرسال الرسول لا يصدر إلا عمن اتصف بالعزة، وتعليم الكتاب والحكمة وتركيتهما طبعاً من الحكيم الذي هو كمال العلم. فترتيب هاتين الصفتين تناسبان ترتيب مضمون الآيات قبلهما. كما أنه أيضاً أشار إلى أن هذا التقديم هو تقديم صفة الذات على صفة الفعل. ثم بين أن تأخير الحكيم أيضاً للفاصلة كالفواصل قبلها، من حيث إن الآيات قبلها تنتهي بـ"العليم" و"الرحيم".³

من كلام هؤلاء العلماء نعرف أن تقديم "العزیز" على "الحكيم" أولاً لتناسب الآيات قبلها، ثانياً لتقديم صفة الذات الأزلية على صفة الفعل النسبية، ثالثاً لرعاية الفاصلة كالفواصل قبلها.

فجميع العلماء تأثروا بالسلف وأثروا على الخلف، فبعضهم أضاف شيئاً جديداً وبعضهم اكتفى بما هو موجود، والنظرة الشمولية وإحاطة جميع آراء العلماء مفيدة ومثمرة لفهم النص القرآني.

الآن نأتي إلى آية أخرى فيها أيضاً تقديم العزة على الحكمة:

2- ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁴.

هذه الآية تتكلم عن العذاب لمن زل من بعد ما علم أنه أذنب، وتدلل على أن

¹ تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 74.

² تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 74.

³ تفسير البحر المحیط، ج 1، ص 564.

⁴ سورة البقرة، 209.

العذاب أشد على العالم بالذنب من الجاهل به، وأيضا تدل على أن المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بعد البيان وإزاحة العلة.

قال ابن عادل في تقديم العزة على الحكمة هنا: "وقوله عزيز يدل على الزجر والتهديد والوعيد؛ لأن العزيز هو الذي لا يمنع عن مراده، وذلك إنما يحصل بكمال القدرة، وهو تعالى على كل الممكنات، فكأنه تعالى قال 'فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات' فاعلموا أن الله قادر عليكم، لا يمنعه عنكم مانع، وهذا نهاية في الوعيد، لأنه يجمع من ضروب الخوف ما لا يجمعه الوعيد بذكر العقاب، كقول السيد لعبده: إن عصيتني فأنت عارف بي، وتعلم قدرتي عليك، والآية كما أنها تدل على نهاية الوعد بقوله تعالى 'حكيم' فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسيء، فكما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسيء يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن، بل هذا أليق بالحكمة، وأقرب للرحمة، وهذه الآية تدل على أنه لا وجوب لشيء قبل الشرع، لأنه تعالى أثبت التهديد بشرط مجيء البينات وقبل الشرع لم تحصل كل البينات."¹

المعروف من كلامه أن ترتيب هذين الاسمين أيضا يأتي ليطابق ما ورد قبلهما، فالعزيز الذي لا غالب إلا هو قادر على العذاب بعد البيان لا مانع من منعه ذلك، وفي هذا العذاب حكمة لأنه الحكيم يعرف المسيء من المحسن فيسيء العذاب للمسيء ويحسن الثواب للمحسن فهذا محكم فيما يعاقبهم به لزللهم. فالله تعالى يأتي أولا بالاسم المطابق للمعنى في الآية ثم بالاسم الذي يبين المعنى ويتممه.

وهنا أيضا تأثر ابن عادل بكلام الفخر الرازي، فالرازي أجاب عن المسألتين في هذه الآية، أولهما: كيف يدل قوله "أن الله عزيز حكيم" على الزجر والتهديد، ثم جوابه لمن احتج

¹ تفسير اللباب، ج 3، ص 479-480.

بهذه الآية على عدم وجوب شيء قبل الشرع.¹ فجمع ابن عادل هذين الجوابين ليكون ما سبق من شرحه.

قد ذكر صاحب الكشف الزمخشري قصة فيه تدل على بلاغة هذين الاسمين هنا: "وروي أن قارئاً قرأ: غفور رحيم، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه."²

ثم في موضع آخر جاء الله بهذين الاسمين الترتيب نفسه:

3- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

قال ابن عادل عند شرح هذه الآية أولاً عن سبب الإتيان بهاتين الصفتين، فقال بأن ورود هاتين الصفتين يدل على كمال علم الله تعالى لأن معرفة الألوهية لا تحصل إلا بهما، لأن كونه قائماً بالقسط لا يتم إلا إذا كان عالماً بمقادير الحاجات، وكان قادراً على تحصيل المهمات.

ثم بين سبب تقدم الصفة العزيز على الصفة الآخرة الحكيم قائلاً: "وقد قدم 'العزيز' على 'الحكيم' لأن العلم بكونه تعالى قادراً متقدماً على العلم بكونه عالماً في طريق المعرفة الاستدلالية، فلما كان هذا الخطاب مع المستدلين - لا جرم - قدم ذكر 'العزيز' على 'الحكيم'".⁴

فالتقدم عنده هنا ما زال ليناسب السياق وترتيب ما سبق من الآية، كما يلعب السياق دوراً مهماً في تحديد معنى الآية والمعنى السري وراء الكلمات الظاهرة في كثير من

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 5، ص 229.

² تفسير الكشف، ج 2، ص 124.

³ سورة آل عمران، 18.

⁴ تفسير اللباب، ج 5، ص 101.

الآيات القرآنية التي تعتبر قمة الفصاحة والبلاغة.

الفخر الرازي أيضا رأى هكذا.¹ والعلماء بعدهما تأثروا بهما كمثّل أبي حيان فنقل منهما حرفياً،² وأبي السعود والذي ذكر المعنى نفسه في تفسيره بأسلوب بسيط: "وجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى"،³ والآلوسي أيضا نقل منهم الرأي نفسه فجعل "العزیز" ناظراً إلى قوله "لا إله إلا هو" و"الحكيم" ناظراً إلى قوله تعالى: "قائماً بالقسط".⁴

ثم تقدم "العزیز" على "الحكيم" في موضع آخر:

4- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁵.

القصص التي ذكرت في هذه الآية قصص عيسى بن مريم عليهما السلام، للرد على ادعاءات النصارى حولهما، إن ابن عادل عند شرحه لقوله تعالى "وإن الله هو العزيز الحكيم" أشار أولاً إلى أن هذا كمثّل لقوله تعالى "إن هذا هو القصص الحق" فيه جواب عن شبهات النصارى، ثم وضع هذا بأمرين والسر البلاغي لترتيب الصفتين متضمن في كلامه هذا: أحدهما: أنه قدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من القدرة لا يكفي في الألوهية، بل لا بد وأن يكون عزيزاً، غالباً، لا يدفع ولا يمنع، وأنتم اعترفتم بأن عيسى عليه السلام ما كان كذلك، بل قلتم: إن اليهود قتلوه. والثاني: أنهم قالوا: إنه كان يخبر عن الغيوب وغيرها، فكأنه تعالى قال: هذا القدر من

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 7، ص 224.

² انظر: تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 424.

³ انظر: تفسير أبي السعود، ج 2، ص 17.

⁴ انظر: تفسير روح المعاني، ج 3، ص 105.

⁵ سورة آل عمران، 62.

العلم لا يكفي في الألوهية، بل لا بد وأن يكون حكيماً، أي: عالماً بجميع المعلومات، ويجمع عواقب الأمور.

فذكر العزيز الحكيم ههنا إشارة إلى الجواب عن هاتين الشبهتين، ونظير هذه الآية ما ذكر تعالى في أول السورة من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ⁽¹⁾﴾.²

من كلامه نعرف أنه رأى أن هاتين الصفتين جاءتا للجواب على هاتين الشبهتين، والسر البلاغي للتقدم هنا مثل السر في أمثال هذه الآية التي سبق شرحها في هذا البحث، أي للمناسبة والمطابقة والعلة والمعلول.

وقد استفاد المفسر من كلام الفخر الرازي.³

ز- تقديم العزيز على الحميد:

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها أيضاً تقدم "العزيز" ولكن على صفة أخرى:

1- ﴿الرَّحْمَنُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ⁽¹⁾﴾.⁴

هذه الآية أول آية من سورة إبراهيم، قبل أن نعرف سبب تقدم "العزيز" على "الحميد" لا بد من معرفة سبب مجيء هاتين الصفتين في بداية السورة التي دائماً يعتبر مفتاحاً لفهم كل سورة، فلنتكلم أولاً عن موضوع هذه السورة.

فموضوع السورة: "الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده وإثبات الرسالة والبعث والجزاء وذكر القيامة وأهوالها والنار وعذابها والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية

¹- آل عمران، 6.

² تفسير الباب، ج 5، ص 293.

³ انظر: تفسير الرازي، ج 8، ص 93.

⁴ سورة إبراهيم، 1.

والآيات الكونية. وجو السورة هو من بيان حقيقة نعمة الله على البشر، وزيادتها بالشكر نصيب ملحوظ ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران، وفيها يعدد الله عز وجل نعمه على البشر مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وطالحهم، طائعهم وعصيتهم لعلهم يشكرون، ورد فيها تشبيه الإسلام بالكلمة الطيبة والكفر بالكلمات الخبيثة. "ومحور السورة هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور بالقرآن الكريم على يد النبي صلى الله عليه وسلم مصدقا لقوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾¹.

الآن نعرف أن هذه السورة تدور حول بعض الموضوعات المحورية من الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وإثبات الرسالة والجزاء خيره وشره ومجادلة المشركين إلى بيان حقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر. فالموضوعات الأولى التي تتعلق بالتوحيد والجزاء والمجادلة تحتاج إلى القدرة الكاملة المطلقة، فمجيئ الله بصفة "العزیز" يناسب هذا المعنى. ثم جاء بصفة أخرى "الحميد" وهي أيضا صفة تناسب الموضوعات الأخرى التي تتعلق بالنعمة والشكر. لأن من يستحق العبادة الخالصة لا بد أن يكون عزيزا لا يتحداه أحد وهذا الإيمان أكبر نعمة أعطاناها الله تعالى. ففي بداية هذه السورة العظيمة جاء الله تعالى بهاتين الصفتين.

وهذا مثل ما قال ابن عطية في تفسيره: "العزیز والحميد صفتان لاقتان بهذا الموضع، فالعزة من حيث الإنزال للكتاب، وما في ضمن ذلك من القدرة، واستجابة الحمد من جهة بث هذه النعمة في نصب هدايتهم."²

فترتيب هاتين الصفتين يناسب هذا المعنى، بسبب عزة الله نعبده وحده وبهذا يخرجنا الله من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى الإيمان ولا بد أن نشكره ونحمده على هذه النعمة

¹ انظر: التفسير الموضوعي، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ. د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م، ج 4، ص 2.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 3، ص 322.

الكبرى.

وقال ابن عادل عن تقديم ذكر العزيز على الحميد "لأن أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادرا، ثم بعد ذلك يعلم كونه عالما، ثم بعد ذلك يعلم كونه غنيا عن جميع الحاجات والعزيز هو القادر والحميد هو العالم الغني، فلذلك قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد."¹
فرأي ابن عادل كما شرحنا، أما العلماء الآخرون كمثّل الفخر الرازي فقد ذكر عشر مسائل عند شرح هذه الآية وفي جوابه للمسألة العاشرة ذكر سبب تقديم العزيز على الحميد بأن العلم بكون الله تعالى قادرا متقدما على العلم بكونه عالما بالكل غنيا عن الكل لا جرم قدم الله ذكر العزيز.²

من كلامه نستطيع أن نعرف بوضوح بأن ابن عادل في هذه المسألة أيضا تأثر بالرازي، ووافق رأيه تفسيره.

وبعض العلماء بعدهما أيضا تأثروا بهذا الرأي، منهم الألوسي، والذي قال في تفسيره الكلام نفسه إلا أنه أضاف السر البلاغي إلى هذا: "أن الحميد هو المحمود المثني عليه وهو سبحانه محمود بحمده لنفسه أزلا وبحمد عباده له تعالى أبدا، وأما ما ذكره في العزيز فهو قول لبعضهم، وقيل هو الذي لا مثل له وربما يقال على هذا: إن التقديم للاعتناء بالصفات السلبية كما يؤذن به قولهم: التخلية أولى من التحلية³ وكذا قوله تعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير."⁴

¹ تفسير اللباب، ج 11، ص 331.

² تفسير الرازي، ج 19، ص 76.

³ هذه القاعدة قد ذكرها الشيخ الألوسي في روح المعاني، والمراد من التخلية هو نفي الصفات السلبية ومن التحلية هو إثبات الصفات الإيجابية، فنفي الصفات السلبية أولى من إثبات الصفات الإيجابية، ولكن لم يذكر من قائل هذا الكلام، ويرى أن هذا الكلام لبعض الصوفية. والله أعلم.

⁴ انظر: تفسير روح المعاني، ج 13، ص 182.

ففي رأي الآلوسي أن التقديم هنا تقدم الصفات السلبية على الإيجابية، والتخلية قبل التحلية.

ح- تقديم الرؤوف على الرحيم:

قال الله تعالى:

1- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾¹.

قال ابن عادل في هاتين الصفتين: "والرأفة أشد الرحمة، فهي أخص منها، وقيل بينهما عموم وخصوص، فلا ترى فيه أكمل من الرحمة بالكيفية، والرحمة اتصال النعمة برقة يكون معها إيلام". ثم قال: "وإنما قدم على 'رحيم' لأجل الفواصل."²

من كلامه هذا نعرف أنه أولاً تحدث عن معنى الرأفة والفرق الدقيق بين الرأفة والرحمة، ثم أشار إلى أن تقدم "رؤوف" على "رحيم" لرعاية الفاصلة فحسب بدون بيان علاقة الصفتين بما قبلها.

أما العلاقة بين الصفتين وبما قبلهما، فكما بينها الفخر الرازي في تفسيره بأن لها وجوها: أحدها أن الله تعالى لما أخبر أنه لا يضيع إيماننا وهو رؤوف رحيم فكيف يتصور منه الإضاعة، وثانيها أنه لرؤوف رحيم فلذلك ينقلنا من شرع إلى شرع آخر وهو أصلح لنا وأنفع في ديننا ودنيانا، وثالثها أنه تعالى قال "وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله فكأنه تعالى قال وإنما هداهم الله ولأنه رؤوف رحيم."³

¹ سورة البقرة، 143.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 29.

³ تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 119.

كما أنه أشار أيضا إلى الفرق بين الرأفة والرحمة بأن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، والرحمة اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام. ثم بين سبب تقدم الرأفة على الرحمة بأنه تعالى ذكر الرأفة أولا بمعنى أنه لا يضيع أعمالهم ويخفف المحن عنهم، وذكر الرحمة ثانيا لتكون أعم وأشمل، بمعنى لا تختص رحمته بذلك النوع بل هو رحيم من حيث إنه دافع للمضار وجالب للمنافع معا.¹

فالفرق بين الرأفة والرحمة عند ابن عادل والفخر الرازي هو الفرق بين الأخص والأعم، فهذا التقدم هو تقدم الأخص على الأعم وإن كان ابن عادل لم يشر إليه بشكل مباشر.

ثم وجدت هذا الرأي عند العلماء الآخرين، ومنهم أبو السعود. فقد أشار إلى الفرق بينهما، فهو الفرق نفسه الذي أشار إليه ابن عادل والفخر الرازي، بالإضافة إلى بيان بأن الله ذكر أنه لرؤوف رحيم "تحقيق وتقرير الحكم قبلها وتعليل له، فإن اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة أن لا يضيع أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلق برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه أبلغ منه لما مر في وجه تقدم الرحمن على الرحيم.²

ثم جاء ابن عاشور قال: "وتقدم رؤوف ليقع لفظ رحيم فاصلة فيكون أنسب بفواصل هذه السورة لبناء فواصلها على حرف صحيح ممدود يعقبه حرف صحيح ساكن ووصف رؤوف معتمد ساكنه على الهمزة والهمزة شبيه بحروف العلة فالنطق به غير تام التمكن على اللسان وحرف الفاء لكونه يخرج من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا أشبه حرف اللين فلا يتمكن عليه سكون الوقف."³

من كلامه نجد أنه لم يبين هذه النقط كما بينها الفخر الرازي وأبو السعود إلا أنه وافق ابن عادل في سبب تقدم رؤوف على رحيم، أي لرعاية الفاصلة مع توضيح مفصل لكيفيته.

¹ تفسير الفخر الرازي، ج 4، ص 119.

² تفسير أبي السعود، ج 1، ص 174.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 26.

من هذه الشروح نعرف أن ابن عادل رأى هذا التقديم للفواصل، ولكن لم يبينه بشكل مباشر، فالعلماء قبله خاصة بعض العلماء بعده تكلموا عن معنى الصفتين وعلاقتهما بالسياق والسر البلاغي بشكل واضح ومفصل، إلا أن ابن عاشور وافقه في السر البلاغي لهذا التقديم مع توضيح هذا السر.

ط - تقديم العزيز على الرحيم:

الآن نأتي إلى آية أخرى فيها تقدم "العزيز" على "الرحيم":

1- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۚ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾¹.

من هذه الآيات نعرف أن الله تعالى هنا يتكلم عن قدرته على الانتقام من هؤلاء الكفرة، ونعمه على الناس بإنبات كل زوج كريم في الأرض، ثم أشار إلى أن أكثرهم بهذه النعم جاحدون، فجاء القرآن الكريم بصفتين تدلان على هذه المعاني. فالعزة تدل على القدرة فيستطيع الله أن يفعل ما يشاء بما فيها أيضا معنى التهديد والوعيد للكفرة، والرحمة تدل على هذه النعم العظيمة التي بدونها لفنت الأرض وكل ما عليها كما فيها معنى الوعد للمؤمنين.

وأما عن سبب تقدم "العزيز" على "الرحيم"، فقد قال ابن عادل - رحمه الله: "وإنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل: إنه رحيم لعجزه عن عقوبتهم، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز وهو الغالب القاهر، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعا."²

فرأى ابن عادل أن الله تعالى أثبت أولا أنه الغالب القاهر، ثم بين أنه رحيم بعباده مع أنه قادر على العقاب، ففي هذا الأسلوب والترتيب أكثر تأثيرا على نفوسهم وأكبر وقعا في

¹ سورة الشعراء، 7-9.

² تفسير اللباب، ج 15، ص 7.

قلوبهم لهذه النعمة.

هذا أيضا رأي أبي حيان من قبله،¹ لعل ابن عادل تأثر به في هذه المسألة.

وأما عن السر البلاغي لهذا التقديم فعند صاحب روح المعاني كلام آخر، فقد قال إن تقديم العزيز لأن ما قبله أبين في إظهار القدرة أو لأنه أدل على دفع المضار الذي هو أهم من جلب المصالح.²

فرأى الألوسي أن العزة تتعلق بما قبله أظهر وتشير إلى دفع المضار للناس ودفع المضار أقرب إلى نفوس الناس من جلب المصالح فالله تعالى قدمها في الذكر.

كما قلنا من قبل إن هذه الآراء كلها صحيحة من ناحية ما، بهذه الآراء المختلفة يسهل علينا فهم الآيات القرآنية.

هذه كل الأمثلة في تقديم صفة على صفة أخرى وكلام ابن عادل فيها وما كان يتأثر بالسلف أو يؤثر على الخلف.

من هذه الشروح نعرف أن مجيء صفة من صفات الله تعالى في القرآن الكريم أو تقديم صفة على أخرى في نهاية الآية ليس عبثا، بل له قاعدة ونظام، فهذه الصفات تتعلق بما قاله الله تعالى قبلها وبعدها، ولها أقوى علاقة بمناسبة الآية وسياقها. هذا هو المفتاح المهم لفهم الآية مثلها، بل للقرآن الكريم كله. فبهذا الطريق نستطيع أن نتجنب الكثير من الأخطاء في فهم كلام الله تعالى وتفسيره حتى نقدم للناس ما هو أقرب إلى الصواب والحقيقة عندما نتكلم عن موضوع يتعلق بالقرآن الكريم أو ما فيه من القضايا المختلفة.

بعد أن تحدثت عن التقديم في أسماء الله تعالى وصفاته، نأتي إلى ما يتعلق بقدراته ومشيئته وأفعاله وما يتعلق بالعبادات له، منه:

¹ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 7.

² انظر: تفسير روح المعاني، ج 19، ص 63.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹.

كما نعرف أن التوحيد هو أساس كل العقيدة الإسلامية، هو مثل المركز يدور حوله كل شيء، ففي السورة الفاتحة بعد أن بين الله لنا بعض صفاته ووصف نفسه بهذه الصفات، بدأ هذا الموضوع الأساسي ليبنى هذه الفكرة المهمة في قلوبنا في بداية هذا الكتاب المجيد، فجاءت هذه الآية تتكلم عن توحيد العبادة والاستعانة لله تعالى بشكل تقديم المفعول به الذي يفيد الحصر والاختصاص.

لكن في هذه الآية تقديم آخر قد تناوله المفسرون وبينوا السر البلاغي خلفه، وهو تقديم العبادة على الاستعانة.

فابن عادل تساءل أولاً عن سبب تقديم ذكر العبادة على ذكر الاستعانة، وفي ذهننا أن الاستعانة تكون دائماً قبل العبادة. ثم جاء بقولين:

أولهما: أن هذا يلزم من جعل الاستعانة قبل الفعل فقط، أما عند من يجعل التوفيق والاستعانة مع الفعل فلا فرق عنده بين التقديم والتأخير.

وثانيهما: أن للتقديم في الآية فائدة، فقال إن الاستعانة نوع تعبد، فكأن الله ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيله.²

ولكنه لم يشر إلى أي الرأيين أيده، فأنا أرجح الرأي الثاني وإن كان الرأي الأول أيضاً مقبول من ناحية ما بينه. ولكن نظراً إلى خصوصية اللغة القرآنية ومعانيها الفاضلة لا هنا بد من وجود معنى أعمق لهذه الظاهرة، فتوحيد العبادة لله أصل كل شيء وكل الأفعال التي تنبثق منه فروعها بما فيها الاستعانة وغيرها. فهكذا يناسب هذا التقديم مقصود هذه الآية فيظهر معنى التوحيد مرة أخرى بشكل أبين وأوضح مع تقديم المفعول به الذي يعمل العمل

¹ سورة الفاتحة، 5.

² انظر: تفسير اللباب، ج 1، ص 201-202.

نفسه معه. فهذه الطريقة الثنائية في الآية الواحدة يوضح تفوق كلام الله تعالى مع قوة مراده في تثبيت المعنى المقصود.

الآن نأتي إلى أسلاف ابن عادل الحنبلي لكي نعرف رأيهم في هذا. أولاً الشيخ الزمخشري قال في الكشف بأنه من جعل العبادة وسيلة قبل طلب الحاجة وهو الاستعانة ليستوجبوا الإجابة إليها¹. فرأى ابن عادل مثل رأي الزمخشري، فجعل العبادة أساساً ووسيلة للحاجة وإن كان تعبيره مختلفاً عما قاله صاحبنا.

وكذلك أبو حيان تأثر بما قاله الزمخشري وأخذ كلامه مباشرة². وكذلك البيضاوي فقال: "قدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي، ويعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة"³.

أما الفخر الرازي ففي تفسيره بين لنا خمسة أسباب لتقديم العبادة على الاستعانة من خمسة وجوه، فقال: "ههنا ذكر قوله تعالى إياك نعبد ثم ذكر عقبيه وإياك نستعين، فما الحكمة فيه؟ الجواب من وجوه:

الأول: كأنه المصلى يقول: شرعت في العبادة فأستعين بك في إتمامها، فلا تمنعني من إتمامها بالموت ولا بالمرض ولا بقلب الدواعي وتغيرها.

الثاني: كأن الإنسان يقول: يا إلهي إني أتيت بنفسي إلا أن لي قلباً يفر مني، فاستعين بك في إحضاره، وكيف وقد قال عليه الصلاة والسلام: قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، فدل ذلك على أن الإنسان لا يمكنه إحضار القلب إلا بإعانة الله.

الثالث: لا أريد في الإعانة غيرك لا جبريل ولا ميكائيل، بل أريدك وحدك وأقتدي في

¹ انظر: تفسير الكشف، ص 29.

² تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 142.

³ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمرو بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى 891هـ، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى 1421هـ/2000م، ج 1، ص 17.

هذا المذهب بالخليل عليه السلام لأنه لما قيد النمرود رجله ويديه ورماه في النار جاء جبريل عليه السلام وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: سله، فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي، بل ربما أزيد على الخليل في هذا الباب، وذلك لأنه قيد رجله ويديه لا غير، وأما أنا فقيدت رجلي فلا أسير، ويدي فلا أحركهما، وعيني فلا أنظر بهما، وأذني فلا أسمع بهما، ولساني فلا أتكلم به، وكان الخليل مشرفا على نار النمرود وأنا مشرع على نار جهنم، فكما لم يرض الخليل عليه السلام بغيرك معينا فكذلك لا أريد معينا غيرك، فإياك نعبد وإياك نستعين، فكأنه تعالى يقول: أتيت بفعل الخليل وزدت عليه، فنحن نزيد أيضا في الجزاء لأننا ثمت قلنا: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. وأما أنت فقد نجيناك من النار، وأوصلناك إلى الجنة، وزدناك سماع الكلام القديم، ورؤية الموجد القديم، وكما قلنا لنار النمرود: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فكذلك تقول لك نار جهنم: جز يا مؤمن قد أطفأ نورك لهي.

الرابع: إياك نستعين: أي : لا أستعين بغيرك، وذلك لأن ذلك الغير لا يمكنه إعانتي إلا إذا أعنتته على تلك الإعانة، فإذا كانت إعانة الغير لا تتم إلا بإعانتك فلنقطع هذه الوساطة ولنقتصر على إعانتك.

الخامس: قوله إياك نعبد يقتضي حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب فأردف بقوله وإياك نستعين ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة وما حصلت من قوة العبد، بل إنما حصلت بإعانة الله فالمقصود من شكر قوله وإياك نستعين إزالة العجب وإفناء تلك النخوة والكبر.¹

فمن كلام الرازي نعرف أنه شرح هذه المسألة بشكل أكثر تفصيلا ومنطقيا عقليا، كما أنه أيضا أشار إلى ما قاله الزمخشري وإن لم يصرح به في كلامه بشكل مباشر. ولعل صاحبنا

¹ تفسير الرازي، ج 1، ص 257.

ابن عادل أيضا تأثر به في هذه المسألة.

وأما العلماء الذين جاؤوا بعدهم فلهم في هذه المسألة كلام أيضا، منهم أبو السعود، فقد قال: "وتقدم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن ساعده الصفات المجرة عليه أيضا وأما الاستعانة فمن الأحكام المبنية على الصفات المذكورة ولأن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولأنه العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه، وقيل لأن تقدم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول هذا على تقدير كون إطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا، وقد قيل إنه لما أن المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لإقامة مراسلها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب الحال الحامد فإن استعانت به مسبقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعينه تعالى في إيقاعه، ومن البين أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله بإداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أفعاله وأحواله إلا الإقبال الكلي عليه والتوجه التام إليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولا وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرًا".¹

أما الألوسي فقال: "في سر تقدم فعل العبادة على فعل الاستعانة له وجوه:

الأول: أن العبادة أمانة كما قاله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.² فاهتم للأداء فقدم.

الثاني: أنه لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أو هم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما صدر عنه فعقبه بقوله: وإياك نستعين ليدل على أن العبادة مما لا تتم إلا بمعونة وتوفيق وإذن

¹ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 17.

² سورة الأحزاب، 72.

منه سبحانه.

الثالث: أن العبادة مما يقترب بها العبد إلى الله تعالى والاستعانة ليست كذلك فالأول أهم.

الرابع: أنها وسيلة فتقدم على طلب الحاجة لأنه أدعى للإجابة.

الخامس: أنها مطلوبة بالله تعالى من العبادة والاستعانة مطلوبهم منه سبحانه فتقدم العبد ما يريده مولاه منه أدل على صدق العبودية من تقديم ما يريده من مولاه.

السادس: أن العبادة واجبة حتما لا مناص للعبادة عن الإتيان بها حتى جعلت علة لخلق الإنس والجن فكانت أحق بالتقدم.

السابع: أنها أشد مناسبة بذكر الجزاء والاستعانة أقوى التثاماً بطلب الهداية.

الثامن: أن مبدأ الإسلام التخصيص بالعبادة والخلوص من الشرك والتخصيص بالاستعانة بعد الرسوخ.

التاسع: أن في تأخير فعل الاستعانة توافق رؤوس الأي.

العاشر: أن أحدها إذا كان مرتبطاً بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير.¹

أيضا منهم الشيخ ابن عاشور فقد قال: "وجه تقديم قوله إياك نعبد على قوله إياك نستعين أن العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقدم في المناجاة. وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجى ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تترتب على كونه معبودا للمستعين به ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل. وقد حصل في ذلك التقديم أيضا إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو التقريب في مخرج

¹ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 88.

من هذه الشروح والبيانات لمن بعد ابن عادل نعرف أنهم قد تأثروا بسابقيهم بشكل واضح، وعلى أساس رأيهم قد فصل أكثر وبين أسراراً أكثر لهذا التقديم، وكل هذه الأقوال مقبولة وصحيحة من ناحية ما حسب العقول والظروف. فأنا موافق لكل هذه الآراء، فكلها تساعدنا في فهم النص القرآني فهما كاملاً شاملاً. وهذا من المزايا القرآنية ودليل على إعجاز كلام الله تعالى على أنه يستخدم كلمات قليلة المباني ولكنها كثيرة المعاني، ولأجل غزارة المعاني يجد كل متأمل معنى جديداً حسب ظرفه وجهده ومستواه العلمي والعقلي بتوفيق ربه العلي القدير.

من بين الموضوعات العقائدية الإيمان بالله تعالى، ففي القرآن تحدث الله تعالى عن الإيمان به كثيراً، كما أنه دائماً يذكر معه الإيمان بالملائكة وبالرسل وإلى آخره، والإيمان بالله مقدم على الإيمانيات الأخرى في معظم الأحيان، ولكن في بعض الأحيان قد تأخر الإيمان بالله عن غيره، فما سبب هذا الاختلاف؟ وما حكمة تقديم الإيمان بالله في موضع وفي موضع آخر تأخيره؟

فمن تقدم الإيمان بالله تعالى آية:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾².

ففي هذه الآية تقدم الإيمان بالله تعالى على الإيمان بالأنبياء السابقين وكتبهم، قال ابن عادل عن سبب هذا التقديم: "قدم الإيمان بالله لأن من لا يعرف الله يستحيل أن يعرف نبياً

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 186.

² سورة البقرة، 136.

أو كتابا، فإذا عرف الله وآمن به عرف أنبياءه وما أنزل عليهم".¹

فمن كلامه نعرف أنه رأى أن الإيمان بالله هو الأساس والأصل تبني عليه كل الإيمانيات وهو الأهم فمن الطبيعي أن يتقدم في مثل هذه المناسبة وهذا السياق. فهذا رأي ابن عادل، الآن نأتي إلى آراء العلماء الآخرين، فننظر هل هناك رأي آخر تجاه هذا التقدم؟

أولا من سابقه الفخر الرازي، أنه أيضا رأى هكذا، فقال: "فإنما الإيمان بالله أصل الإيمان بالشرائع، فمن لا يعرف الله سبحانه استحال أن يعرف نبيا أو كتابا." ثم بهذه الآية رد على مذهب التعليمية والمقلدة القائلين بأن طريق معرفة الله تعالى هو الكتاب والسنة.² ثم ممن جاء بعدهم الآلوسي أيضا رأى هذا الرأي وقال الكلام نفسه بأن تقدم الإيمان بالله تعالى لأنه أول الواجبات ويتقدم معرفته تصح معرفة النبوات والشرعيات.³ ثم جاء ابن عاشور برأي آخر، فقال في تفسيره بأن تقدم الإيمان بالله تعالى هنا لأنه لا يختلف باختلاف الشائع الحق، ثم عطف عليه الإيمان بما أنزل من الشرائع.⁴ فأنا أوافق كلا الرأيين، إلا أنني أميل إلى الرأي الأول أكثر، لأنه أقرب إلى فهمي للآية، إذ إن الإيمان بالله هو الأصل لكل الشرائع.

ثم في هذه الآية تقدم الإيمان بالله تعالى على أعمال الجوارح: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

¹ تفسير اللباب، ج 2، ص 521.

² تفسير الرازي، ج 4، ص 91.

³ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 394.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 739.

عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

قال ابن عادل بأن تقدم الإيمان بالله تعالى هنا على أعمال الجوارح مثل إيتاء المال والصلاة والزكاة بسببين، الأول للتنبيه على أن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح؛ الثاني لأنه رأس الأعمال الدينية.²

من كلامه نعرف أنه رأى الرأي نفسه مع الآية التي شرحناها آنفا، إلا أنه أضاف إليها فائدة أخرى بأن الإيمان بالله هو من أعمال القلوب، وهو أشرف من أعمال الجوارح فقدم الإيمان على أعمال الجوارح.

ثم نجد أنه أيضا رأى الفخر الرازي، فقال الشيخ الرازي في تفسيره بأن التقدم هنا بسبب أشرفية الإيمان، ولكن لم يذكر الفائدة الثانية كما جاء في كلام ابن عادل.³

كما أنه أيضا رأى أبي حيان، فهو لم يشرح سبب تقدم الإيمان على أعمال الجوارح فحسب، بل شرح أيضا سبب تقدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، فقال: "وقدم الإيمان بالله واليوم الآخر على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل لأن المكلف له مبدأ ووسط ومنتهى، ومعرفة المبدأ والمنتهى هو المقصود بالذات وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر، وأما معرفة مصالح الوسط فلا تتم إلا بالرسالة، وهي لا تتم إلا بأمور ثلاثة الملائكة الآتين بالوحي والموحى به وهو الكتاب والموحى إليه وهو الرسول.

وقدم الإيمان على أفعال الجوارح وهو إيتاء المال والصلاة والزكاة، لأن أعمال القلوب اشرف من أعمال الجوارح، ولأن أعمال الجوارح النافعة عند الله تعالى إنما تنشأ عن الإيمان،

¹ سورة البقرة، 177.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 204، 209.

³ انظر: تفسير الرازي، ج 5، ص 43.

وبهذه الخمسة التي هي متعلق الإيمان حصلت حقيقة الإيمان.¹

فهذا رأي أبي حيان في هذا التقديم، من هنا نستطيع القول بأن ابن عادل من الممكن أنه تأثر برأي السابقين فيه فجاء بكلامه جامعا فيه آراء سابقيه.

ثم من الآيات التي فيها تقدم الإيمان بالله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾².

في هذه الآية قد أشار ابن عادل إلى التقديمين، الأول تقدم الإيمان بالله تعالى على الإيمان بالأنبياء، والثاني هو تقدم القرآن على الكتب السابقة، كما أنه أشار في بداية الأمر أنه من كلام الرازي وهو نقل منه، فقال: "قال ابن الخطيب: قدم الإيمان بالله على الإيمان بالأنبياء لأن الإيمان بالله تعالى أصل الإيمان بالنبوة، ثم في المرتبة الثانية قدم ذكر الإيمان بما أنزل عليه لأن كتب سائر الأنبياء حرفوها وبدلوها، فلا سبيل إلى معرفة أحوالها إلا بالإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فكأن ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كالأصل لما أنزل على سائر الأنبياء، فلذا قدمه."³

فابن عادل في هذا الموضع أشار إلى أنه نقل من الرازي بشكل مباشر، هذا طبعاً يدل على أنه مع الرازي في سبب التقديمين هنا. فسبب كلا التقديمين في الحقيقة واحد، حيث إن تقدم الإيمان لأنه أصل، عنه تنشأ كل الإيمانيات، وأما تقدم القرآن الكريم مع تأخر زمان نزوله فلأنه أيضاً أصل لمعرفة سائر الكتب السابقة لأن كلها محرفة أو ضائعة، فبدون القرآن الكريم لا يمكن لنا معرفة صحيحة لهذه الكتب الأخرى.

وهذا كما قال أبو السعود بعدهما، حيث قال بأن تقدم المنزل على نبينا عليه الصلاة

¹ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 5.

² سورة آل عمران، 84.

³ انظر: تفسير اللباب، ج 5، ص 370، وتفسير الرازي، ج 8، ص 136.

والسلام على سائر الكتب السابقة مع تقدمه عليه نزولا "لأنه المعروف له والعيار عليه".¹
فأبو السعود أيضا رأى بأن تقدم القرآن على الكتب السابقة بسبب أصلية القرآن في معرفته، فهو عيار به نعرف الكتب الأخرى.

وأما المفسر الآخر الشيخ الألوسي فرأى أيضا هكذا في تقدم القرآن على الكتب الأخرى، إلا أنه أضاف سببا آخر لهذا التقدم، فقال: "وقدم المنزل عليه الصلاة والسلام على المنزل عليهم إما لتعظيمه والاعتناء به، أو لأنه المعروف له ومعرفة المعروف له تتقدم على معرفة المعروف".²

من كلامه نعرف أن الألوسي أضاف التعظيم والاعتناء به كسبب تقدم القرآن الكريم على كتب الأنبياء الآخرين، وهذا في الحقيقة ليس من شيء جديد، لأن كل التقدم عند العرب وفي العربية للاهتمام والاعتناء، وسبب الاختلاف بين التقديمات المختلفة يكمن في من أين جاء هذا الاهتمام، وما دلالاته.

منها آية أخرى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.³

في هذه الآية أيضا رأى ابن عادل ما رأى في الآيات السابقة، فتقدم الإيمان بالله تعالى هنا بسبب أنه الأصل والإيمان بالنبوة والرسالة فرع عليه، والأصل يجب تقديمه.⁴ وهذا أيضا رأي العلماء الآخرين.⁵

¹ انظر: تفسير أبي السعود، ج 2، ص 55.

² تفسير روح المعاني، ج 3، ص 215.

³ سورة الأعراف، 158

⁴ تفسير اللباب، ج 9، ص 346-347.

⁵ انظر: تفسير الرازي، ج 15، ص 32، وتفسير البحر المحيط، ج 4، ص 404، وإلى آخره.

فمن هذه الآيات التي فيها تقدم الإيمان بالله تعالى وشروح العلماء لها، نعرف أن الإيمان بالله تعالى هو الأصل والإيمانيات الأخرى فروع لا يمكن أن تبني الفروع إلا على أساس هذا الأصل القوي، فمن الأولى تقديمه، وهذا اتفق عليه كل العلماء قديما وحديثا. ولكن في القرآن بعض الآيات التي فيها تأخير الإيمان بالله تعالى عن شيء آخر فما سببه وما علاقته بالسياق والمناسبة؟ وهذا قد أشار إليها ابن عادل في تفسيره، منها:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾¹

في هذه الآية تقدم الطاعة على الإيمان، على قول ابن عادل: "وإن كانت إجابة العبد لله تعالى عبارة عن الطاعات كان الإيمان مقدما على الطاعات، وكان حق النظم أن يقول: فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي، فلم جاء العكس؟ فالجواب أن الإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا يدل على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان، إلا بتقدم الطاعات والعبادات."² فتقدم الدعاء على الإيمان هنا عند ابن عادل ليبين الله لنا أن العبد لا يدرك الإيمان إلا بالعبادات الخالصة.

في الحقيقة هنا ما لم يبينه ابن عادل هو علاقة سياقية في الآية، فالآية تتكلم عن أن الله تعالى قريب من العباد ومحيب دعواتهم، فجاء الله بالأمر باستجابتهم له تعالى مباشرة لتعزيز هذا المعنى وزيادة تقريره في قلوبهم. ثم جاء الله تعالى بالإيمان به ليبين أن الدعاء لله خالصا من الإيمان وهو متمم لهذا المعنى الجليل، وبهذا لعلهم يرشدون.

وهذا أيضا رأي الفخر الرازي في تفسيره.³

ثم من الآيات التي فيها تأخير الإيمان بالله تعالى:

¹ سورة البقرة، 186.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 301-302.

³ تفسير الرازي، ج 5، ص 109.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹

في هذه الآية يبين الله تعالى لنا بأننا خير أمة في العالم وسببه، فيه تقلد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله تعالى، والحق كما شرحناه في الآيات السابقة أن الإيمان بالله أصل كل الطاعات والعبادات فمن الأولى تقديمه، فلماذا العكس هنا ؟

فأجاب ابن عادل عن هذا السؤال قائلا: "أن الإيمان بالله مشترك فيه بين جميع الأمم المحقة، إنه تعالى ذكر أن فضل هذه الأمة أقوى حالا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سائر الأمم، فالمؤثر إذن في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الإيمان بالله فهو شرط لتأثير هذا المؤثر في هذا الحكم، لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصر شيء من الطاعات وصفا من صفات الخيرية."²

من كلامه نعرف أنه رأى أن الإيمان بالله مشترك بين الأمم، فهذه الآية تبين أخص الخصوصيات وأقوى المؤثرات لهذه الأمة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الميزة أصبحت الأمة خير أمة قائمة في العالم، فقدم الله تعالى هذه الميزة في الذكر ليوضح لنا أهميتها كما أنه تعالى أخبرنا أن السبب لكوننا خير أمة لأجل الخصال الحميدة، ثم بما يتم الإيمان، كما فيها تشجيع لنا عليها.

وهذا كما قاله الفخر الرازي بأنه ثبت أن الموجب لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما الإيمان فهو شرط التأثير، والمؤثر ألصق بالأثر من شرط التأثير، فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر

¹ سورة آل عمران، 110.

² تفسير اللباب، ج 5، ص 468.

الإيمان.¹

وصاحب البحر المحيط أيضا قال الكلام نفسه في تفسيره،² فمن الواضح أن كلا من أبي حيان وابن عادل تأثرا بالرازي في هذه المسألة إلا أن أخيرهم تكلم كلاما أكثر دقة وتفصيلا.

وأما أبو السعود فبين سبب هذا الترتيب من ناحية أخرى، فقال إن تأخير الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لأنهما أدل على خيرية هذه الأمة من دلالة عليهما، كما أن تأخيره أيضا ليقترن به ما قاله تعالى فيما بعد: ولو آمن أهل الكتاب.³

فجاء أبو السعود بشيء جديد بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أظهر في الدلالة على خيرية أمتنا، وهذا قريب من رأي سابقه، إلا أنه زاده تفصيلا بأن تأخير الإيمان للاقتزان بكلامه تعالى بعد هذا. فكلامه يراعي سياق الآية من قبله ومن خلفه، فرأيه أشمل ومرجح عندي.

وأما الشيخ الآلوسي فجمع كل هذه الآراء في تفسيره وقال أيضا إن التقدم هنا للاهتمام به. وهذا طبعا تأثر واضح بهم ولم يأت بجديد.

وكذلك الشيخ ابن عاشور على هذا الرأي من ناحية السياق أيضا، فقال تقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهما الأهم في هذا المقام المسوق للتنويه بفضيلتهما. ثم أشار إلى قاعدة مهمة وهي أن الاهتمام هو سبب التقدم ولكن يختلف باختلاف مقامات الكلام ولا ينظر إلى ما في الأمر نفسه لأن إيمانهم ثابت محقق.⁴

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 8، ص 197.

² تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 31.

³ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 71.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص 50.

ثم في آية أخرى تقدم الشكر على الإيمان: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ
وَأَمَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾¹.

في هذه الآية تقدم الشكر على الإيمان، قد جعل ابن عادل فصلا مستقلا لبيان ثلاثة
وجوه لهذا التقدم، الأول كما قال إنه على التقدم والتأخير، أي آمنتم وشكرتم، لأن الإيمان
مقدم على سائر الطاعات، ولا ينفع الشكر مع عدم الإيمان. والثاني أن الواو لا توجب
الترتيب. الثالث أن الإنسان إذا نظر إلى نفسه، رأى النعمة العظيمة في تخليقها وترتيبها،
فيشكر شكرا مجملا بها، ثم إذا تمم النظر في معرفة المنعم، آمن به ثم شكر شكرا مفصلا،
فكان ذلك الشكر الجمل مقدما على الإيمان، فلهذا قدم عليه في الذكر.²

فابن عادل قدم لنا ثلاثة آراء في هذا التقدم، وكل واحد يتناول ناحية مختلفة، فلا
يصح أن نحكم على هذه الثلاثة بالصحة أو الخطأ، لعلها كلها صحيح إلى حد ما من
ناحيته الخاصة والله أعلم.

ثم نجد أن الرأي الثالث هو رأي الشيخ الزمخشري، وقد تساءل الشيخ في الكشف لم
قدم الشكر على الإيمان، فأجاب إجابة متطابقة مع الرأي الثالث من الآراء الثلاثة السابقة
وإن كان الكلام مختلفا قليلا.³

أما المفسرون الآخرون بعد الزمخشري فتأثروا به في هذه المسألة، إلا أن بعضهم أضاف
بعض الآراء الجديدة، منهم الفخر الرازي، فقال ثلاثة آراء كما قاله ابن عادل. فهو تأثر
بالزمخشري بالرأي الثالث، وأثر بلا شك في ما أتى به ابن عادل من الرأيين الأولين.⁴

ثم جاء أبو حيان مؤيدا للرأي الثالث، أي رأي الزمخشري، لكنه أبعد من قال إنه على

¹ سورة النساء، 147.

² تفسير الباب، ج 7، ص 94.

³ انظر: تفسير الكشف، ص 267-268.

⁴ انظر: تفسير الرازي، ج 11، ص 90.

التقديم والتأخير، أي: إن آمنتم وشكرتم. كما أنه فصل القول بأن الشكر على الحقيقة لا يكون إلا مقترنا بالإيمان، لكنه ذكر الإيمان تأكيدا وتنبهها على جلالته موقعه.¹

ثم نجد الشيخ الآلوسي بعدهم جاء برأي آخر مع شرح مفصل، فقال: "وإنما قدم الشكر مع أن الظاهر تأخيره لأنه لا يعتد به إلا بعد الإيمان لما أنه طريق موصل إليه في أول درجاته." ثم نقل من عالم آخر بأن "الشكر في الأصل اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم وله ثلاث درجات لأنه إذا نظر إلى النعمة كالرزق والخلق ينبعث منه شوق إلى معرفة المنعم وهذه الحركة تسمى باليقظة. والشكر القلبي. والشكر المبهم لأن منعمه لم يتضح له تعيينه، وإنما عرف منعمه ما فهو منعم عليه فإذا تيقظ لهذا وفق لنعمة أكبر منها، وهي المعرفة بأن المنعم عليه هو الصمد الواسع الرحمة الميثب المعاقب فتتحرك جوارحه لتعظيمه." ثم رد على من قال إنه على التقديم والتأخير قائلا: "فالمذكور في الآية هو الشكر المبهم وهو مقدم على الإيمان، فلا حاجة إلى ما زعمه الإمام من أن الكلام على التقديم والتأخير أي آمنتم وشكرتم."

كما أنه رد على الرأي الثاني من الآراء الثلاثة لابن عادل، قائلا: "بأن هذا السؤال إنما هو على التقدير أن تكون الواو للترتيب، وأما إذا لم تكن للترتيب فلا سؤال فمما لا ينبغي أن يتفوه به من له أدنى ذوق في علم الفصاحة والبلاغة لأن الواو وإن لم تفد الترتيب لكن تقدم ما ليس مقدما لا يليق بالكلام الفصيح فضلا عن المعجز، ولذا تراهم يذكرن لما يخالفه وجهها ونكتة." كما أنه ذكر كلام النيسابوري فيه وجه آخر في التقديم بناء على إفادة الواو للترتيب، فقال: "لعل الوجه في ذلك أن الآية مسوقة في شأن المنافقين ولا نزاع في إيمانهم ظاهرا وإنما النزاع في بواطنهم وأفعالهم التي تصدر عنهم غير مطابقة للقول اللساني، فكان تقديم الشكر ههنا أهم لأنه عبارة عن صرف جميع ما أعطاه الله تعالى فيما خلق

¹ تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 397.

لأجله حتى تكون أفعاله وأقواله على نهج السداد وسنن الاستقامة."

ثم نقل كلام العلامة الطيبي لشرح علاقة التقديم بالنظم والسياق، فقال إن الذي يقتضيه النظم الفائق أن هذا الخطاب مع المنافقين، وإن قوله تعالى "ما يفعل الله بعذابكم" متصل بقوله تعالى "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً"، وتنبه لهم على أن الذي ورطهم في تلك الورطة كفرانهم نعم الله تعالى وتهاونهم في شكر ما أوتوا وتفويتهم على أنفسهم ونفاقهم البغية العظمى، وهو الإسعاد بصحبة أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم والانخراط في زمرة الذين "مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل" فإذا تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله تعالى وأخلصوا دينهم له فأولئك حكمهم أن ينتظموا في سلك أولئك السعداء من المؤمنين بعد ما كانوا مستأهلين الدرجات السفلى من النيران، ثم التفت تعريضا لهم أن ذلك العذاب كان منهم وبسبب تقاعدهم وكفرانهم تلك النعمة الرفيعة وتفويتهم على أنفسهم تلك الفرصة السنية، إلا فإن الله تعالى غني مطلق عن عذابهم فضلا على أن يوقعهم في تلك الورطات، فقلوه عز وجل "إن شكرتم" فذلكة لمعنى الرجوع عن الفساد في الأرض إلى الإصلاح فيها، ومن اللجأ إلى الخلق إلى الاعتصام بالله تعالى، ومن الرياء في الدين إلى الإخلاص فيه، فقلوه عز وجل من قائل "وآمنتم" تفسير له وتقرير لمعناه أي وآمنتم الإيمان الذي هو حائز لتلك الخلال الفواضل جامع لتلك الخصال الكوامل، فتقديم الشكر على الإيمان وحقه التأخير في الأصل إعلام بأن الكلام فيه، وأن الآية السابقة مسوقة لبيان نعمة الله تعالى العظمى والكفر تابع فإذا أحر الشكر أخل بهذه الأسرار واللطائف.¹

هذا ما قال الشيخ الألوسي في تقديم الشكر على الإيمان، ففصل القول تفصيلا. أولا نقد بعض الآراء للعلماء السابقين، منها الرأي الأول والثاني الذين ذكرهما ابن عادل، ثم أيد الرأي الثالث من آراء ابن عادل الثلاثة، إلا أنه بالإضافة إلى نقل قول بعض العلماء الآخرين

¹ انظر: تفسير روح المعاني، ج 5، ص 179-180.

لشرح أسرار تقديم الشكر على الإيمان هنا ولطائفه، ودور النظم والسيق في تحديد هذه الأسرار معرفتها. فكلامه في هذا التقديم هو أكثر وضوحاً وتفصيلاً، فرجح رأياً من الآراء العدة بالأدلة والشرح الوافي.

ثم نذكر بعض الآيات التي تتكلم عن إرادة الله تعالى وقدرته وأفعاله:

الآية الأولى التي فيها تقدم إرادة الله ومشيتته: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾¹.

في هذه الآية تقدم إرادة الله تعالى على إرادة مبتغي الشهوات، هذا طبعاً من تقدم الأصل على الفروع، وإرادة الله مقدمة على الإرادات الأخرى، ولكن ابن عادل هنا أشار إلى فائدة أخرى تتعلق بالآية السابقة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾² وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ³. فقال إن تكرار إرادة الله تعالى التوبة على عباده تقوية للإخبار الأول وليس القصد في الآية إلا الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشهوات فقدمت إرادة الله توطئة مظهرة لفساد إرادة مبتغي الشهوات.³ كما أنه أشار أيضاً إلى أن هذا الرأي استفاد من ابن عطية.⁴

من هذا الكلام نعرف أن ابن عادل رأى أن تقدم إرادة الله تعالى هنا لإظهار فساد إرادة مبتغي الشهوات، وإرادة الله تعالى توطئة لها. فمن هذه الناحية إن ذكر إرادة الله تعالى في هذه الآية ليس تكراراً لإرادة الله من الآية السابقة، بل له معنى زائد. وهذا كمثّل الآية التالية⁵ فيها ذكر إرادة الله تعالى مرة أخرى وفي تكرارها معنى وفائدة.

¹ سورة النساء، 27.

² سورة النساء، 26.

³ تفسير اللباب، ج 6، ص 332.

⁴ انظر: تفسير المحرر الوجيز، ج 2، ص 40.

⁵ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ^٥ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، سورة النساء، 28.

والسمين الحلبي في تفسيره أيضا نقل هذا الرأي وتأثر كذلك بابن عطية.¹ وكذلك أبو حيان تأثر به أيضا في تفسيره البحر المحيط.²

ثم نأتي إلى الآية التي فيها تأخير مشيئة الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾³.

هذه الآية تتكلم عن يوم أحد وما أصاب المسلمين بعد الفشل، ففيها تقدم الإصابة على إذن الله تعالى، لأن بإذنه تعالى يحدث كل شيء فلم قدم الإصابة على إذنه؟ أجاب ابن عادل عن هذا السؤال ناقلا عن ابن عطية: "يحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء، وكذلك ترتيب هذه الآية، فالمعنى إنما هو، وما أذن الله فيه فهو الذي أصابكم، لكن قدم الأهم في نفوسهم والأقرب إلى حسهم."

ثم أضاف ابن عادل بأن هذا حسن من حيث المعنى، فإن الإصابة مرتبة على الإذن من حيث المعنى، وأشار بقوله: الأهم والأقرب إلى ما أصابهم يوم التقى الجمعان.⁴ وهذا رأي السمين الحلبي، فقد نقل من ابن عطية أيضا بالأشارة إلى هذا النقل.⁵

ثم إلى الآية التي فيها تقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁶.

في هذه الآية تقدم الكفر على الإيمان، تحدث ابن عادل عن هذا في نقطتين، أولاهما

¹ انظر: تفسير الدر المصون، ج 3، ص 661.

² انظر: تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 236.

³ سورة آل عمران، 166.

⁴ انظر: تفسير اللباب، ج 6، ص 39؛ وتفسير الوحرر الوجيز، ج 1، ص 538.

⁵ انظر: تفسير الدر المصون، ج 3، ص 475.

⁶ سورة البقرة، 256.

الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت قبل الإيمان، والثانية هي أن تقدم الكفر بالطاغوت يناسب اتصاله بلفظ قبله "الغي". ولكن نعرف أن التقديم دائما يأتي من الاهتمام، ففي موضع آخر بين ابن عادل من أين جاء هذا الاهتمام وفائدته، فقال إن هذا "دليل على أنه لا بد للكافر من أن يتوب أولا عن الكفر، ثم يؤمن بعد ذلك"، ثم شرح أن الكفر بالطاغوت بمنزلة درء المفسد والإيمان بالله تعالى بمنزلة جلب المصالح، وهذا يناسب ما يهتم به الإنسان من تقديم درء المفسد على جلب المصالح.¹

فكيف رأى العلماء قبله في هذا التقديم؟ منهم ابن عطية رأى أن التقديم هنا للاهتمام بالكفر بالطاغوت ولكن لم يبين سبب الاهتمام وفائدته.²

أما الفخر الرازي فلم يصرح بأن هنا تقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى ولكن أشار إلى أن هذه الآية تفيد البيان بأن للكافر لا بد من الكفر بالطاغوت أولا، ثم يؤمن بالله تعالى بعده.³

وأما السمين الحلبي فذكر النقطتين نفسيهما اللتين أشار إليهما ابن عادل، فقال إن التقديم هنا للاهتمام وناسب اتصاله للفظ "الغي".⁴

ثم جاء أبو حيان بالرأي نفسه الذي جاء به ابن عادل ومن سبقه، ولكنه شرح هذه الفائدة بأكثر تفصيلا، فأشار إلى أن التقديم هنا للاهتمام ومناسبة اتصاله بلفظ "الغي"، ثم بين "لأن الكفر بالطاغوت متقدم على الإيمان بالله"، لأن الكفر بها هو رفضها، ورفض عبادتها/ ولم يكتف بالجملة الأولى، لأنها لا يستلزم الثانية، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على

¹ انظر: تفسير اللباب، ج 4، ص 330-331.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 344.

³ انظر: تفسير الرازي، ج 7، ص 17.

⁴ انظر: تفسير الدر المصون، ج 2، ص 286.

الانسلاخ بالكلية مما كان مشتبهاً به، سابقاً له قبل الإيمان، لأن في النصية عليه مزيد تأكيد تركه".¹

فمن هذا العرض لكلام العلماء في هذا التقديم يبدو واضحاً أن ابن عادل تأثر بهم في هذه المسألة وقد جمع هذه الآراء حتى يكون رأيه رأياً شاملاً.

وأما أبو السعود فرأى أن التقديم في هذه الآية لتوقفه عليه وهذا من باب تقدم التولية على التولية.² وفي الحقيقة هذا ما قاله ابن عادل من تقدم درء المفسد على جلب المصالح. وكذلك الشيخ الألوسي رأى تماماً ما رأى صاحبنا ابن عادل، فقال إن التقديم هنا لاهتمام بوجوب التولية أو مراعاة للترتيب الواقعي أو للاتصال بلفظ "الغي".³

ثم نأتي إلى الآية التي تتكلم عن علم الله تعالى الشامل على كل ما نبدي ونخفي في القلب:

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴.

قد أشار ابن عادل في هذه الآية إلى التقديمين، الأول تقدم الإخفاء على الإبداء، والثاني تقدم الخاص على العام.

عن التقديم الأول قال إن تقدم الإخفاء على الإبداء لأن محلها في الآية الصدور، وهذا بخلاف آية البقرة⁵ فإنه قدم فيها الإبداء على الإخفاء وجعل محلها النفس وجعل

¹ انظر: تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 293.

² انظر: تفسير أبي السعود، ج 1، ص 250.

³ انظر: تفسير روح المعاني، ج 3، ص 13.

⁴ سورة آل عمران، 29.

⁵ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۚ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة، 248.

جواب الشرط المحاسبة. ثم أشار إلى أن هذا من أسلوب التفنن في البلاغة، وذكر ذلك للتحذير لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء فكيف يخفى عليه الضمير؟

وأما عن التقديم الثاني فقال إنه تقدم علمه بما في الصدور على علمه بما في السموات وما في الأرض، وقال هذا من باب تقدم الخاص على العام.¹ كما أنه في موضع آخر في تفسيره أشار إلى أن تقدم الخاص على العام أسلوب قليل في القرآن بعكس تقدم العام على الخاص،² ولكل معنى وفائدة خاصة تتعلق بسياق الآية.

هذا كلام ابن عادل في التقديمين في الآية، هو أرجع سبب التقديم الإخفاء على الإبداء إلى أن محلها الصدور وسبب عكسه في البقرة أن محلها النفس، ولكن لم يبين لنا لم تقدم الإخفاء يناسب الصدور وعكسه يناسب النفس. كما أنه لم يتكلم عن سبب تقدم الخاص على العام وفائدته.

ثم نجد أن ابن عادل في شرح هذه الآية أخذ من شرح السمين الحلبي لها، فقال الأخير أن جواب الشرط في هذه الآية العلم، وجواب الشرط في آية البقرة المحاسبة، وكل ذلك تفنن في البلاغة وتنوع في الفصاحة.³

وأما أبو حيان فقال عن هذين التقديمين: إن في الآية تهديدا ووعيدا شديدا، وتقدم الإخفاء على الإبداء هنا وجعل محلها في الصدور وأتى جواب الشرط قوله "يعلمه الله" خلافا عما جاء في البقرة وذلك من التفنن في الفصاحة.⁴

وهذا مطابقا لأقوال سابقه وابن عادل بعده، إلا أنه مضى قدما بالتفصيل فيه بأن المفهوم هنا أن الله تعالى يعلم ما في ضمائرنا لا يتفاوت علمه تعالى بخفاياها وهو مرتب على

¹ انظر: تفسير اللباب، ج 5، ص 147.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 74.

³ تفسير الدر المصون، ج 3، ص 114.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 443.

ما فيها الثواب والعقاب.¹

ثم قال عن تقديم الخاص على العام بأن هذا دليل على سعة علمه وبذكر عموم بعد خصوص فصار علمه بما في صدورهم مذكورا مرتين على سبيل التوكيد أحدهما بالخصوص والآخر بالعموم إذ هم ممن في الأرض.²

وأما أبو السعود فأجاب عن السؤال الذي طرحناه آنفا أي لم يناسب تقديم الإخفاء الصدور وعكسه يناسب النفس؟ فقال عند شرح تقديم الإبداء على الإخفاء في سورة البقرة: "وأما تقديم الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله عز وجل "قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله"، فلما أن المتعلق بما في أنفسهم ههنا هو المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية وأما العلم فتعلقه بما كتعلقه بالأعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة خلا أن مرتبة الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء إذ ما من شيء يبدي إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية."³ كما أنه أيضا رأى أن ذكر العام بعد الخاص للتوكيد لسعة علمه تعالى والتقرير له.⁴

فمن كلامه المفصل نعرف أنه تأثر بالعلماء في هذين التقديمين إلا أنه أجاب عن أهم سؤال فيهما، وبشرحه نعرف سر التقديم الإخفاء على الإبداء هنا وعكسه في سورة البقرة بشكل أوضح وأفضل.

وأما العلماء بعده فتأثروا به ونقلوا منه هذا الشرح المفصل، مثل الشيخ الألوسي في روح

¹ المصدر السابق، ج 2، ص 443-444.

² تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 444.

³ تفسير أبي السعود، ج 1، ص 272-273.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 23.

المعاني¹ وغيره.

ومما يتكلم عن إطلاق مشيئته تعالى أيضا آية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾².

ففي هذه الآية تقدم عذابه على رحمته وهذا عكس ما نعرفه من كلام نبينا - صلى الله عليه وسلم - من أن رحمته تعالى سبقت غضبه، فأجاب ابن عادل عن هذا السؤال وقال إن المذكور قبل هذه الآية الكفار فذكر العذاب يسبق ذكر مستحقه بحكم الإيعاد، وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده، وهذا يحقق قوله - عليه الصلاة والسلام - عنه "سبقت رحمتي غضبي"، وذلك أن الله تعالى حيث كان المقصود ذكر العذاب، لم يخصه بالذكر، بل ذكر الرحمة معه، فإن قيل: إن كان ذكر هذه الآية لتخويف العاصي وتفريح المؤمن، فلو قال: يعذب الكافر ويرحم المؤمن لكان أدخل في تحصيل المقصود.³

وقد شرح ابن عادل هذه المسألة من ناحية سياق الآية إذ إنه تعالى يتكلم عن الكفار وتخويفهم فجاء بالتعذيب أولا ليناسب ما جاء من الآية السابقة ويظهر هذا المقصود، ثم جاء بالرحمة عقبه لتفريح المؤمن، وبهذا المقابلة والمقارنة المباشرة يكون أدخل في تحصيل المقصود. هذا سر بلاغي لتقدم العذاب على الرحمة في الآية.

والفخر الرازي أيضا رأى هكذا، وابن عادل تأثر برأيه بشكل واضح.⁴ وكذلك أبو

¹ انظر: تفسير روح المعاني، ج 3، ص 65.

² سورة العنكبوت، 20-21.

³ تفسير اللباب، ج 15، ص 333.

⁴ انظر: تفسير الرازي، ج 25، ص 56.

حيان فقال إنه تعالى بدأ بالعذاب لأن الآية تتكلم عن الكفار الذين يكذبون الرسل.¹
وأما أبو السعود فقال من ناحية المقام أيضا فرأى أن تقدم التعذيب للترهيب
وهو أنسب بالمقام من الترغيب.² والشيخ الألوسي نقل منه هذا الكلام.³ وكذلك الشيخ ابن
عاشور فقال "وابتدئ بذكر العقاب لأن الخطاب جار مع منكري البعث الذين حظهم فيه
هو التعذيب."⁴

هذه النماذج تناول ما قاله ابن عادل في التقديم والتأخير في ما يتعلق بالأمور
العقائدية من أسماء الله تعالى وصفاته والإيمان به وقدرته ومشيتته وغيره. منها نعرف آراءه
فيها وتأثره بالعلماء الآخرين وتأثير رأيه على المتأخرين كما نوضح السر البلاغي والمقصد
الإلهي للتقديم والتأخير في الآيات ومن خلاله نعرف أيضا علاقة وطيدة بينه وبين المناسبة
والسياق في تحديد السر البلاغي للآية وتوضيحه.

الآن نأتي إلى المبحث الثاني من هذا الفصل، وهو التقديم والتأخير في ما سوى ما
تناولناه في المبحث السابق من الأمور الغيبية التي تتعلق بقصص الملائكة والجن وإبليس
وقصص الأنبياء والأمم السابقة وما إلى ذلك.

¹ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 142.

² تفسير أبي السعود، ج 7، ص 35.

³ انظر: تفسير روح المعاني، ج 20، ص 148.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 20، ص 232.

المبحث الثاني:

التقديم في الأمور الغيبية

توطئة ومهاد:

المقصود بالأمور الغيبية هنا تلك الأمور التي أخبرنا الله تعالى بها في القرآن من القصص المتعلقة بالأنبياء والأمم السابقة والملائكة والجن وإبليس وغيرها. فهذه الأشياء لا يمكن أن نعرفها إلا من وحي الله تعالى الذي هو يبدئ ويعيد وهو بكل شيء عليم. فماذا قال الله تعالى في هذه القصص؟ وما هي الأسرار والحكم خلف مظاهر التقديم والتأخير في هذه الآيات؟ فلندخل هذا الموضوع مباشرة لنجيب عن هذه الأسئلة.

من هذه النماذج الآية التي تتكلم عن عصيان إبليس للأمر الإلهي:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾¹.

قد أشار ابن عادل فيها إلى قاعدة أخرى في التعبير العربي وهي تقدم الفعل الظاهر على فعل القلوب، فإن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم -عليه السلام- إلا إبليس أبى واستكبر. الترتيب العادي أن جاء الإباء بعد الاستكبار ولكن الله تعالى جاء بعكسه، وما سببه؟ فقال ابن عادل بأن الإباء متقدم لأنه من الأفعال الظاهرة وبخلاف "استكبر" فإنه من أفعال القلوب فهو متأخر في الذكر.²

فرأى ابن عادل أن التقديم والتأخير هنا بسبب تقدم الفعل الظاهر على فعل القلوب، وهذه قاعدة عنده من قواعد اللغة القرآنية، ولكن لم يوضح لنا ما السبب وراء هذه القاعدة، أي ما سبب تقدم الظاهر على فعل القلوب وما سره البلاغي في الآية؟

ورأى هكذا السمين الحلبي بدون شرح مفصل أيضاً،³ ولعل ابن عادل تأثر به في هذه

المسألة.

¹ سورة البقرة، 34.

² تفسير اللباب، ج 1، ص 544.

³ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 278.

وأما ابن عطية فقال إن تقدم الإباء على الاستكبار في ظهورهما عليه.¹ فشرح أن سبب التقدم هنا لأن الفعلين يظهران على أساس الإباء، أي بالإباء نعرف أنه استكبر. وأبو السعود تأثر بهذا الرأي وقال إن تقدم الإباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح أثره، كما أنه أشار أيضا إلى آيتين متشابهتين لهذه الآية، فقال "واقصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء حيث قيل أبي أن يكون مع الساجدين."²

والعلامة الشيخ الألوسي جمع الآراء السابقة وشرح بشكل أكثر تفصيلا، فأشار أولا إلى أن الإباء من الأحوال الظاهرة فقدم على الاستكبار النفساني. ثم شرح هذا من ناحية سياقية، فقال: التقدم هنا أيضا لأن المقصود الإخبار عنه بأنه خالف حاله حال الملائكة فناسب أن يبدأ أولا بتأكيد ما حكم به عليه في الاستثناء أو بإنشاء الإخبار عنه بالمخالفة فبدأ بذلك على أبلغ وجه.³

فالشيخ الألوسي وافق العلماء السابقين، ثم شرح علاقة هذا التقدم بسياق الآية مع توضيح السر البلاغي له. وأما أنا فمع الشيخ الألوسي في هذه المسألة لأن شرحه أشمل وأوضح لتطمئن النفس في إجابة المسائل التي طرحناها في بداية دخولنا لهذا التقدم. ووفي آية أخرى يقول الله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾⁴.

¹ تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 125.

² تفسير أبي السعود، ج 1، ص 89.

³ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 231.

⁴ سورة البقرة، 97-98.

في هذه الآية ذكر الله تعالى ملائكته وخص اثنين منهم: جبريل وميكال. فيها تقديمان الأول تقديم العام ثم أعقبه خاص، والثاني تقديم الملك جبريل على الملك الآخر ميكال. هذا ما أشار إليه ابن عادل، فرأى أن ذكر جبريل وميكال بعد دخولهما في الملائكة تنبيه على فضلهما على غيرهما من الملائكة. وهذا أيضا يتعلق بمناسبة الآية حيث إن الآية نزلت بسببهما، فلا جرم نصّ على اسميهما، وهذا يقتضي كونهما أشرف من جميع الملائكة. ثم أشار إلى أن هذا النوع يسميه البعض بالتجريد، كأنه يعني به أنه جرد من العموم الأول بعض أفراد اختصاصا له بمزية، وذكر الخاص بعد العام مختص بالواو دون غيرها من حروف العطف. كما أنه أشار أيضا إلى أن كل ما ذكر خاص بعد عام هكذا.

ثم شرح تقديم جبريل على ميكال لأن جبريل أفضل من ميكال، وهذا على وجوه:¹
"أحدها: أنه قدمه في الذكر، وتقديم المفضول على الفاضل في الذكر مستقبح عرفا.

وثانيها: أن جبريل ينزل بالقرآن والوحي والعلم، وهو مادة بقاء الأرواح، وميكال ينزل بالخصب والأمطار، وهي مادة بقاء الأبدان، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكال.

وثالثها: قوله تعالى في صفة جبريل - عليه السلام - ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٌ﴾² ذكره بوصف المطاع على الإطلاق وظاهره يقتضي كونه مطاعا بالنسبة إلى ميكال - عليه السلام - فوجب أن يكون أفضل منه.³

من كلامه نعرف أنه رأى أن ذكر جبريل وميكال بعد ذكر الملائكة الذين هما من ضمنهم، لتشريفهما، كما أنه بين قاعدة مهمة أيضا بأن ذكر الخاص بعد العام كله بسبب أهمية هذا الخاص وشرفه. ثم بين بعض الوجوه التي بها اتضحت فائدة تقديم جبريل على

¹ وهو أشار إلى أن هذه الوجوه مأخوذ من تفسير الفخر الرازي، ج 3، ص 214.

² سورة التكوين، 21.

³ تفسير اللباب، ج 2، ص 316-317.

ميكال في الذكر مستعينا بكلام الفخر الرازي وهو لبيان أفضلية جبريل على ميكال لفضيلته ولشرف العلم ولكونه مطاعا.

وهذا الرأي يتفق عليه العلماء قبله وبعده، منهم ابن عطية الذي قال في تفسيره إن ذكر جبريل وميكال وقد كان ذكر الملائكة عمهما تشريفا لهما.¹

ومنهم الفخر الرازي الذي تحدث عن هذا من وجهين أولهما: ذكرهما منفردين بعد الملائكة كأنهما لكمال فضلهما صارا جنسا آخر سوى جنس الملائكة، وهذا في غاية التفضيل، والثاني أن الذي جرى في الآية بين الرسول واليهود هو ذكرهما والآية إنما نزلت بسببهما، فهذا يقتضي كونهما أشرف من جميع الملائكة وإلا لم يضح هذا التأويل.²

منهم السمين الحلبي فذكر في تفسيره ما قاله ابن عادل من فائدة تقدم العام على الخاص في الآية، كما أنه أيضا أشار إلى أن هذا النوع التجريد مع شرحه.³

بعد عرضنا لكلام الرازي والسمين الحلبي في هذا التقدم يبدو واضحا تأثر ابن عادل بهما فجمع كلامهما حتى يكون شرحه أشمل وأدق.

وهذا أثر على العلماء الآخرين أيضا، مثل أبي حيان الذي ذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء العلماء المذكورون آنفا⁴ وكذلك أبو السعود⁵ والشيخ الألوسي.⁶

والآية التي تتكلم عن الأمة السابقة جرميتها بما كتبوا بأيديهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ

¹ تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 184.

² تفسير الرازي، ج 3، ص 214.

³ تفسير الدر المصون، ج 2، ص 23.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 490.

⁵ انظر: تفسير أبي السعود، ج 1، ص 134.

⁶ انظر: تفسير روح المعاني، ج 1، ص 333-334.

مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ¹.

في هذه الآية جاء الله تعالى بثلاث "ويل" لشدة لعنة الله تعالى على الذين يكتبون الكتاب المقدس بأيديهم ثم يبيعونه بثمن قليل، في نهاية الآية ويلان أولهما يتعلق بالكتاب وثانيهما يتعلق بالكسب، فالكتابة مقدمة على الكسب في الذكر وما سببه؟

قال ابن عادل عن هذا بأن هذا النظم الطبيعي، لأن الكتاب مقدمة وسبب، والكسب نتيجة ومسبب، فالسبب مقدم على المسبب، أي هم يكسبون المال بطريقة الكتابة، فجاء النظم على هذه الطبيعة.²

فأشار ابن عادل هنا إلى قاعدة مهمة أخرى، حيث إن في القرآن الكريم عند ذكر شيئين متتالين أو أكثر دائما يأتي السبب مقدما على المسبب، وهذا نظم طبيعي لا بد له بتطبيق.

وهذه قاعدة عامة اتفق العلماء عليها، منهم السمين الحلبي رأى أيضا هكذا وابن عادل نقل منه.³ وكذلك أبو حيان، فقال الكلام نفسه في تفسيره.⁴

ثم نأتي إلى آيتين متشابهتين في أولهما تقدم شيء وفي الأخرى تأخيره:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۖ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁵.

﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۖ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾⁶.

¹ سورة البقرة، 79.

² تفسير اللباب، ج 2، ص 210.

³ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 453.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 444.

⁵ سورة البقرة، 58.

⁶ سورة الأعراف، 161.

فقد وجدنا أن هاتين الآيتين متشابهتان تماما إلا في مكان واحد هما مختلفتان، ففي سورة البقرة تقدم دخول الباب على القول حطة، وفي الأعراف عكسه، فما سبب هذا؟ قال ابن عادل في تفسيره بأن الواو هنا للجمع المطلق، أي لا معنى خاص أن يقدم أو يؤخر. كما أنه أيضا أشار إلى احتمال آخر أن يكون فيهم مذنّب وغير مذنّب، فالمذنّب يكون اشتغاله أولا بالتوبة ثم بالعبادة فكلّفوا أن يقولوا أولا "حطة" ثم يدخلوا الباب سجدا، وأما الذي ليس بمذنّب فالأولى به أن يشتغل بالعبادة أولا، ثم التوبة ثانيا على سبيل هضم النفس.¹ ثم قال عند شرحه لآية الأعراف بأن المراد في الآية التنبيه على أنه يحسن تقدم كل واحد منهما على الآخر، لأن المقصود منهما تعظيم الله تعالى وإظهار الخضوع، وهذا لا يتفاوت الحال فيه بحسب التقدم والتأخير.²

من كلامه نعرف أنه رأى أن هنا لا فرق بين التقدم والتأخير في الآيتين، ويحسن تقدم كل واحد على الآخر.

وبعض العلماء الآخرين أيضا رأوا هكذا، منهم الشيخ الزمخشري، الذي قال: "سواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما".³ ومنهم الفخر الرازي، الذي قال بأن المقصود منهما تعظيم الله تعالى وإظهار الخشوع والخضوع لم يتفاوت الحال بين التقدم والتأخير.⁴

ومنهم الخطيب الإسكافي⁵ الذي تحدث بتفصيل أكثر حيث قال: "الجواب عن ذلك

¹ تفسير اللباب، ج 2، ص 104.

² تفسير اللباب، ج 9، ص 354.

³ تفسير الكشاف، ص 392.

⁴ تفسير الرازي، ج 15، ص 38.

⁵ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني يعرف بالخطيب الإسكافي (ت: 420هـ/1029م)، عالم من كبار علماء الأدب واللغة في عصره، من أشهر كتبه كتاب درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. موقع الشبكة ويكيديا تحت الكلمة: الخطيب الإسكافي، تاريخ الاطلاع: 2020-10-21.

مما يحتاج إليه في مواضع من القرآن في هذه الآية التي قصدنا الفرق بين مختلفاتها، وهو أن ما أخبر الله تعالى به من قصة موسى - عليه السلام - وبنى إسرائيل وسائر الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه -، وما حكاه من قولهم عز وجل لهم، لم يقصد إلى حكاية الألفاظ بأعيانها وإنما قصد إلى معانيها، وكيف يكون كذلك، واللغة التي خوطبوا بها غير العربية، فإذا حكاية اللفظ زائلة، وتبقى حكاية المعنى، ومن قصد حكاية المعنى كان مخيرا بأن يريده بأي لفظ أراد، وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على ترتيب كالواو.¹

ومنهم أبو السعود الذي قال بأن تقدم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير محل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما.²

وكذلك الشيخ ابن عاشور حيث قال بأنه هو اختلاف في الإخبار لمجرد التفنن، وكلا القولين واقع قُدم أو آخر.³

وأما أبو حيان فأشار إلى احتمال آخر بعد أن نقل ما قاله الزمخشري، فقال بأن يمكن القول بمناسبة تقدم الأمر بدخول الباب سجدا مع تركيب البقرة "ادخلوا هذه القرية"، لأنه فعل دال على الخضوع والذلة، وحطة قول، والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول.⁴ فبين سبب تقدم دخول الباب على القول حطة في سورة البقرة، ولكن لم يبين سبب عكسه في سورة الأعراف.

أما أنا فمع ابن عادل في هاتين الآيتين المتشابهتين، لأن الله تعالى لم يأت بهذا

¹ درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة 1401هـ/1981م، ص 16-17.

² تفسير أبي السعود، ج 3، ص 283.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص 145.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 407.

الاختلاف عبثاً، بل لا بد وراءه غرض خاص، فشرح ابن عادل سبب تقديم الأمر بالدخول بأنه فعل فهو أقوى من القول "حطة" في إظهار الخشوع بدون شرح سبب تأخير الفعل في الأعراف. ولكن في رأيي إن سبب الاختلاف ممكن أن يتضمن في اختلاف المخاطبين، فالمخاطبون في البقرة هم المفسدون من اليهود، فتقديم الأمر الأقوى ليناسب ضعف إيمانهم، وأما المخاطبون في الأعراف فهم المؤمنون منهم فلا داعي لتقديم الأقوى - والله أعلم -.

الآن ننظر إلى آية أخرى فيها ذكر الأنبياء فيذكر - طبعاً - نبي مقدماً على الآخر، فما نوع التقديم في مثل هذه الحال؟

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾¹.

قد ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاثة أنبياء على لسان بني يعقوب - عليه السلام، فذكر إبراهيم أولاً ثم إسماعيل وإسحاق - عليهم السلام. لأن إبراهيم أبو الأنبياء فيذكر أولاً تشریفاً له، ونحن نعرف هذه القاعدة ونفهمها، وأما تقديم إسماعيل على إسحاق فما سببه؟ قال ابن عادل عنه بأن تقديم ذكر إسماعيل على إسحاق سببه أن إسماعيل كان أسن من إسحاق.²

هذا نوع آخر للتقديم والتأخير، أي تقديم الأسبق زمناً على المؤخر وجوداً. كما أنه أيضاً رأي بعض العلماء السابقين الآخرين، منهم ابن عطية الذي قال في تفسيره: "يقال قدم إسماعيل لأنه أسن من إسحاق"،³ والفخر الرازي قال الكلام نفسه في تفسيره،⁴ كما أن

¹ سورة البقرة، 133.

² تفسير اللباب، ج 2، ص 508.

³ تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 214.

⁴ تفسير الرازي، ج 4، ص 84.

الشيخ الألوسي أيضا ذهب إلى هذا الرأي.¹

فمن هنا نستطيع أن نقول إن العلماء المتأخرين مثل ابن عادل وغيره يتأثرون بمن سبقهم في مثل هذه الآية ومتفقون عليه لأن التقديم مثله مفهوم بسهولة وبشكل واضح لا يحتاج إلى تأمل وتفكير فلا نقول بأن هذا الأخذ أو النقل عيب أو نقص.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلٰوٰى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُم ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾².

هنا يقص الله تعالى لنا قصة موسى -عليه السلام- مع قومه، فبيّن الله تعالى في هذه الآية نعمه على بني إسرائيل ثم كفرهم بها. ففي الآية تقدم المن على السلوى، وجعل ابن عادل فصلا لبيان سبب هذا التقديم بسم "فصل في سبب تقدم المن على السلوى"، فطرح أولا سؤالا في هذا قائلا: "إن قيل: المعهود تقدم الأهم فالأهم، والمأكول مقدم على الفاكهة والحلوى، لأن به قيام البنية، فالإنسان أول ما يأكل الغذاء، ثم بعد الشبع يتحلى ويأكل الفاكهة وههنا قدم المن وهو الحلوى على الغذاء وهو السلوى فما فائدته؟" ثم أجاب بأن نزول المن من السماء أمر خارق للعادة، فقدم لاستطعامه بخلاف الطيور المأكولة، فإنها ليست خارقة للعادة، فإنها مألوفة الأكل.³

فبين ابن عادل لنا قاعدة أخرى هنا، حيث إن في القرآن أو كلام العرب الأمر العجيب أو المخالف للعادة دائما مقدم في الذكر، للتشويق وإثارة العناية الخاصة في نفوس الناس، حتى يبينوا معنى يريدونه بشكل مباشر وأكثر وضوحا وأوقع في القلوب. ومن أهم ففوائد مثل هذا الأسلوب هو أننا نستطيع أن نستعمله في كلامنا أو مقالنا، ليكون كلامنا

¹ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 391.

² سورة البقرة، 57.

³ تفسير اللباب، ج 2، ص 90.

أبلغ وأقرب إلى نفوس السامعين.

ثم وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾¹.

في هذه الآية يتحدث الله تعالى عن الأنبياء السابقين فذكر أن بعضهم مكذبون وبعضهم مقتولون، ليحذرنا من هذه الجريمة.

في هذه الآية تقدم التكذيب على القتل، فعن سبب هذا التقدم قال ابن عادل بأن التكذيب أول شر فعلوه، كما أنه مشترك على الرسل المقتولين أيضا فهم المكذبون أولا ثم قُتلوا وإنما لم يصرح به لأنه ذكر أفتح منه في الفعل.²

فرأى ابن عادل أن التكذيب بداية الشر وأساسه وبسببه يُقتل بعض الرسل والأنبياء، فجاء مقدم على الجريمة الأخرى.

والعلماء السابقون أيضا رأوا هكذا، منهم السمين الحلبي، فقال الكلام نفسه في بيان سبب التقدم هنا.³ وكذلك أبو حيان الذي قال: "وبدأ بالتكذيب لأنه أول ما يفعلون من الشر ولأنه المشترك بين الفريقين المكذب والمقتول."⁴ و من هنا يتضح لنا أن ابن عادل تأثر بهم وأخذ منهم هذا الرأي.

وأما العلماء بعدهم فتأثروا بهم بشكل واضح لأنهم أيضا نقلوا هذا الكلام بعدا فيره، منهم الشيخ الألوسي فقال ما قاله أبو حيان.⁵

¹ سورة البقرة، 87.

² تفسير اللباب، ج 2، ص 268.

³ تفسير الدر المصون، ج 1، ص 500.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 469.

⁵ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 318.

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها قصة إبراهيم -عليه السلام- مع من حاجه في الله تعالى:

﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجًا إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ قَالَ إنا أَخِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾¹.

فقد قصت لنا هذه الآية كيفية رده -عليه السلام- على من حاجه في وجود الله تعالى وقدرته، ففيها تقدم الحياة على الموت على لسان أبينا إبراهيم -عليه السلام- "ربي الذي يحيي ويميت".

فأشار ابن عادل إلى أن التقدم هنا مختلف عن آيات أخرى إذ فيها تقدم الموت على الحيات، من هذه الآيات التي فيها تقدم الموت على الحياة: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْواتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾²، و﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾³ وكذلك حكى عن إبراهيم -عليه السلام- قوله في ثنائه على الله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾⁴.

فتساءل ابن عادل لم قدم هنا ذكر الحياة على الموت وقدم الموت على الحيات في هذه الآيات؟ ثم أجاب من عند نفسه فقال إن الدليل إذا كان المقصود منه دعوة إلى الله تعالى يجب أن يكون في غاية الوضوح، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر واطلاع الإنسان عليها أتم، فلا جرم قدم ذكر الحياة هنا.⁵

فبين ابن عادل هذا الاختلاف في تقدم الحياة وتأخيرها من ناحية السياق ومناسبة الآية. فقال إن الغاية هنا دعوة إلى الله تعالى فجاءت الحياة مقدمة لأنها من أعجب الخلق

¹ سورة البقرة، 258.

² سورة البقرة، 28.

³ سورة الملك، 2.

⁴ سورة الشعراء، 81.

⁵ تفسير اللباب، ج 4، ص 340.

وأحب إلى نفس الإنسان، فمع هذه الغاية تقدم الحياة أولى. وأما الآيات الأخرى التي فيها تقدم الموت على الحياة فلم تتكلم عن هذا الموضوع فجاء الموت مقدما على الحياة لأن الموت أصل كل حياة. فأية البقرة تتكلم عن خلق الله تعالى فجاء الموت أولا على الترتيب الأصلي. وآية الملك كذلك تتكلم عن خلق الله تعالى وقدرته. وآية الشعراء تتكلم عن ثناء إبراهيم -عليه السلام- على الله تعالى فجاء على كلامه أيضا الترتيب الأصلي.

ثم نجد أن كلامه مأخوذ من الفخر الرازي، الذي قال في تفسيره: "لأن المقصود من ذكر الدليل إذا كان هو الدعوة إلى الله تعالى وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر، وإطلاع الإنسان عليها أتم، فلا جرم وجب تقدم الحياة ههنا في الذكر."¹

هذا يدل على أنه وافق رأي الرازي في هذا التقدم، فنقله منه.

ثم نأتي إلى آية تتكلم عن قصة مولد يحيى -عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾²، ثم آية أخرى مشابهة لها: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾³.

ففي آية آل عمران تقدم "بلغني الكبر" على "وامرأتي عاقرة" وفي آية مريم عكسه، فما سبب هذا الاختلاف؟

قال ابن عادل عن هذا بأن ضرب الآيات في سورة مريم مطابق لهذا التركيب،⁴ لأنه

¹ تفسير الرازي، ج 7، ص 25.

² سورة آل عمران، 40.

³ سورة مريم، 8.

⁴ الآيات التي قبل هذه الآية: ﴿يَذْكُرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ

قدم وهن عظمه واشتعال شبيه وخوفه مواليه ممن ورائه، وقال "وكانت امرأتي عاقرا" فلما أعاد ذكرهما في استفهامه آخر ذكر الكبير، ليوافق رؤوس الآي. ثم بين أن هذا باب مقصود في الفصاحة والعطف بالواو لا يقتضي ترتيبا زمنيا فلذلك لم يبال بتقديم ولا تأخير.¹

فهو هنا أشار إلى علاقة تقدم ذكر "وامرأتي عاقرا" بالآيات السابقة من ذكر وهن عظمه واشتعال شبيه وخوف مواليه ممن ورائه ثم ذكر أن امرأته عاقر، فجاء "وكانت امرأتي عاقرا" مرة أخرى مطابقا لما ذكر في نهاية الآية السابقة. مع تأخير ذكر الكبير لرعاية الفاصلة "عتيا"، ولم يبين سبب عكسه في سورة آل عمران لأن الواو هنا لا يفيد الترتيب الزمني فلا يبال بالتقدم أو التأخير.

وهذا أيضا رأي السمين الحلبي في تفسيره وتأثر ابن عادل به بشكل واضح.² وكذلك أبو حيان رأى أيضا هكذا إلا أنه أشار إلى نكتة جديدة بأن هذا التقدم ليس مشعرا بتقديم زمان وإنما هذا باب تقدم المناسب في فصاحة الكلام.³ أي أن التقدم والتأخير في الآية ما زال متعلق بمناسبة الآية.

أما العلماء بعدهم مثل أبي السعود فقال أيضا إنه يتعلق بالمناسبة وسياق الآية، وتحدث عن هذا عند شرحه لآية مريم بشكل أكثر تفصيلا فقال: "ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وإنما المذكور ههنا بلوغه أقصى مراتب الكبير تنمة لما ذكر قبل وأما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله فذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب."⁴

امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥).سورة مريم، 2- 5.

¹ تفسير اللباب، ج 5، ص 203.

² تفسير الدر المصون، ج 3، ص 159.

³ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 470.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 5، ص 256.

وكذلك الشيخ الآلوسي فهو رأى أيضا هكذا ونقل في تفسيره كلام أبي السعود مع الإشارة إلى هذا النقل.¹

في حقيقة الأمر إن العلماء كلهم في هذا الاختلاف متفقون على علاقته بالمناسبة إلا أن المتقدمين بما فيهم ابن عادل لم يبينوه بشكل واضح، فجاء المتأخرون بشرح مفصل لما تتعلق الآية بالآيات الأخرى قبلها وبعدها.

ثم في قصة مريم -عليها السلام- آية: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾².

في هذه الآية أمر الله تعالى مريم بالقنوت له والسجود والركوع مع الراكعين، ففيها تقدم السجود على الركوع، وقال ابن عادل عنه من وجوه مختلفة:

الوجه الأول: لأن الواو لا تفيد التشريك ولا الترتيب.

الوجه الثاني: أن السجود يدل على غاية قرب العبد من ربه فقدم على باقي الطاعات لتخصيص السجود بهذه المزية.

الوجه الثالث: أن الأمر بالسجود والركوع يعنى استعمالهما في وقتها اللائق، وليس المراد الجمع بينهما فلا يبالي بالتقديم والتأخير بينهما.

الوجه الرابع: أن السجود أفضل أجزاء الصلاة فأشرفها تقدم على باقي الأجزاء.

الوجه الخامس: لعل السجود في ذلك الدين كان متقدما على الركوع.³

هذه الوجوه كلها صحيحة من ناحية ما، فلا نستطيع أن نحكم عليها بالخطأ، فيمكن بجمع كل هذه الوجوه نستطيع فهمها بشكل أوضح وأوسع. هذه من مزية معنى آية القرآن، فهو حمال أوجه.

¹ تفسير روح المعاني، ج 16، ص 67.

² سورة آل عمران، 43.

³ تفسير اللباب، ج 5، ص 216-217.

وهذه الإجابة تشتمل على إمكانيات مختلفة، ولكن في الحقيقة أن ابن عادل نقلها من الفخر الرازي، والرازي شرحه بنفس الوجوه الخمسة في تفسيره¹ وهذا يعني أنه تأثر به ووافقه في هذه الشروح.

وأما الرمخشري فلم يبين هذا بشكل مباشر ولكن أشار إلى إن السجود في ذلك الزمن ممكن مقدم على الركوع فقال: "ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع، وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع."² فهو رأى أن السجود واجب في زمان مريم والركوع ممكن غير واجب، فأمر الله تعالى مريم -عليها السلام- بالأمرين المختلفين، فبذلك السجود أهم وأشرف من الركوع فجاء مقدم في هذه المناسبة.

وأما أبو حيان فجاء بشرح مفصل في هذا حيث قال: "والجواب أن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله تعالى قُدم وإن كان متأخرا في الفعل على الركوع فيكون إذ ذاك التقديم بالشرف. وقيل كان السجود مقدما على الركوع في شرع زكريا -عليه السلام - وغيره منهم ... فيكون إذ ذاك التقديم زمنيا من حيث الوقوع." ثم بين "وتقدم السابق وتقدم اللاحق يحتمل ذلك احتمالات سواء، فلا يترجح أحد الاحتمالات على الآخر."³

وأما العلماء بعدهم أيضا نقلوا هذه الوجوه وتأثروا بهم، منهم أبو السعود فهو جاء أيضا بهذه الإمكانات لسبب تقدم السجود على الركوع مع شرح مقبول.⁴

¹ تفسير الرازي، ج 8، ص 48.

² تفسير الكشاف، 172.

³ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 478.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 2، 35.

وكذلك الشيخ الألوسي جاء بالشيء نفسه.¹

فمن هنا نستطيع أن نقول إن تقديم السجود على الركوع هنا له سبب أو أكثر، وكل العلماء بما فيهم ابن عادل تأثروا بالرازي في شرح هذا فهو جاء بكل هذه الإمكانات ولا حقوه إما نقل كلها منه أو نقل بعضها.

ثم نأتي إلى آية أخرى بعدها ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾².

في هذه الآية اختلف العلماء في أن المسيح وعيسى لقب واسم أو اسمان، لكن مع هذا الاختلاف قد أجمعوا على أن تقديم المسيح على عيسى لشهرة المسيح.

فقال ابن عادل عن هذا لمن رآهما اسمين: "إنهما اسمان، قال: تقدم المسيح على عيسى لشهرته."

ثم قال على رأي من رأى أن المسيح لقب: وإنما بدأ بلقبه لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي فيشته به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدمه لشهرته، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهر من أسمائهم.³

من رأى أنه لقب الفخر الرازي، فقد أشار إلى فائدة تقديم اللقب هنا، بأن المسيح كاللقب الذي يفيد كونه شريفا رفيع الدرجة، مثل الصديق والفاروق فذكره الله تعالى أولا بلقبه ليفيد علو درجته ثم ذكره باسمه الخاص.⁴

فابن عادل لم يهتم باختلاف الجماعتين ولم يرجح بينهما إلا أنه بهذا الأسلوب أخبرنا بأن العلماء اتفقوا على تقديم المسيح على عيسى هنا لشهرة المسيح مهما كان اسما أو لقبا،

¹ تفسير روح البيان، ج 3، ص 157.

² سورة آل عمران، 45.

³ تفسير اللباب، ج 5، ص 226.

⁴ تفسير الرازي، ج 8، ص 55.

فهذا ما نهتم به في بحثنا هذا.

كما أن هذا الشرح البسيط يعطينا قاعدة لغوية عربية أخرى بأن من أسباب التقديم الشهرة، حيث في ترتيب الأشياء المتقاربة دائما تقدم الأشهر على غيره لأنه أوقع في نفوس الناس وأكثر قبولا عندهم، فينال المتحدث اهتمام المستمعين وعنايتهم مباشرة. وهذا كما أشرنا إليه في مقدمة هذا البحث عندما نتحدث عن أسباب التقديم وأنواعه.

ثم في هذه الآية وما بعدها ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾¹ ترتيب لأربع أحوال لعيسى ابن مريم - عليهما السلام، فبين ابن عادل بأن الحال الأولى جاءت على أصله وهو اسم صريح "وجيها"، والثانية هي جار ومجرور "من المقربين" لرعاية الفاصلة للآية، والثالثة جملة فعلية "ويكلم الناس في المهد"، والرابعة جار ومجرور أيضا "من الصالحين" لرعاية الفاصلة لهذه الآية كما جاء في الآية الأولى في "من المقربين".

كما أنه شرح سبب هذا الترتيب بأنه "إذا اجتمعت صفات مختلفة في الصراحة والتأويل، قدم الاسم، ثم الظرف أو عديله ثم الجملة. فكذا فعل هنا، فقدم الاسم - وهو وجيها - ثم الجار والمجرور، ثم الفعل، وأتى به مضارعا لدلالته على التجدد وقتا مؤقتا، بخلاف الوجهة، فإن المراد ثبوتها واستقرارها، والاسم متكفل بذلك، والجار قريب من المفرد، ولذلك ثنى به، إذ المقصود ثبوت تقريره." ثم أشار إلى مجيء الجار والمجرور مرة ثانية لرعاية الفاصلة كما تقدم في "المقربين".²

إلا أن الفخر الرازي مرة أخرى أثار سؤالا في ختام هذه الآية بـ "من الصالحين"، فقال: "فإن قيل: كون عيسى كلمة من الله تعالى وكونه وجيها في الدنيا والآخرة وكونه من المقربين عند الله تعالى وكونه مكلما للناس في المهد وفي الكهولة كل صفة من هذه الصفات أعظم

¹ سورة آل عمران، 46.

² تفسير اللباب، ج 5، ص 227.

وأشرف من كونه صالحا فلم ختم الله تعالى لأوصاف عيسى بقوله "ومن الصالحين"؟ قلنا: إنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحا لأنه يكون كذلك إلا ويكون في جميع الأفعال والتروك مواظبا على النهج الأصلح، والطريق الأكمل، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات في الدنيا والدين في أفعال القلوب، وفي أفعال الجوارح، فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفها بهذا الكلام الذي يدل على أرفع الدرجات.¹

في هذا الشرح أشار ابن عادل إلى قاعدة مهمة أخرى وهي كيفية الترتيب عند اجتماع الصفات أو الحالات المختلفة لشيء واحد، فالقاعدة العامة هو الاسم الصريح أولا ثم الظرف أو مثله ثم الجملة. فاثبت القرآن الكريم هذه القاعدة لنا لنسلكها في كلامنا بطريقة أكثر فصاحة.

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها أيضا ترتيب في أخبار مختلفة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ﴾².

قد أشار ابن عادل إلى أن في ترتيب هذه الأخبار الأربعة: "إني متوفيك ورافعك ومطهرك وجاعل، معنى حسنا جدا، وذلك أنه تعالى بشره أولا بأنه متوفيه ومتولي أمره، فليس للكفار المتوعدين له بالقتل عليه سلطان ولا سبيل، ثم بشره ثانية بأنه رافعه إليه، أي: إلى سمائه محل أنبيائه وملائكته، ومحل عبادته، ليسكن فيها ويعبد ربه مع عابديه ثم ثالثا بتطهيره من أضرار الكفرة وأذاهم وما قذفوه به، ثم رابعا برفعة تابعيه على من خالفهم، ليتم بذلك سروره ويكمل فرحه. وقدم البشارة بما يتعلق بنفسه على البشارة بما يتعلق بغيره، لأن الإنسان

¹ تفسير الرازي، ج 8، ص 58.

² سورة آل عمران، 55.

بنفسه أهم وبشأنه أعنى.¹ كما أن الفخر الرازي أشار إلى أن هذه الآية بهذا الترتيب تدل على أن الله تعالى يفعل به هذه الأفعال وأما كيف يفعل ومتى يفعل فكل على دليل الآية.²

رأي ابن عادل هو رأي أبي حيان نفسه وتأثر به في هذه المسألة واضح، حيث قال: "وهذه الأخبار الأربعة ترتيبها في غاية الفصاحة بدأ أولاً بإخباره تعالى ببعثه أنه متوفيه فليس للماكرين به تسلط عليه ولا توصل إليه، ثم بشره ثانياً برفعه إلى سمائه وسكنائه مع الملائكة وعبادته فيها وطول عمره في عبادة ربه، ثم ثالثاً برفعه إلى سمائه بتطهيره من الكفار فعم بذلك جميع زمانه حين رفعه وحين ينزله في آخر الدنيا، فهي بشارة عظيمة له أنه مطهر من الكفار أولاً وآخراً، ولما كان التوفي والرفع كل منهما خاص بزمان بدئ بهما، ولما كان التطهير عاماً يشمل سائر الأزمان أخر عنهما، ولما بشره بهذه البشائر الثلاث وهي أوصاف له في نفسه بشره برفعة أتباعه فوق كل كافر لتقر بذلك عينه ويسر قلبه، ولما كان هذا الوصف من اعتلاء تابعيه على الكفار من أوصاف تابعيه تأخر عن الأوصاف الثلاثة التي لنفسه إذ البداية بالأوصاف التي للنفس أهم، ثم اتبع بهذا الوصف الرابع على سبيل التبشير بحال تابعيه في الدنيا ليكمل بذلك سروره بما أوتيته تابعوه من الخير."³

فبين ابن عادل والعلماء الآخرون هنا حكمة ترتيب هذه الأخبار الأربعة كما أشار إلى قاعدة أخرى أي: عندما نتكلم مع الآخر نبدأ بما يهتم به السامع أكثر ليكون الكلام أكثر تشويقاً وتملكاً بقلب السامع.

ثم هذه الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ

¹ تفسير اللباب، ج 5، ص 272.

² تفسير الرازي، ج 8، ص 74.

³ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 498.

وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹.

قال ابن عادل عن التقديم في هذه الآية: "إن قيل: إنه تعالى قدم الذين ابيضت وجوههم في التقسيم على الذين اسودت وجوههم وكان حق الترتيب أن يقدمهم في البيان. فالجواب: أن الواو للجمع لا للترتيب، وأيضاً فالمقصود إيصال الرحمة، لا ابتداء العذاب، فابتدأ بذكر أهل الثواب، لأنهم أشرف، ثم ختم بذكرهم، تنبيهاً على أن إرادة الرحمة أكثر من إرادة الغضب، كما قال: سبقت رحمتي غضبي، وأيضاً فالفصحاء والشعراء قالوا: يجب أن يكون مطلع الكلام ومقطعه شيئاً يسر الطبع، ويشرح الصدر وذكر رحمة الله تعالى كذلك فلا جرم ابتدأ بذكر أهل الثواب وختم بذكرهم."²

من هذا الكلام نعرف أنه أشار أولاً إلى فائدة الواو هنا للجمع لا للترتيب، ثم إلى احتمال آخر أن إيصال الرحمة أولى فتقدم ذكره على الغضب، فمن الممكن أن تبتدأ الآية بذكر أهل الثواب وختم بذكرهم ليناسب سياق الآية وغرضها.

وهنا أيضاً تأثر بالفخر الرازي في هذه المسألة حيث قال الرازي بأن تقدم البياض على السواد في اللفظ ثم العكس في حكم هذين القسمين وكان حق الترتيب أن يقدم حكم البياض لسببه وجوه: الأول أن الواو للجمع المطلق ليس للترتيب، والثاني أن إيصال الرحمة هو المقصود من الخلق لا إيصال العذاب كما جاء في الحديث القدسي الشهير، فالله تعالى ذكر أولاً أهل الثواب وهم أهل البياض لأن تقدم الأشرف على الأخس في الذكر أحسن، ثم ختم بذكرهم أيضاً تنبيهاً على إرادة الرحمة أكثر من إرادة الغضب. والثالث أن الفصحاء والأدباء يرون أن يكون مطلع الكلام ومقطعه شيئاً واحداً يسر القلب ويشرح الصدر وذكر رحمة الله تعالى في هاتين الآيتين كذلك فلا جرم وقع الابتداء بذكر أهل البياض والاختتام

¹ سورة آل عمران، 106-107.

² تفسير اللباب، ج 5، ص 457.

بذكرهم.¹

وهذا أيضا رأي لأبي حيان الذي قال في تفسيره أن الابتداء بالبياض في الآية الأولى لشرفه والابتداء بأهل السواد في الآية الثانية للاهتمام بالتحذير من حالهم، ثم للابتداء بالمؤمنين والاختتام بحكمهم فيكون مطلع الكلام ومقطعه شيئا يسر الطبع ويشرح الصدر.² أما العلماء الذين جاؤوا بعدهم فأروا أيضا هكذا، منهم أبو السعود³ والشيخ الألوسي⁴ والشيخ ابن عاشور إلا أن الأخير جاء بشرح جديد وأكثر تفصيلا، فقال: "وقدم عند وصف اليوم ذكر البياض الذي هو شعار أهل النعيم، تشريفا لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة الله تعالى ونعمته، ولأن رحمة الله سبقت غضبه، ولأن في ذكر سمة أهل النعيم، عقب وعيد غيرهم بالعذاب، حسرة عليهم، إذ يعلم السامع أن لهم عذابا عظيما في يوم فيه نعيم عظيم، ثم قدم في التفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلا بمساءتهم.⁵

فهو بلا شك تأثر بسابقه إلا أنه بين السر البلاغي خلف التقديمين في الآيتين وبهذه الإضافة نفهم الآية وغرضها بشكل أشمل وأوسع، كما يمكن القول -بعد عرض كل آراء العلماء - بأن العلماء بعد الرازي كلهم تأثروا به في هذه المسألة والخلف استفاد من السلف مع الإضافة والإنارة..

ثم نأتي إلى الآية ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي﴾

¹ تفسير الرازي، ج 8، ص 187-188.

² تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 25-26.

³ انظر: تفسير أبي السعود، ج 2، ص 69.

⁴ انظر: تفسير روح المعاني، ج 4، ص 25.

⁵ انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص 44-45.

أَمْرِنَا وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ¹.

تتكلم هذه الآية عن فعل قوم كانوا مع النبي عند القتال في سبيل الله، ففيها تقدم التوبة على طلب النصرة، فبين ابن عادل في هذا: "إنما قدموا طلب المغفرة للذنوب والإسراف، لأنه تعالى لما ضمن النصرة للمؤمنين، فإذا لم تحصل النصرة، وظهرت أمارات استيلاء العدو، دلّ ذلك - ظاهرا - على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين، فلهذا المعنى يجب عليهم تقدم التوبة والاستغفار على طلب النصرة، فبين تعالى أنهم بدءوا بالتوبة عن كل المعاصي، فقالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، أي: الصغائر، وإسرافنا في أمرنا، أي: الكبائر."²

فرأى ابن عادل أن الله تعالى يحرض القوم على التوبة من الذنوب قبل طلب النصرة منه تعالى بهذا الأسلوب، فالتطهر من الذنوب شرط من شروط مجيء نصر الله تعالى. وهذا أدب من آداب القتال في سبيل الله بجانب الاستعداد الكامل للحرب.

وهذا رأي الفخر الرازي، وابن عادل تأثر به ونقل منه هذا الرأي.³ وأما أبو حيان فجاء بالرأي نفسه ولكن بينه من ناحية أخرى: "وقدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الأقدام والنصرة، ليكون طلبهم ذلك إلى الله عن زكاء وطهارة، فيكون طلبهم التثبيت بتقديم الاستغفار حريا بالإجابة."⁴

وأما العلماء اللاحقون مثل أبي السعود فرأى أن تقدم الدعاء بالمغفرة على تقدم الأهم بحسب الحال من الدعاء بتثبيت الأقدام.⁵ وهذا أيضا رأي الشيخ الآلوسي في روح المعاني

¹ سورة آل عمران، 147.

² تفسير الباب، ج 5، ص 591.

³ تفسير الرازي، ج 9، ص 29.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 81.

⁵ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 96.

وقد تأثر - بدون شك - بأبي السعود في بيان سبب هذا التقديم.¹ وكذلك الشيخ ابن عاشور ذهب للرأي نفسه معهما.²

أما أنا فمع القدماء في هذه المسألة لأن فائدة التقديم هنا ليست للاهتمام فحسب، بل لا بد من فائدة هناك خلف الاهتمام، أي من أين جاء هذا الاهتمام، فالقدماء بينوا هذا بشكل مفصل، ورأي المتأخرين أيضا صحيح إلا أنهم لم يفصلوا القول بقدر واف.

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها تقديم حسب الترتيب الوجودي: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.³

إن الله تعالى يتكلم عن قصة يوم أحد في هذه الآيات، فيها تقدم المأوى على المثنوى، قال ابن عادل بأن المأوى هو ما يأوي إليه الإنسان والمثنوى هو مكان الإقامة، فالمأوى مقدم على المثنوى لأن الترتيب الوجودي أن يأوي ثم يثوي، والإقامة يلزم المأوى والعكس لا، والمأوى أساس المثنوى، فالمأوى مقدم.⁴

وهذا أيضا رأي السمين الحلبي، وقد نقل منه ابن عادل.⁵ وكذلك أبو حيان فقال في تفسيره: "وبدأ بالمأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، ولا يلزم منه الثواء، لأن الثواء دال على الإقامة.⁶ كما أنه أيضا رأي العلماء المتأخرين منهم أبو السعود⁷ وغيره.

¹ تفسير روح المعاني، ج 4، ص 84.

² انظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص 120.

³ سورة آل عمران، 151.

⁴ تفسير اللباب، ج 5، ص 596.

⁵ انظر: تفسير الدر المصون، ج 3، ص 436.

⁶ تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 84.

⁷ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 98.

ثم بعد هذه الآية آية: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾¹.

في هذه الآية تقدم الفشل على التنازع والمعصية، والترتيب العادي هو التنازع ثم المعصية ثم الفشل، فلم قدم ذكر الفشل؟ فقد شرح ابن عادل هذا بأن القوم لما رأوا هزيمة الكفار وطمعوا في الغنيمة، فشلوا في أنفسهم عن الثبات، ثم تنازعوا في طلب الغنيمة، ثم عصوا بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنزول من الجبل واشتغلوا بطلب الغنيمة.² فرأى ابن عادل أن الفشل هنا ليس للانحراف الأخير للحرب، بل الفشل في الثبات في قلوبهم وهذا الفشل بداية التنازع والمعصية فجاء أولا، وفي الحقيقة هذا أيضا رأي الفخر الرازي، وابن عادل استفاد منه.³

ثم ننظر إلى هذه الآيات الثلاثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لِّوُكَاِنَا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾⁴.

في هذه الآيات ذكر الموت والقتل ثلاث مرات، وفي المرة الأولى والثالثة فيهما تقدم الموت على القتل، وفي المرة الثانية تقدم القتل على الموت، فما حكمة هذا الاختلاف؟

¹ سورة آل عمران، 152.

² تفسير الباب، ج 5، ص 600.

³ انظر: تفسير الرازي، ج 9، ص 38.

⁴ سورة آل عمران، 156-158.

قال ابن عادل لأن الأول لمناسبة ما قبله من قوله ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى﴾، فرجع الموت لمن ضرب في الأرض والقتل لمن غزا، وأما الثاني فلأنه محل تحريض على الجهاد، فقدم الأهم الأشرف، وأما الأخير فلأن الموت أغلب.¹

فمن هذا الكلام نعرف أن ابن عادل رأى أن تقدم الموت في الأول ليناسب ترتيب ما قبله، والثاني تقدم القتل لأن المناسبة هنا لإظهار الجهاد في سبيل الله تعالى وتحريضه فقدم القتل، وأما تقدم الموت في الثالث فبسبب أن الموت أغلب الأحوال بالنسبة إلى القتل وهو أيضا يناسب فاصلة الآية "وإلى الله تحشرون."

وهذا أيضا رأى ابن عطية إلا أنه شرح بشكل أكثر تفصيلا، فقال: "وترتب الموت قبل القتل في قوله: مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، مراعاة لرتبة الضرب في الأرض والغزو فقدم الموت الذي هو بإزاء المتقدم الذكر وهو الضرب. وقدم القتل في قوله تعالى: وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ، لأنه ابتداء إخبار، فقدم الأشرف الأهم، والمعنى: أو متم في سبيل الله فوقع أجرهم على الله. ثم قدم الموت في قوله تعالى: وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ، لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر، وآية ترهيد في الدنيا والحياة والموت المذكور فيها هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المنزل وكيف كان، فقدم لعمومه وأنه الأغلب في الناس من القتل."²

وكذلك رأى السمين الحلبي، فنقل ابن عادل منه حرفيا.³ وأبو حيان أيضا رأى هكذا.⁴ ومن هنا نستطيع القول بأن السمين الحلبي وابن عادل وأبا حيان كلهم بعد ابن عطية تأثروا به في شرح حكمة هذا الاختلاف وأخذوا منه شرحه.

وكذلك العلماء المتأخرون أيضا وافقوا هذا الشرح وتأثروا بالسابقين، منهم الشيخ

¹ تفسير اللباب، ج 6، ص 14.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 532.

³ انظر: تفسير الدر المصون، ج 3، ص 459.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 103.

الآلوسي¹.

وأما الشيخ ابن عاشور فشرح فقط تقدم القتل وعكسه في المرتين الأخيرتين من هذه المرات الثلاثة وجاء بشرح جديد ولكنه قريب من رأي السابقين، فقال: "وقدم القتل في الأولى والموت في الثانية اعتبارا بعطف ما يظن أنه أبعد عن الحكم فإن كون القتل في سبيل الله للمغفرة أمر قريب، ولكن كون الموت في غير السبيل مثل ذلك أمر خفي مستبعد، وكذلك تقدم الموت في الثانية لأن القتل في سبيل الله قد يظن أنه بعيد عن أن يعقبه الحشر، مع ما فيه من التفتن، ومن رد العجز على الصدر وجعل القتل مبدأ الكلام وعوده².

ثم الآية بعدها: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝﴾³.

في الآية تقدم "فظا" على "غليظ"، اللفظ هو الكريه الخلق، والغلظ ضد الرقة، وعن الغلظة تنشأ الفظاظة، فلم قدمت الفظاظة على الغلظة إذا كانت الفظاظة تنشأ عن الغلظة؟ فأجاب ابن عادل بأنه من باب تقدم ما هو حس ظاهر على ما يخفى في القلب، لأن الفظاظة هي الجفوة في العشرة قولاً وفعلاً، والغلظة هي قسوة القلب، وهذا أحسن من قول من جعلهما بمعنى، وجمع بينهما تأكيداً⁴.

فمن هذا التقدم نعرف أن الله شجع النبي - صلى الله عليه وسلم - على الرحمة بالخلق وهذا وجب أن يكون مبرّءاً عن سوء الخلق وغلظة القلب، فالفظاظة ظاهرة في الوجه وغلظة القلب قد لا يظهر، فجاء الله تعالى بالفظاظة أولاً تنبيهاً لسوء الفعل الظاهر ثم

¹ انظر: تفسير روح المعاني، ج 4، ص 104-105.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 4، ص 143-144.

³ سورة آل عمران، 159.

⁴ تفسير اللباب، ج 6، ص 17.

أعقبها بسوء الحس القلبي الباطن ليكمل هذا المنعى ويتم خلق النبي - عليه السلام -. وهذا الرأي أيضا مأخوذ من السمين الحلبي،¹ ويمكن أن سمين الحلبي نقل من أبي حيان أيضا لأن كلامه مطابق لكلام أبي حيان نفسه في البحر المحيط.² وهذا أيضا رأي الشيخ الألوسي من العلماء المتأخرين.³

ثم نأتي إلى آيات أخرى فيها تقدم نبي على نبي آخر في الذكر، منها: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾⁴.

قد ذكر الله تعالى في هذه الآية بعض النبيين، وذكر نوحا أولا، فما سبب هذا؟ لقد عقد ابن عادل فصلا مستقلا لبيان سبب تقدم ذكر نوح - عليه السلام -: فصل لماذا ذكر نوح - عليه السلام - أولا، فقال إنما بدأ تعالى بذكر نوح لأنه كان أبا البشر مثل آدم - عليه السلام -، ولأنه أول نبي شرع الله على لسانه الأحكام، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعائه، وكان أطول الأنبياء عمرا، وجعلت معجزاته في نفسه، لأنه عمّر ألف سنة فلم تنقص له سن ولم تشب له شعرة ولم تنتقص له قوة ولم يصبر أحد على أذى قومه مثل ما صبر هو على طول عمره.⁵

قال الفخر الرازي عن هذا: "إنما بدأ تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على

¹ تفسير الدر المنصون، ج 3، ص 463.

² انظر: تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 104.

³ تفسير روح المعاني، ج 4، ص 146.

⁴ سورة النساء، 163.

⁵ تفسير اللباب، ج 7، ص 131.

لسانه الأحكام والحلال والحرام.¹

قال أبو حيان في هذا: "وقدم نوحا وجرده منهم في الذكر لأنه الأب الثاني وأول الرسل ودعوته عامة لجميع من كان إذ ذاك في الأرض كما أن دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - عامة لجميع من في الأرض."²

من هنا ندرك بوضوح أن ابن عادل تأثر بالعلماء السابقين، فهو جمع قولهم ثم أضاف شيئا جديدا ليكون بيانه أكثر شمولاً وتفصيلاً من سابقه.

إن العلماء المتأخرين تأثروا أيضاً بهم، هذا كما قال أبو السعود: "ولما بدئ بذكر نوح لأنه أبو البشر وأول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض."³

وكما قاله الشيخ الألوسي بأن الله سبحانه وتعالى بدأ بنوح - عليه السلام - تهديدا لليهود، لأنه أول نبي عوقب قومه. ثم ذكر ما قاله العلماء القدماء من ميزات نوح - عليه السلام.⁴ فهو جمع أقوال المتقدمين كما فعل ابن عادل، إلا أنه بين الحكمة خلف كل هذه الأسباب، وهو تهديد لليهود.

ثم نأتي إلى آية فيها تقدم نبي على قومه وفي آية أخرى تقدم قوم نبي آخر عليه في الذكر، ونشرح هذه النقطة من الآيتين التاليتين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾⁵ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ

¹ تفسير الرازي، ج 11، ص 110.

² تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 413.

³ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 255.

⁴ انظر: تفسير روح المعاني، ج 6، ص 16.

⁵ سورة العنكبوت، 14.

مُفْسِدِينَ¹.

فنجِد أن في الآية الأولى تقدّم ذكر نوح على ذكر قومه والآية الثانية تقدّم ذكر قوم شعيب عليه، فما سبب هذا الاختلاف؟

فبين ابن عادل بأن الأصل في الجميع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم، لأن الرسل لا تبعث إلا غير معينين، وإنما تبعث الرسل إلى قوم محتاجين إلى الرسل فيرسل إليهم من اختاره، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكون لهم اسم خاص، ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي، فقيل: قوم نوح، وقوم لوط، وأما شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على أصله، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا²﴾ و﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا⁴³﴾.

من كلامه نعرف أن الله عندما ذكر نبيا مع قومه أصلا ذكر القوم أولا ثم نبيهم، لأن القوم لهم نسب واسم خاص اشتهروا به، وأما تقدّم النبي على القوم فللنبي الذي ليس لقومهم اسم ونسب خاص، فلا بد من تقدّم النبي ثم القوم الذين مضاف إليه بعده.

ثم نلحظ في آيات سورة مريم فيها تقدّم قصة يحيى على قصة مريم وابنها عيسى - عليهم السلام، فمن الآية ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا⁵﴾ إلى الآية ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا⁶﴾.

¹ سورة العنكبوت، 36.

² سورة العنكبوت، 36.

³ سورة هود، 50.

⁴ تفسير اللباب، ج 15، ص 352.

⁵ سورة مريم، 7.

⁶ سورة مريم، 16.

ففي بداية هذه السورة ذكر الله قصة يحيى مقدما على قصة عيسى بن مريم، فبين ابن عادل سبب هذا التقديم لأن الولد أعني: لأن خلق الولد من شيخين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من خلق الولد لا من الأب البتة، وأحسن طرق التعليم والتفهيم الترقى من الأقرب فالأقرب، إلى الأصعب فالأصعب.¹

فرأى ابن عادل أن الله تعالى ذكر قصة يحيى أولا حكمته أن ولادته من شيخين بدون القدرة على الولادة أقرب إلى عقل الناس وأقرب إلى قصة الولد من دون الأب أيضا، فكأن قصة يحيى - عليه السلام - مهينة متوسطة لقصة عيسى - عليه السلام - التي فيها صعوبة في الفهم. فندرس من هذه الظاهرة حكمة التعليم والتفهيم بأنه من الأسهل إلى الأصعب، ومن الأقرب إلى الأقصى.

ثم ننظر إلى آية فيها تقدم موسى على هارون وفي آية أخرى تأخيره، الآية التي فيها تقدم موسى هي: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ²، وأما الآية التي فيها تقدم هارون فهي: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾³.

فما سبب هذا الاختلاف؟ بين ابن عادل أن سبب تقدم موسى على أخيه هارون مع أن أخاه أكبر سنا منه هو أن موسى - عليه السلام - أكبر منه في الرتبة أو لأنه لرعاية الفاصلة هنا⁴. وأما عن سبب تقدم هارون في سورة طه فبين أن موسى هنا لرعاية فاصلة هنا⁵ أو تكون بمحوتين من السحرة قد قالت كلتاها إحدى المقاتلين، فنسب فعل البعض إلى

¹ تفسير اللباب، ج 13، ص 31.

² سورة الأعراف، 121-122.

³ سورة طه، 70.

⁴ الآية بعده متتهية بـ "تعلمون": ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. سورة الأعراف، 123.

⁵ فالآية قبلها وبعدها كل متتهية بالياء المقصورة: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا ۚ إِنَّهُمْ صَنَعُوا كَيْدُ

المجموعة في سورة وفعل البعض الآخر إلى المجموعة الأخرى.¹

فابن عادل رأى أن سبب هذا الاختلاف إما هذا وإما ذاك، وفي الحقيقة إني أرى أن كلام الله من الممكن أن يجمع كل هذه الإمكانات؛ لأنه حمال أوجه فله كل هذه الحكم في آن واحد، فله سبب خاص لتقدم موسى في آية وتقدم هارون في آية أخرى مع مراعاة الفاصلة.

فهذا رأي ابن عادل، الآن نأتي إلى آراء العلماء الآخرين المتقدمين والمتأخرين، فمن المتقدمين ابن عطية فرأى أن سبب الاختلاف ليستوي رؤوس الآيات.² وأما الفخر الرازي فله رأي آخر بين فيه حكمة تقدم هارون على موسى - عليهما السلام - في طه: "أنهم قدموا ذكر هارون على موسى لأن فرعون كان يدعي على ربوبيته لموسى بناء على أنه رباه في قوله 'ألم نربك فينا وليداً' فالقوم لما احتزوا عن إيهامات فرعون لاجرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال."³ ورأي السمين الحلبي رأي ابن عادل تماماً، فتأثر ابن عادل به واضحاً.⁴ وكذلك رأي أبي حيان إلا أنه جاء بشيء جديد لسبب تقدم موسى - عليه السلام - بأنه هو الذي ناظر فرعون وظهرت المعجزتان على يده وعصاه ولأن قوله هارون فاصلة.⁵

وأما العلماء المتأخرون أيضاً على هذا المذهب، منهم أبو السعود، الذي قال عند شرح

سَاجِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَئِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) ﴿سورة طه، 69 - 71.﴾

¹ تفسير الباب، ج 9، ص 265.

² سورة المخرر الوجيز، ج 4، ص 52.

³ تفسير الراوي، ج 22، ص 87.

⁴ تفسير الدر المصون، ج 5، ص 419.

⁵ تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 365.

سبب تأخير موسى في سورة طه لرعاية الفاصلة أو لكبر سن هارون - عليه السلام - أو للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه لأن فرعون كان يدعي أنه رب موسى - عليه السلام - فلو قدموا موسى - عليه السلام - لربما توهم فرعون وقومه لأن مرادهم فرعون فقدم هارون - عليه السلام - لدفع هذا التوهم الخطأ.¹ وكذلك الشيخ الألوسي فقال في تقديم هارون بأنه أدخل في دفع التوهم أو لأجل الفاصلة، وتقديم موسى لشرفه أو للفاصلة.² وأما الشيخ ابن عاشور فأيضاً رأى هكذا إلا أنه أشار إلى أن الواو للجمع في الحالتين فلا دلالة فيه على تفضيل ولا غيره، كما قال أيضاً بأن وجه تقديم هارون في طه لرعاية الفاصلة أو بسبب كبر سنه، وقُدّم موسى في الأعراف باعتبار فضله على هارون بالرسالة، فاختلف القولان باختلاف الاعتبارين.³

فمن هنا نعرف أن العلماء في هذا الاختلاف متفقون على الرأي نفسه تقريباً، إلا أن البعض منهم جاؤوا بشرح مفصل أو جديد من ناحية أخرى.

ثم نأتي إلى هذه الآية أيضاً من قصة موسى - عليه السلام - : ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁴.

في هذه الآية تقديم الرسالة على الكلام، بين ابن عادل سبب هذا التقديم قائلاً: "وقدم الرسالة على الكلام لأنها أسبق أو ليرتقى إلى الأشرف."⁵

فرأى ابن عادل أن تقديم الرسالة على الكلام هنا بسبب السبق الزمني ولبیان الأشرف.

¹ تفسير أبي السعود، ج 6، 28-29.

² تفسير روح المعاني، ج 9، ص 26.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 262-263.

⁴ سورة الأعراف، 144.

⁵ تفسير اللباب، ج 9، ص 304.

وهذا أيضا رأي السمين الحلبي¹ وكذلك رأي أبي حيان،² فتأثر ابن عادل بسابقه واضحا.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾³.

فقال الله تعالى في هذه الآية أنه أرسل الرسول لينذر الناس ويبشر المؤمنين، فيها تقديم الإنذار على التبشير، قال ابن عادل عن سبب هذا التقديم بأنه من باب تقديم إزالة ما لا ينبغي على ما ينبغي، والإنذار للكفار والفساق ليرتدعوا عن فعل ما لا ينبغي، والتبشير لأهل الطاعة، لتقوى رغبتهم فيها.⁴

وهذا في الحقيقة كما شرحنا في المبحث السابق بأن دفع الضر عن الناس عندهم أغنى فهو مقدم على جذب النفع. فإزالة ما لا ينبغي بمنزلة دفع الضرر، والتبشير بمنزلة جذب النفع. ثم نجد أنه أخذ هذا الرأي من الفخر فما قاله ابن عادل هو ما قاله الفخر الرازي، إلا أن الرازي بين أنه من باب تقديم التحلية على التحلية، وإزالة ما لا ينبغي مقدم على فعل ما ينبغي.⁵

ثم ننظر إلى الآية المذكورة آنفا وفيها تقديم السمع على شيء آخر وهو العقل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁶.

إن الله تعالى في هذه الآية يتكلم عن الذين ندموا على ما فعلوا فقال قولهم هذا، ففي

¹ تفسير الدر المنصون، ج 5، ص 451.

² تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 385.

³ سورة يونس، 2.

⁴ تفسير اللباب، ج 10، ص 255.

⁵ تفسير الرازي، ج 17، ص 8.

⁶ سورة الملك، 10.

هذه الآية تقدم السمع على العقل، فابن عادل أولا دفع الشبهة المثارة من الآية في قلوب بعض الناس، فأشار إلى أن بعض الناس احتجوا بهذه الآية على أن الدين لا يتم إلا بالتعليم، لأنه قدم السمع على العقل، فدل على أنه لا بد أولا من إرشاد المرشد غلب عليه تأمل السامع فيما ندب العلم. ولكنه لا يوافق مع هذا الرأي فأجاب بأنه إنما قدم السمع لأن الرسول إذا دعا، فأول المراتب أنه يسمع كلامه، ثم يتفكر فيه فلما كان السمع مقدما على التعقل لا جرم قدم عليه في الذكر.

ثم بين أنه أيضا أشار إلى أن بعض الناس قد احتجوا بهذه الآية على تقدم السمع على البصر كما قدمناه في شرح الآية السابقة، فقالوا لأنه جعل للسمع مدخلا في الخلاص من النار، والفوز بالجنة، والبصر ليس كذلك، فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر.¹ ففي هذا الكلام أيضا تأثر بالفخر الرازي، فالرازي بين الشيء نفسه في تفسيره.² وكذلك العلامة الألوسي أيد أن تقدم السمع دليل على أفضليته.³ وأما الشيخ ابن عاشور فجاء بشرح أكثر تفصيلا في هذا، فقال: "وجه تقدم السمع على العقل أن العقل بمنزلة الكلي والسمع بمنزلة الجزئي ورعا للترتيب الطبيعي لأن سمع دعوة النذير هو أول ما يتلقاه المنذر، ثم يعملون عقولهم في التدبر فيها."⁴

ثم نأتي إلى آيات أخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾⁵.

¹ تفشير اللباب، ج 19، ص 240.

² تفسير الرازي، ج 30، ص 65.

³ تفسير روح المعاني، ج 29، ص 12.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص 28.

⁵ سورة يونس، 84-86.

في هذه الآية يتكلم الله تعالى عن قصة قوم موسى - عليه السلام - بعد أن طالبهم موسى - عليه السلام - بالتوكل على الله إن كانوا مسلمين، فأجب القوم بكلامهم. فدعوا أولا ثم طلب من الله، فهنا تقدم الدعاء على الطلب، فما حكمته؟

فابن عادل بينه بأن هذا يدل على أن اهتمامهم بأمر دينهم كان فوق اهتمامهم بأمر دنياهم، لأننا إذا حملنا قولهم "لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين"، على تسليط الكفار عليهم وصيرورة ذلك التسليط شبهة للكفار في أن هذا الدين باطل، فتضرعوا إلى الله تعالى في صون الكفار عن هذه الشبهة، وتقدم هذا الدعاء على طلب النجاة لأنفسهم وذلك يدل على أن اهتمامهم بمصالح أديانهم فوق اهتمامهم بمصالح أبدانهم.¹

وقد تأثر ابن عادل في هذا أيضا بالفخر الرازي، فقال "وذلك يدل على أن عنايتهم بمصالح دين أعدائهم فوق عنايتهم بمصالح أنفسهم وإن حملناه على أن لا يمكن الله تعالى أولئك الكفار من أن يحملوهم على ترك هذا الدين كان ذلك أيضا دليلا على أن اهتمامهم بمصالح أديانهم فوق اهتمامهم بمصالح لأبدانهم وعلى جميع التقديرات فهذه لطيفة شريفة."² فأشار الفخر الرازي إلى أن أسلوب تعبير القرآن الكريم لطيف شريف وتأثيره على ابن عادل واضح.

والعلماء بعدهم أيضا تأثروا بهما، إذ قال أبو السعود في هذا بأنه تقدم ما كان عندهم أهم، وهو سلامة دينهم لهم، وأخروا سلامة أنفسهم، إذ الاهتمام بمصالح الدين أكد من الاهتمام بمصالح الأبدان.³

وأما الشيخ الآلوسي فرأى أن تقدم التوكل على الدعاء يدل على أن الدعاء يبنى على التوكل والتوكل سبب من أسباب إجابة الدعاء. فقال: "وفي تقدم التوكل على الدعاء وإن

¹ تفسير الباب، ج 10، ص 394.

² تفسير الرازي، ج 17، ص 153.

³ تفسير أبي السعود، ج 5، ص 184.

كان بياننا لامثال أمر موسى - عليه السلام - لهم به تلويح بأن الداعي حقه أن يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى فإنه أرحى للإجابة.¹، ولأن الدعاء خير صورة للتوكل.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾².

فيها قصة إبراهيم - عليه السلام - وكلامه لأبيه، وقد ذكر - عليه السلام - فيه بعض الأمور المتتالية، وفي ترتيب هذه الأمور غاية الحسن، كما أشار إليه ابن عادل: "لأنه ذكر أولاً ما يدل على المنع من عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد، ثم ذكر أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، ثم إنه - عليه السلام - أورد هذا الكلام الحسن مقروناً باللفظ والرفق، فإن قوله في مقدمة كل كلامه: يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، وختم الكلام بقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه، وإنما فعل ذلك لوجه:

الأول: لقضاء حق الأبوة على ما قال سبحانه وتعالى 'وبالوالدين إحساناً' والإرشاد إلى الدين من أعظم أنواع الإحسان، فإذا انضم إليه رعاية الأدب والرفق، كان نوراً على نور. والثاني: أن الهادي إلى الحق لا بد وأن يكون رفيقاً لطيفاً لا يورد الكلام على سبيل العنف، لأن إirاده على سبيل العنف يصير كالسبب في إعراض المستمع، فيكون ذلك في

¹ تفسير روح المعاني، ج 11، ص 170.

² سورة مريم، 41-45.

الحقيقة سعيًا في الإغواء.

وثالثها: ما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: "أوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أنك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه، أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري."¹

فمن هذا الشرح المهم نعرف أدب الكلام مع الكفار في الحوار عن عبادة الأوثان والإيمان بالله تعالى، خاصة مع أحبائنا، فنعرف كيف نرتب كلامنا حتى يترقى خطوة خطوة إلى الموضوع الرئيسي. وبالأدب الشريف والكلام الحكيم نجعل قلب الكافر أقرب إلينا ويتوصل إلى الإيمان بشكل أقرب إلى العقل وأيسر في القبول. فحكمة الآية مضمونة في ترتيب كلام إبراهيم - عليه السلام - مع تقدم "يا أبت" عند كل بداية لقوله.

قد أشار إليه الفخر الرازي أيضا فإنه قال إن كلام إبراهيم - عليه السلام - فيه أربعة أقسام، وهي مثل ما شرحه ابن عادل. كما أنه أيضا شرح بالتفصيل حكمة ترتيب هذه الأقسام مثلما قاله ابن عادل. فمن هنا نستطيع أن نقول إن ابن عادل تأثر به تأثرا واضحا في هذه المسألة.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾².

فيها تقدم الشكر على الكفران، وأما في الآية ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۚ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾³ ففيها تقدم الكفر على العمل الصالح، فما سبب هذا

¹ ذكره الهيثمي في المجمع (23/8-24)، وقال رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، وهو ضعيف. تفسير اللباب، ج 13، ص 76.

² سورة لقمان، 12.

³ سورة الروم، 44.

الاختلاف وحكمته؟

فقد أشار ابن عادل إلى هذا الاختلاف في تفسيره إلى تقديم الشكر على الكفر في سورة لقمان لأن المناسبة هنا للترغيب وأمر الله لقمان أن يشكره عز وجل، ولقمان وعظ ابنه لا بد بطريق اللطف والوعد بالشكر مذكور أولاً. وأما تقديم الكفر في سورة روم فلأن مناسبة الآية هو التخويف والترهيب ويناسب قول الله تعالى قبل هذه الآية: ﴿يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾¹.² فأرجع ابن عادل سبب هذا الاختلاف في الآيتين إلى اختلاف المناسبة وسياق الآية. فآية الترهيب تناسب تقديم الكفر، وآية اللطف يناسب تقديم الشكر.

والفخر الرازي أيضاً رأى هكذا فقال إن تقديم الشكر على الكفران في سورة لقمان للترغيب لأن هنا كلام الأب للابن، وأما تأخير الشكر في سورة روم فهو للترهيب لما ذكر الله تعالى قبل هذه الآية.³ فمن كلامه نعرف أن ابن عادل تأثر به في بيان حكمة الاختلاف في هاتين الآيتين واضحاً.

ثم نأتي إلى الآيات التالية في قصة لقمان مع ابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۚ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ

¹ سورة الروم، 43.

² تفسير اللباب، ج 15، 4442.

³ تفسير الرازي، ج 24، ص 147.

ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ¹.

ففي القسم الأول لهذه الآيات، تقدم النهي وهو "لا تشرك بالله"، وفي القسم الثاني

تقدم الأمر وهو "أقم الصلاة وأمر بالمعروف"، فلماذا هذا الاختلاف؟

قال ابن عادل عن هذا ناقلا من تفسير الرازي: "أنه كان يعلم أن ابنه معترف بوجود

الإله فما أمره بهذا المعروف بل نهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف، وأما ابنه فأمره

أمرا مطلقا والمعروف يقدم على المنكر.²

فقد فصل الرازي القول في ذلك بقوله: "فإن قال قائل كيف قدم في وصيته لابنه الأمر

بالمعروف على النهي عن المنكر، وقبل قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فإنه أول ما

قاله 'يا بني لا تشرك' ثم قال 'يا بني أقم الصلاة'؟ فنقول هو كان يعلم من ابنه أنه معترف

بوجود الله فما أمره بهذا المعروف ونهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف، فإن

المشرك بالله لا يكون نافيا لله في الاعتقاد وإن كان يلزمه نفيه بالدليل فكأن كل معروف في

مقابلته منكر والمعروف في معرفة الله اعتقاد وجوده والمنكر اعتقاد وجود غيره معه، فلم يأمره

بذلك المعروف لحصوله ونهاه عن المنكر لأنه ورد في التفسير أن ابنه كان مشركا فوعظه ولم

يزل يعظه حتى أسلم، وأما ههنا فأمره أمرا مطلقا والمعروف مقدم على المنكر.³

فمن كلامه نعرف بوضوح أن ابن عادل نقل منه.

ثم نأتي إلى آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ

فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾⁴.

¹ سورة لقمان، 13-18.

² تفسير الباب، ج 15، ص 449، وتفسير الرازي، ج 25، ص 149.

³ تفسير الرازي، ج 25، ص 150.

⁴ سورة الأحقاف، 20.

هذه الآية تتكلم عن العذاب الذي يُصاب به الكافرون يوم القيامة، ثم بين سببين لهذا العذاب، وهما الاستكبار والفسوق. فلم قدّم الاستكبار على الفسوق، وما حكمته؟ بين ابن عادل هذا بأن الاستكبار هو ذنب القلب، والفسق ذنب الجوارح، ولأن أحوال القلب أكبر وقعا من أعمال الجوارح، ويمكن أن يكون المراد من الاستكبار أنهم يتكبرون عن قبول الدين الحق، ويستكبرون عن الإيمان بالنبي والمراد بالفسق المعاصي.¹ وهذا الكلام أيضا مأخوذ من تفسير الفخر الرازي.²

وأبو حيان جاء برأي آخر ولكن قريب من رأيهما، فرأى أن سبب تقدم ذنب القلب على ذنب الجوارح هو لأن أعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب.³ في الحقيقة يمكن اجتماع السببين في واحد، فهذا يعني أن الله يعذبهم بذنب القلب وذنب الجوارح معا فمراد القلب أول الفسق وأساسه وأعظم وقعا في النفوس من ذنب الجوارح، وعمل الجوارح يدبر الفسق فأساس شيء أهمه يجب تقديمه في الذكر.

وأما العلماء المتأخرون فقد تأثروا بهم، منهم الشيخ الألوسي قال بأن سبب التقدم هنا هو أن أعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب.⁴ فهو تأثر بأبي حيان.

ثم نأتي إلى الآيات الأربعة التالية فيها تقدم الضالين على المكذبين وعكسه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾.⁵

ثم قال الله تعالى في آخر السورة: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلْ مِنْ

¹ تفسير اللباب، ج 17، ص 404.

² تفسير الرازي، ج 8، ص 25.

³ تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 63.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 26، ص 23.

⁵ سورة الواقعة، 51-52.

حَمِيمٌ¹.

ففي الآيتين الأوليين تقدم الضالين على المكذبين، وفي هنا تقدم المكذبين على الضالين، فما سبب هذا الاختلاف وحكمته؟

هذه الآيات أيضا تتكلم عن جزاء الضالين والمكذبين، قال ابن عادل عن سبب تقدم الضالين على المكذبين لأنهم هنا أصروا على الحنث العظيم فضلوا عن السبيل، ثم كذبوا الرسول، فقالوا: "أئذا متنا"². فالكلام هنا مع الكفار وهم ضلوا أولا وكذبوا ثانيا. وفي آخر السورة قدم المكذبين على الضالين لأن الكلام هنا مع من يكذبون النبي - عليه الصلاة والسلام - فقدم التكذيب به إظهاراً للعناية به - صلى الله عليه وسلم -³. فسياق الآية يحدد موضع الضالين والمكذبين في الآية، فالآية التي تتكلم عن الكفار تناسب تقدم الضالين، والآية التي تتكلم عن النبي - عليه الصلاة والسلام - تناسب تقدم مكذبيه تشريفاً له.

هذا أيضا تأثر بكلام الفخر الرازي، إلا أن الرازي جاء بكلام أكثر تفصيلاً عند شرحه للآية الأولى، فقال: "ههنا 'الضالون المكذبون' بتقدم الضال وقال في آخر السورة 'وأما إن كان من المكذبين الضالين' بتقدم المكذبين، فهل بينهما فرق؟ قلت نعم، وذلك أن المراد من الضالين ههنا هم الذين صدر منهم الإصرار على الحنث العظيم، فضلوا في سبيل الله ولم يصلوا إليه ولم يوحده، وذلك ضلال عظيم. ثم كذبوا رسله وقالوا 'أئذا متنا' فكذبوا بالحق، فقال 'أيها الضالون' الذين أشركتم 'المكذبون' الذين أنكرتم الحشر ليأكلون ما تكرهون، وأما هناك فقال لهم 'أيها المكذبون' الذين كذبتم الحشر 'الضالون' في طريق الخلاص الذين لا يهتدون إلى النعيم، وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب هنا للكفار فقال: يا أيها الذين ضللتهم

¹ سورة الواقعة، 92-93.

² سورة الواقعة، 47.

³ تفسير الباب، ج 18، ص 409.

أولا وكذبتهم ثانيا، والخطاب في آخر السورة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - يبين له حال الأزواج الثلاثة فقال: المقربون في روح وريحان وجنة نعيم، وأصحاب اليمين في سلام، وأما المكذبون الذين كذبوا فقد ضلوا فقد قدم تكذيبهم إشارة إلى كرامة محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث بين أن أقوى سبب في عقابهم تكذيبهم والذي يدل أن الكلام هناك مع محمد - صلى الله عليه وسلم - قوله "فسلام لك من أصحاب اليمين".¹

وأما العلماء المتأخرون فتأثروا بهم أيضا في هذه المسألة، منهم الشيخ الآلوسي فنقل كلام الرازي أيضا في تفسيره.² وكذلك الشيخ ابن عاشور فقال: "وقدم وصف الضالون على وصف المكذبون مراعاة لترتيب الحصول لأنهم ضلوا عن الحق فكذبوا بالبعث ليحذروا من الضلال ويتدبروا في دلائل البعث وذلك مقتضى خطابهم بهذا الإنذار بالعذاب المتوقع." ثم قال عند شرح آية أخرى: "وقدم هنا وصف التكذيب على وصف الضلال عكس ما تقدم في قوله 'ثم إنكم أيها الضالون المكذبون' لمراعاة سبب ما نالهم من العذاب وهو التكذيب، لأن الكلام هنا على عذاب قد حان حينه وفات وقت الحذر منه فبين سبب عذابهم وذكروا بالذي أوقعهم في سبيله ليحصل لهم ألم التندم."³ إلا أنه جاء بسبب مختلف لتقدم المكذبين على الضالين في آخر السورة، فقال إنه بسبب ما نالهم من العذاب وهو تكذيب فقد تقدم التكذيب على الضلال. فهذا طبعا أيضا يحدده السياق والمناسبة والسبب المختلف في الآية المختلفة.

هذا كل ما وجد الباحث مما يتعلق بالتقدم والتأخير في تفسير ابن عادل في الآيات التي تتكلم عن الأمور الغيبية من قصص الملائكة والأنبياء وقومهم وما يتعلق باليوم الآخر، فالتقدم والتأخير في هذا الموضوع وسره البلاغي لا يُعرف إلا بعد التأمل والتفكير، وله علاقة

¹ تفسير الرازي، ج 29، ص 175.

² تفسير روح المعاني، ج 27، ص 161.

³ تفسير التحرير والتنوير، ج 27، ص 309 و349.

قوية بسياق الآية ومناسبتها لأن الغيبيات من الأمور التي لا يمكن فهمها بالعقل المجرد لأنها فوق الطاقة الإدراكية للعقل بل يتم فهمها بما قاله الله تعالى ورسوله وبما أودعه الله في كونه من آيات كونية فله في كونه كتابات، كتاب مسطور وآخر منظور وهما يكملان بعضهما في تفسير نواميس الكون وغيبياته، أما بالنسبة إلى الكتاب المسطور فلا بد ننظر إلى سياق الآية والمناسبة لفهم الآية فهما صحيحا. فابن عادل والعلماء الآخرون اعتمدوا على هذا الأساس في شروحهم وأشاروا إلى هذه الأداة المهمة لنا وعلمونا كيفية فهم هذه الآيات مستعينين بهذه الأداة.

الآن ننتقل إلى الحديث عن التقديم والتأخير في الآيات التي تبين الأمور الدنيوية والكونية.

الفصل الثاني:

التقديم في الأمور الدنيوية والكونية

في هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التقديم في الأمور الدنيوية

المبحث الثاني: التقديم في الأمور الكونية

المبحث الأول:

التقديم في الأمور الكونية

توطئة ومهاد:

المراد بالأمور الدنيوية هي كل الآيات التي تتكلم عن الأمور التي توضح أو تقوم سلوكياتنا البدنية والأخلاقية حتى الإيمان، وعن كيفية تدبير شؤون حياتنا اليومية بالإضافة إلى الإشارة إلى بعض الأمور السيئة في هذه الحياة الدنيوية والحياة الأخروية.

الآية الأولى التي نبدأ بها هذا المبحث هي: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾¹.

في هذه الآية يعلمنا الله بأن نطلب العون بالصبر والصلاة عندما نواجه الأمور الصعبة، اختلف العلماء في المراد بالصبر والصلاة هنا، ولكن على كل حال نصبر لله تعالى ونصلي أيضا لله تعالى فهذا يعني الاستعانة بالله تعالى وحده. ثم نجد أن فيها تقدم الصبر على الصلاة، وما سببه؟

قال ابن عادل عن هذا بأن تقدم الصبر على الصلاة لأن "تأثير الصبر في إزالة ما لا ينبغي، وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي".² هذا يعني أن الصبر لدفع ما لا نجه من البلاء والمصيبة وغيرها وأما الصلاة فلطلب ما نجه من المنافع الدنيوية والثانوية. هذا في الحقيقة كما أوردنا أكثر من مرة سابقا من أن قلوب الناس أميل إلى دفع الضرر من جلب المنافع، فجاء ما يدفع الضرر متقدما دائما على ما يجذب الخير.

وهذا رأي الفخر الرازي، وقد وافق ابن عادل في هذا الكلام إلا أنه أشار إلى أن هذا النوع من تقدم النفي على الثبوت،³ وهذا كما شرحنا آنفا.

أما أبو حيان فشرح هذا من ناحية المناسبة والسياق، فرأى أن تقدم الصبر على الصلاة لأنه سبق ذكر تكاليف عظيمة شاقة من الصوم وترك أخذهم الرشا وتركهم إلباس الحق بالباطل وإلى آخره، وهذه أمور عظيمة فكانت البداءة بالصبر لذلك.⁴ فهو شرح سبب تقدم الصبر بأنه يناسب ما سبق ذكره من الأمور الشاقة، فاستمرار الامتثال بهذه الأمور يحتاج إلى الصبر الخاص، فجاء الله تعالى بالصبر أولا ثم الصلاة وقال بعدها "وإنها لكبيرة إلا

¹ سورة البقرة، 45.

² تفسير الباب، ج 2، ص 32.

³ تفسير الرازي، ج 3، ص 52.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 341.

مع الإشارة إليه¹ وكذلك أبو حيان، فقال الأخير إن سبب تقديم الوالدين بعد ذكر الله تعالى لأتقما أكد في البر والإحسان وجاء هذا الترتيب اعتناء بالأؤكد، فبدأ بالوالدين، إذ لا يخفى تقدمهما على كل أحد في الإحسان إليهما، ثم بذى القربى لأن صلة الأرحام مؤكدة أيضا، للمشاركة مع الوالدين في القرابة، ثم باليتامى لأنهم لا قدرة تامة لهم على الاكتساب، ثم بالمساكين لما في الإحسان إليهم من الثواب وتأخرت درجة المساكين لأنهم يمكنهم أن يتعهدوا أنفسهم بالاستخدام، ويصلحوا معيشتهم، بخلاف اليتامى فإنهم لصغرهم لا ينتفع بهم وهم محتاجون إلى من ينفعهم، وأول هذه التكاليف هو إفراد الله بالعبادة، ثم الإحسان إلى الوالدين، ثم إلى ذى القربى، ثم إلى اليتامى، ثم إلى المساكين، فهذه خمسة تكاليف تجمع عبادة الله والحض على الإحسان بالوالدين، والمواساة لذي القربى واليتامى والمساكين.²

فمن هنا نعرف بوضوح بأن العلماء بعد الرازي قد تأثروا به في هذه المسألة بما فيهم ابن عادل.

وكذلك العلماء بعدهم أيضا تأثروا بهم، مثل الشيخ الآلوسي فكلامه في هذه المسألة ككلام المتقدمين.³

في القرآن الكريم آيات كثيرة مثل هذه الآية، قد ذكر ابن عادل بعضها مع شرحه أيضا، منها: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۚ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 3، ص 176-179.

² تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 452-453.

³ انظر: تفسير روح المعاني، ج 1، ص 308.

الْبَاسِ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ¹.

ففي هذه الآية يشجعنا الله تعالى على إيتاء المال على حبننا ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن سبيل والسائلين وفي الرقاب، فشرح ابن عادل حكمة هذا الترتيب من وجوه: أحدها: أنه تعالى قدم الأولى فالأولى، لأن الفقير القريب أولى بالصدقة من غيره، لأنه جمع فيه بين الصلة والصدقة، ثم أتبعه باليتامى لأن الصغير الفقير الذي لا والد له، ولا كاسب، فهو منقطع الحيلة من كل الوجوه، ثم أتبعه بالمساكين، لأن الحاجة قد تشتد بهم، ثم ذكر السائلين، وفي الرقاب، لأن حاجتهما دون حاجة من تقدم.

وثانيها: أن علم المرء بشدة حاجة قريبه أقوى، ثم بحاجة الأيتام، ثم بحاجة المساكين ثم على هذا النسق.

وثالثها: أن ذا القربى مسكين، وله صفة زائدة تخصه، لأن شدة حاجته تغمُّ صاحب المال، وتؤذي قلبه، ودفع الضرر عن النفس مقدم على دفع الضرر عن الغير، فلذلك بدأ الله بذوي القربى، ثم باليتامى، لأن الغم الحاصل بسبب عجز الصغار عن الطعام والشراب أشد من الغم الحاصل بسبب عجز الكبار عن تحصيلهما، ثم المساكين، لأن الغم الحاصل بسببهم أخف من الغم الحاصل بسبب الصغار. وأما ابن السبيل فقد يكون غنيا وقد حاجته في الوقت والسائل قد يكون غنيا ويظهر شدة الحاجة وأخر المكاتب، لأن إزالة الرق ليست في محل الحاجة الشديدة.²

فكلامه هنا كالكلام في الآية السابقة، فرأى أن الترتيب هنا يدل على درجاتهم في حقهم في الصدقة، وهي مثل الدرجات التي سلف ذكرها في الآية، ثم فصل كيفية تفوق درجة جماعة على جماعة أخرى، وما حكمة هذا التفاوت.

¹ سورة البقرة، 177.

² تفسير اللباب، ج 3، ص 207.

وهذا كذلك رأي العلماء الآخرين، المتقدمين والمتأخرين، مثل الفخر الرازي فقال أيضا الكلام نفسه،¹ وكذا أبو حيان،² وأبو السعود،³ والشيخ الآلوسي،⁴ والشيخ ابن عاشور.⁵ من هنا نعرف أن العلماء بعد الفخر الرازي بما فيهم ابن عادل لعلهم تأثروا به في مثل هذه المسألة، فنقلوا منه الرأي وأحيانا الكلام معا.

ومثل هاتين الآيتين أيضا: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.⁶

هذه الآية أيضا تتكلم عن الإنفاق على المحتاجين، فيذكر الترتيب نفسه للجماعات المختلفة، وابن عادل شرح هذا كشرحه للآيتين السابقتين، إلا أنه أشار إلى نقطة أخرى في تقديم الوالدين على الأقربين بأنه من ذكر العام بعد الخاص، أي تقدم الخاص على العام، لأن الوالدين من الأقربين، تقديمهما على سائر الأقربين لبيان أهميتهما وتشريفهما لهما فالإنفاق عليهما أولى من الآخرين. وهذا كمثل تقدم ذكر (سبع من المثاني) على القرآن الكريم لبيان شرف المثاني السبعة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.⁷

قد تكلمنا سابقا عن تقدم العام على الخاص وهنا عكسه، فهذا ليس تعارضا ولا تناقضا، بل لكل منهما سياق ومناسبة لتحديد أيهما مناسب للآية والغرض الإلهي.

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 5، ص 44-45.

² انظر: تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 8.

³ تفسير أبي السعود، 1، 194.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 1، ص 46.

⁵ تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 130-131.

⁶ سورة البقرة، 215.

⁷ سورة الحجر، 87.

⁸ تفسير الباب، ج 3، ص 522-523.

فهذه بعض النماذج لحكمة مثل هذا الترتيب في تفسير الباب، وفي الحقيقة في القرآن الكريم ذكر الله هذه الأمور بهذا الترتيب كثيرا في مختلف المناسبات سوى ما ذكرناه، وهذا يدل على الوحدة القرآنية في المستوى السامي لغويا ومعنويا رغم اختلاف المناسبات، مثل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾¹، و﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾²، و﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³ وهلم جرا.

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها تقدم العام على الخاص: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁴.

في هذه الآية تشجيع من الله تعالى على المحافظة على الصلوات في حياتنا اليومية، وخاصة الصلاة الوسطى، فما مقصود الصلاة الوسطى للعلماء آراء مختلفة، ولكن موضوعنا ليس في فقه الحياة، بل ننظر إليها من ناحية أخرى: فما سبب ذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات التي هي تحتوي الصلاة الوسطى وكل صلاة؟

¹ سورة النساء، 36.

² سورة الأنفال، 41.

³ سورة الحشر، 7.

⁴ سورة البقرة، 238.

فقد شرح ابن عادل هذا بأنه من باب ذكر الخاص بعد العام، وأشار إلى أن فائدة هذا كمثل ما شرحناه عند الآية الكريمة ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾¹، فكل ذكر الخاص بعد العام يفيد تشريفا للخاص، فذكر الله تعالى هنا الصلاة الوسطى بعد اندراجها في الصلوات للتنبيه على فضلها وأهميتها على غيرها من الصلوات مع أن كل صلاة مهمة لها فضل.²

وهذا كما قاله ابن عطية بأن الله تعالى ذكر "الصلاة الوسطى" بعد العموم "الصلوات" للتشريف وإغراء المصلين بها.³

وأبو حيان أيضا تأثر به فقال بأن هذا لتنبيه على فضلها على سائر الصلوات.⁴ وهذا كذلك رأي السمين الحلي، فكلامه كلام ابن عادل نفسه ما يدل على تأثر ابن عادل به.⁵

فمن شرحه نعرف أن تقدم العام على الخاص وعكسه كليهما يفيدان تشريفا وتفضيلا، هذا ما اتفق عليه العلماء، ولكن عندما ننظر إلى الآية التي فيها تقدم الخاص على العام مثل ما شرحنا آنفا من تقدم الوالدين على الأقربين والوالدين خاص من الأقربين العام، نجد أن الوالدين لها درجة خاصة عند الله تعالى فذكرهما الله تعالى بعد ذكر توحيده مباشرة في كل الآيات مثلها، ثم بعد ذلك ذكر الأقربين الآخرين، وهذه المناسبة مختلفة عما في آية تشجيع على الصلاة الوسطى وهكذا نعرف أن هذين الأسلوبين متساويان في الإفادة ومختلفان في مناسبة الأقامة.

¹ سورة البقرة، 98.

² تفسير اللباب، ج2، ص 315؛ وج 4، ص 225.

³ تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 566.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 249.

⁵ انظر: تفسير الدر المصون، ج 2، ص 499.

ثم أود أن أقدم رأيي المتواضع في فائدة هذا التوكيد في هذه الآية، فخصص الله تعالى بالصلاة الوسطى بعد ذكر عموم الصلوات ليشجعنا عليها، فللعلماء آراء مختلفة في قصده تعالى فيها، فقليل مقصود بها الفجر، وقليل إنها صلاة الظهر، وقليل العصر، أو المغرب، أو العشاء، فلكل منهم شرح في الدلالة على صحة رأيهم. أما عندي فهذه الصلاة الوسطى يمكن مقصودها أي صلاة من الصلوات اليومية، فالله تعالى لم يحدد لنا ما هي بشكل واضح كما أشار إلى اسمين مكائيل وجبريل بعد ذكر عموم ملائكته، وربما يريد الله تعالى بهذا الأسلوب أن يشجعنا على كل صلاة لأنها ممكن أن يكون أي صلاة، فهذا أيضا من ميزة اللغة القرآنية، فهو في الظاهر اختلاف وفي الحقيقة مقصود واحد، وهو توكيد أهمية المحافظة على الصلوات وتنبيه بفضلها كلها.

ثم نأتي إلى آية أخرى فيها ذكر الخاص على العام: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾¹.

في هذه الآية أمرنا الله تعالى بإيفاء العهد وعدم نقض اليمين في حياتنا الدنيوية، فقال ابن عادل عن هذا بأن العهد لا يحمل على اليمين، لأننا لو جعلناه على اليمين لكان قوله تعالى بعد ذلك "ولا تنقضوا الأيمان" تكرار، فرأى الوفاء بالعهد عام يدخل تحته اليمين، وخص الله تعالى اليمين بالذكر تنبيها على أنه أولى أنواع العهد، ويدخل فيه عهد الجهاد، وعهد الوفاء بالملتزمات من المنذورات والمؤكدات بالحلف.²

فرأي ابن عادل هنا أيضا كما قلناه أن فائدة ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على الخاص من بين العموم. وهذه قاعدة في هذا.

¹ سورة النحل، 91.

² تفسير اللباب، ج 12، ص 147.

ثم نأتي إلى نوع آخر من التقديم والتأخير: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾¹.

إن الله تعالى في هذه الآية أمرنا بفريضة أخرى وهي حج البيت، وقال أولاً "على الناس" ثم بين أن هذا لـ "من استطاع إليه سبيلاً"، وقال ابن عادل إن هذا من أساليب التوكيد: التفصيل بعد الإجمال أو الإيضاح بعد الإبهام.² وقيل هذا أيضاً من أسلوب بدل البعض من الكل،³ وعلى كل حال فهذا الأسلوب لبيان من من الناس له واجب عليه الله في رقبته، ولتأكيد أهمية هذه الفريضة عليهم، وهذا قريب من ذكر الخاص بعد العام مع تقارب فائدتهما.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁴.

هذه الآية تتكلم عن حكم النكاح، وهو من شعائرنا المهمة في الحياة الدنيا، فأمرنا الله تعالى بالنكاح الحلال وأما الحرام فبدلنا إلى النار ولكن الله تعالى هو يدعونا إلى الجنة والمغفرة. في هذه الآية تقدم الجنة على المغفرة، وأما في الآيات الأخرى جاء عكسه، أي تقدم المغفرة على الجنة، مثل: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

¹ سورة آل عمران، 97.

² تفسير الباب، ج 5، ص 415.

³ انظر: تفسير المحرر الوجيز، ج 1، ص 477.

⁴ سورة البقرة، 221.

يَشَاءُ ۖ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ¹ و﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ².

في هاتين الآيتين تشجيع الله تعالى على مغفرته وجنته، وفيهما تقديم المغفرة على الجنة
عكس ما جاء في الآية الأولى، فما سبب هذا الاختلاف وحكمته؟

أجاب ابن عادل عن هذا السؤال قائلا بأن تقديم المغفرة على الجنة هو الأصل، لأن
المغفرة سبب دخول الجنة، والسبب - غالبا - مقدم على المسبب، وأما تقديم الجنة على
المغفرة في الآية الأولى فللمقابلة، لأن ما قبلها "يدعو إلى النار"، فذكر الله تعالى الجنة مباشرة
ليقابل النار لفظا، كما أن هذا يفيد تشويق النفوس إليها حين ذكر دعاء الله تعالى إليها،
فأتى بالأشرف. ³

ف رأى ابن عادل أن تقديم المغفرة سبب وأصل، وتقديم الجنة من الأحوال الخاصة له
سبب خاص وهو مقابلة مباشرة لما قبلها مع إفادة التشويق والتشريف، فسياق الآية يحدد
هذه الميزة الخاصة.

وهكذا رأي السمين الحلبي، ⁴ وأبي حيان إلا أن الأخير بعد بيان سبب اختلاف التقديم
والتأخير أشار إلى أن الله تعالى أتبع الجنة في البقرة بالمغفرة للتمتة في سبيل الإحسان وتهئية
سبب دخول الجنة. فأضاف إلى سبب تأخير الجنة ليكمل الشرح بشكل أكثر وضوحا. ⁵
كما أن بعض العلماء المتأخرين أيضا رأي هكذا، مثل أبي السعود، ⁶ والشيخ

¹ سورة الحديد، 21.

² سورة آل عمران، 133.

³ تفسير الباب، ج 4، ص 63.

⁴ سورة الدر المصون، ج 2، ص 418.

⁵ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 176.

⁶ انظر: تفسير أبي السعود، ج 1، ص 222.

الآلوسي،¹ وهما قالا إن المغفرة تخلية والجنة تحلية، الأصل تقدم التحلية على التحلية، وأما تقدم التحلية فلرعاية المقابلة لما قبلها.

ثم نأتي إلى حكم آخر بعد هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۚ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾².

في هذه الآية يتحدث الله تعالى عن حكم المحيض، فيشجعنا على الطهارة والتوبة بالفاصلة "إن الله يحب التوابين والمتطهرين"، ففيها تقدم التوابين على المتطهرين، وقال العلماء إن التوابين بمنزلة المذنبين، والمتطهرين بمعنى غير المذنبين، في الظاهر المتطهر أشرف من المذنبين ومن اللازم أن يقدم على المذنبين، فلماذا هنا تقدم المذنبين عليه؟
فابن عادل بين أنه لسببين:

الأول: هو لئلا يقنط التائب من الرحمة، والثاني لئلا يعجب المتطهر بنفسه كقوله تعالى في آية أخرى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾³.

فرأى ابن عادل أن تقدم التوابين على المتطهرين ليشجع المذنبين على التوبة لئلا يئس من رحمته تعالى، ثم لئلا يتكبر المتطهرون بالإعجاب بأنفسهم.

ولم أجد عالماً آخر يتكلم عن هذه المسألة لا المتقدمين ولا المتأخرين حسب علمي، فابن عادل هو الوحيد في شرح حكمة التقدم هنا.

ثم نأتي إلى آية أخرى تتكلم عن شهواتنا المتنوعة في الدنيا: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

¹ انظر: تفسير روح المعاني، ج 2، ص 251.

² سورة البقرة، 222.

³ سورة فاطر 32.

⁴ تفسير اللباب، ج 4، ص 77.

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْمَالِ¹.

فهذه الآية بيان أن شهوات الناس زينت متاع الحياة الدنيا فقط، وفي الآخرة أحسن.
فذكر الله تعالى فيها النساء والبنين والقناطر أي المال، والخيول والأنعام والحرث، فما سبب
تقديم أحدها على آخر؟ وما حكمة هذا الترتيب؟

شرح ابن عادل هذا بأن ذكر النساء مقدم على الكل لكثرة تشوق النفوس إليهن،
وهن حبايل الشيطان وفتنة الرجال، فهن أكثر قوة في الشهوات فمقدم على الأمور
الأخرى. ثم ذكر البنين بعد النساء لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الولد الأنثى، هذا من
طبيعة الإنسان وفيهما حكمة بالغة، إذ لو لا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل، فذكرهما
الله تعالى أولا. ثم ذكر المال أقل درجة بنسبة إلى الولد، وكذلك الخيل والحرث. ثم قال إن
هذا من ذكر الأهم فالأهم، فالنساء أكثر امتزاجا بالأنسان وفيهن فتنين وفي البنين فتنة
واحدة، لأنهن يقطعن الأرحام والصلات بين الأهل غالبا، وهن سبب في جمع المال من
حلال وحرام غالبا، والأولاد يجمع لأجلهم المال، وأيضا لأنهم فروع منهن وثمرات نشأت
عنهن فجاء بعد النساء. وأما تأخير الأموال من الأنواع الثلاثة عنهما فلأنها أقل درجة إلى
نفوس الناس منهما. وأيضا لأن الأموال المختلفة فتنة للأصناف المختلفة وأما النساء والبنين
فهما فتنة للجميع. ثم قال إن سبب تقديم الذهب والفضة على سائر الأموال لأنهما محوران
لكل المال وثمر كل الأشياء، فذكرهما الله تعالى قبل الخيل والأنعام والحرث.

ثم أشار إلى أن هناك تقديم المال على البنين عكس ما جاء في هذه الآية، مثل
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

¹ سورة آل عمران، 14.

الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۚ الْمَالُ
وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
أَمَلًا¹. ففي هذه الآية تقدم المال على البنين، فقال ابن عادل عن هذا بأن هذا دائما في
سياق امتنان وإنعام أو نصرة ومعونة لأن الرجال تستمال بالأموال.²

فقبل ذكر المال والبنين تتكلم الآية عن الحياة الدنيا كمثل جمع الحرث الذي بمنزلة المال
ثم زواله، فهذا يقابل المال فجاء المال بعده مباشرة مقدما على البنين. وهكذا يظهر عمل
السياق في توضيح سبب التقديمين المختلفين.

والفخر الرازي أيضا فسر سبب هذا الترتيب بهذه الطريقة³، وكذلك أبو حيان،⁴ إلا أن
شرحهما لم يكن مفصلا كما جاء به ابن عادل، لأنه سلط الأضواء بالتفصيل والشرح.
والعلماء المتأخرون أيضا تأثروا بهم، مثل أبي السعود، ولكنه بين سبب تقدم النساء
على البنين فحسب بالسبب نفسه الذي جاء به المتقدمون، ولم يبين السبب لكل ترتيب.⁵
وأما الشيخ الألوسي فنقل كلام أبي السعود بحذافيره.⁶

ثم ناتي إلى آية أخرى فيها ترتيب آخر لبعض الأمور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

¹ سورة الكهف، 45-46.

² انظر: تفسير اللباب، 73-80.

³ تفسير الرازي، ج 7، ص 211.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 414-415.

⁵ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 14.

⁶ تفسير روح المعاني، ج 3، ص 100.

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ¹.

في هذه الآية أمرنا الله بمجمع الطاعات ليقيم حياتنا الدنيوية، فأمرنا أولاً بتقوى الله تعالى، ثم بالاعتصام بحبل الله تعالى، ثم بالاتحاد والتآلف وأخيراً بالترغيب بقوله تعالى "وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"، فما سبب التقديم والتأخير هنا؟ وما حكمة هذا الترتيب؟

ذكر ابن عادل بأن فعل الإنسان لا بد أن يكون معللاً إما بالرهبة وإما بالرغبة، والرهبة مقدمة على الرغبة، وهذا من تقديم الضرر على جلب النفع، فتقوى الله إشارة إلى التخويف من عقاب الله تعالى، ثم جعله سبباً للتمسك بدين الله والاعتصام بحبله، ثم ذكر بعد ذلك الرغبة في نعمة الله عليهم. فكأنه قال: خوف الله يوجب ذلك، وكثرة نعم الله توجب ذلك، فلم تبق جهة من الجهات الموجبة للفعل إلا وهي حاصلة في وجوب انقيادكم لأمر الله تعالى، ووجوب طاعتكم لحكمه.²

ف رأى ابن عادل أن هذا الترتيب أيضاً من تقديم دفع الضرر على جلب النفع. فذكر الله الرهبة أولاً ثم ما ينبع من هذه الرغبة، وأخيراً ما ترغب النفوس من النعم. وهذا رأيه فقط، لم أجد عالماً آخر تكلم عن هذا، وهو رأي معقول مقبول مع شرحه للأسباب.

ثم ننظر إلى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾³.

في هذه الآية تقديم طاعة الله تعالى وهو كتابه والرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو سنته على أولي الأمر وهو الإجماع، ورد النزاع إلى الله والرسول هو القياس بالأدلة من الكتاب والسنة، وفيه حكمة بالغة لها علاقة قوية بعلم أصول الفقه.

¹ سورة آل عمران، 102-103.

² تفسير اللباب، ج 5، ص 429.

³ سورة النساء، 59.

فقال ابن عادل عن هذا بأن الآية تدل على تقديم الكتاب والسنة والإجماع على القياس مطلقاً، فلا نترك العمل بها بسبب القياس، لأن الله تعالى أمر بطاعة الكتاب والسنة وأولي الأمر، وأخر القياس عن ذكر الأصول الثلاثة، وذلك يدل على أن العمل به مؤخر عن الأصول الثلاثة، وإنما عملنا بالقياس فيما لا نص فيه. فترتيب الأمور الأربعة يدل على ترتيبها في الاستدلال.¹ وقد استدل بها علماء أصول الفقه على ترتيب الأصول الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وهذا أيضاً رأي الفخر الرازي.²

الآن ننظر إلى آية أخرى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾³.

في هذه الآية يبين الله تعالى لنا حكم قتل المؤمن خطأ، فهو تحرير الرقبة ودية مسلمة إلى أهله. ونجد في الآية تقديم تحرير الرقبة على الدية في المرة الأولى، وتقديم الدية على تحرير الرقبة في المرة الثانية، فما سبب هذا الترتيب؟

قال ابن عادل بأن الواو هنا لا يفيد ترتيب ولا أهمية ولا ترجيح، أي: أن نختار أيهما فهو صحيح ومقبول عند الله تعالى فالكفارة تكون بتحرير رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً، رجلاً كان أو امرأة، حراً كان أو عبداً، وتكون في دفع الدية لأهل المقتول

¹ تفسير اللباب، ج 5، ص 446.

² انظر: تفسير الرازي، ج 10، ص 152.

³ سورة النساء، 92.

في مال القاتل.¹

وهذا رأي الفخر الرازي، وإن كان لم يشر إليه بشكل واضح إلا إنه أشار إلى حدوث المشكلة في فهم الآية إذا تفيد الواو الترتيب: "لقائل أن يقول لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الآية الأولى وههنا عكس هذا الترتيب، إذ لو أفاده لتوجه الطعن في إحدى الآيتين."² وأما أبو السعود فرأى أن تقدم الدية على تحرير الرقبة عكس ما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق.³ وكذلك الشيخ الآلسي أخذ هذا الرأي منه فقال ما قاله أبو السعود.⁴

وأما أنا فمع الرأي الثاني، لأن في القرآن الكريم عادة معنى خاص لتقدم شيء على شيء آخر، خاصة بجانبه عكسه، فالله تعالى ذكر هذا الترتيب غالبا لغرض ما، فلعل الله تعالى ذكر الدية أولا هنا ليبين أهميتها وهي الأولى إن كان المقتول من قوم بين المؤمنين وبينهم ميثاق لأن أداء الدية يلين قلوب المعاهدين، وفيه إشارة إلى أن الوفاء بالعهود وأداء الديات من الأخلاق الفاضلة التي تجعل قلوب الكفار تميل إلى الإيمان والإسلام. وأما إذا كان المقتول من المؤمنين فيكون تحرير الرقبة أكثر فائدة إذ به تحصل حرية إنسان عبد، والدية تكون بعده، وبهذا تحصل المصلحة العامة والخاصة، فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، والإسلام جاء ليضع الإصر والأغلال من أفراد المجتمعات. والله أعلم.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَغْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

¹ انظر: تفسير اللباب، ج 6، ص 568.

² تفسير الرازي، ج 10، ص 242.

³ تفسير أبي السعود، ج 2، ص 216.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 5، ص 114.

تَعْمَلُونَ خَيْرًا¹

في هذه الآية أمرنا الله تعالى ببعض الأمور، الأول القيام بالقسط، ثم الشهادة لله عز وجل، فما سبب تقديم القيام بالقسط على الشهادة؟

بين ابن عادل الإجابة عن هذا السؤال بثلاثة وجوه:

الأول: أن أكثر الناس عادة يأمرهم غيرهم بالمعروف وينسون أنفسهم، فنبه الله تعالى في الآية على سوء هذه الطريقة، فأمر الناس أولاً بالقيام بالقسط وهذا من فعل أنفسهم، ثم أمر بالشهادة على غيره ثانياً، إشارة إلى أن الطريقة الحسنة هي أن تكون مضايقة الإنسان مع نفسه فوق مضايقته مع الغير.

الثاني: أن القيام بالقسط هو دفع ضرر العقاب عن النفس، والشهادة في دفع ضرر عن الغير، فدفع ضرر النفس على دفع ضرر الغير.

الثالث: أن القيام بالقسط فعل والشهادة كلام، والفعل أقوى من الكلام، فقدم الفعل على الكلام.² فأرجع ابن عادل سبب التقديم هنا إلى هذه الثلاثة.

ثم ننظر إلى آية أخرى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ³ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

ففي هذه الآية تقدم الشهادة على القيام بالقسط عكس ما سلف، فأجاب ابن عادل عن هذه الاختلاف قائلاً: "إن شهادة الله عبارة عن كونه مراعيًا للعدل، ومباينًا للجور، ومعلوم أنه ما لم يكن الإنسان كذلك، لم يقبل شهادته على غيره، فلهذا كان الواجب في قوله 'شهد الله' أن يقدم تلك الشهادة على القيام بالقسط. والواجب في آية النساء أن

¹ سورة النساء، 135.

² تفسير اللباب، ج 7، ص 67.

³ سورة آل عمران، 18.

تكون الشهادة متأخرة عن القيام بالقسط.¹

وهذه الأقوال في التقديم والتأخير في السورتين، مأخوذة من الفخر الرازي، الذي أورد هذا القول في سبب تقديم القيام بالقسط، إلا أنه أكثر تفصيلاً في شرح سبب تقديم الشهادة في آية آل عمران، فقال بأن شهادة الله تعالى عبارة عن كونه تعالى خالقاً للمخلوقات، وقيامه بالقسط عبارة عن رعاية القوامين بالعدل في تلك المخلوقات، فيلزم هناك أن تكون الشهادة مقدمة على القيام بالقسط، وهذا في حق الله تعالى. وأما في حق العباد فعكس ذلك كما شرح ابن عادل. وهذا السر البلاغي لا يمكن الوصول إليه إلا بالتأييد الإلهي والله أعلم.²

وأما أبو حيان فتأثر بالفخر أيضاً فقال إن تقديم قوامين بالقسط على شهداء الله لأن القيام بالقسط أعم والشهادة أخص، ولأن القيام بالقسط فعل وقول، والشهادة قول فقط.³ فنجد من كلامه أنه جاء برأي جديد وهو تقديم العام على الخاص موافقاً لرأي الفخر الرازي، وهو تقديم ما يتعلق بالفعل على ما يتعلق بالقول.

ثم نأتي إلى آية أخرى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾⁴.

فهذه الآية تشير إلى من عندهم عداوة للمؤمنين، لنتبه في معاملتنا معهم. فهم اليهود والمشركون. ففيه تقديم اليهود على المشركين على أن اليهود من أهل الكتاب، فقال ابن عادل

¹ تفسير اللباب، ج 7، ص 67.

² تفسير الفخر الرازي، ج 11، ص 74-75.

³ تفسير البحر المحيط، ج 3، ص 384.

⁴ سورة المائدة، 82.

إن هذا التقديم يدل على أن اليهود أشد في العداوة من المشركين.¹

وهذا أيضا رأي الرازي فقال إنه تعالى ذكر في الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين، ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدة العداوة، بل نبه على أنهم أشد من المشركين لأنه قدم على ذكر المشركين.²

كما أنه رأي العلماء المتأخرين منهم أبو السعود، الذي قال بأن تقدم اليهود على المشركين بعد وضعهما في صف واحد إشعار بتقدم عليهم في العداوة كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾³ إيذانا بتقدمهم عليهم في الحرص.⁴ فبين أبو السعود هذا بما قاله متقدموه مقارنا بنظيرها في مكان آخر في القرآن الكريم.

وكذلك الشيخ الألوسي فنقل كلام أبي السعود في هذه المسألة مما يدل على أنه رأى أيضا هكذا.⁵

فالعلماء متفقون على أن التقديم هنا ليبين أن اليهود أشد عداوة على المؤمنين، فلا بد ننتبه.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

¹ تفسير اللباب، ج 7، ص 473.

² تفسير الرازي، ج 12، ص 70.

³ سورة البقرة، 96، هذه الآية تتكلم عن قوم موسى وهم اليهود.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 3، ص 71.

⁵ تفسير روح المعاني، ج 7، ص 2.

تَشْكُرُونَ¹

في هذه الآية بين الله تعالى لنا حكم الكفارة حين نقض اليمين، فإطعام المساكين أولا ثم تحرير رقبة، وإن لم يجد فصيام. فيه تقدم الإطعام على التحرير مع أن الأخير أفضل، فجواب ابن عادل من ثلاثة وجوه أيضا:

الأول: مقصود الآية تنبيه على التخيير لا الترتيب، لأن وجوب الترتيب يطلب وجوب البداية بالأغلظ وهو تحرير الرقبة.

الثاني: الإطعام أسهل وأعم وجودا من تحرير الرقبة فالله تعالى يقدم الإطعام في الذكر ليخفف ويسهل لعباده في التكليف.

الثالث: وفي الحقيقة أن الإطعام أفضل، لأن الحر الفقير قد لا يجد من يطعمه، فيتضرر، وأما العبد فيجب على مولاه إطعامه وكسوته، فتقدم إطعام عشرة مساكين لأنه أفضل.²

فهذه أسباب ثلاثة لتقدم إطعام مساكين على تحرير رقبة عند حنث الأيمان، مع أن العلماء صرحوا بأن العتق أفضل ذلك ثم الكسوة ثم الإطعام فالله تعالى بدأ بالأيسر فالأيسر،³ فبسبب هذا التقدم نعرف أن إطعام عشرة مساكين أولى عندما ننقض أيماننا، وإن كانت "أو" هنا للتخيير. فهذا تسهيل وتيسير من ربنا في حياتنا، خاصة في زمننا هذا الذي لا يوجد فيه عبد لتحريره فإطعام المسكين أفضل وأكثر ثوابا بدون النظر إلى خيار آخر، فمن هذا تظهر فائدة هذا التقدم وحكمته. والله أعلم.

وهكذا قال الفخر الرازي، فهو ذكر هذه الأسباب الثلاثة أيضا في تفسيره، فنقل ابن

¹ سورة المائدة، 89.

² تفسير اللباب، ج 7، ص 502.

³ انظر: تفسير المحرر الوجيز، ج 2، ص 230.

عادل منه يدل على تأثره به وموافقته لرأيه في هذا.¹

وأما الشيخ الآلوسي فتأثر بمقدميه ولكن رأى أن تقدم الإطعام للتيسير فقط، فقال بأنه قصد زيادة الثواب فإن الكسوة أعظم من الإطعام والتحرير أعظم منهما، وبدأ سبحانه بالإطعام تسهيلا على العباد.²

ثم آية أخرى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾³

في هذه الآية نهانا الله تعالى عن التأفيف والانتهاز أمام والدينا ليعلمنا الأدب معهما وشرح للإحسان، ففيه تقدم التأفيف على الانتهاز فقال ابن عادل عن هذا: "المنع من التأفيف يدل على المنع عن النهر، بطريق الأولى، فلما قدم المنع من التأفيف، كان المنع من الانتهاز بعده عبثا، ولو فرضنا أنه قدم المنع من النهر على المنع من التأفيف، كان مفيدا، لأنه يلزم من المنع من النهر المنع من التأفيف، فما السبب في رعاية هذا الترتيب؟ فالجواب أن المراد من قوله تعالى: (فلا تقل لهما أف) المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير، والمراد من قوله 'ولا تنهرهما' المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه. وقوله تعالى 'وقل لهما قولا كريما' لما منعه من القول المؤذي، وذلك لا يكون أمرا بالقول الطيب، فلا جرم: لأردفه بأن أمره بالقول الحسن، فقال (وقل لهما قولا كريما)"⁴

من كلامه نعرف أنه رأى أن الله تعالى لم يأت بالانتهاز بعد التأفيف عبثا، بل هذا من أسلوب ذكر الأخف وهو التأفيف ثم الأثقل وهو الانتهاز فهما مختلفان في درجة الشدة،

¹ تفسير الرازي، ج 12، ص 81-82.

² تفسير روح المعاني، ج 7، ص 14.

³ سورة الإسراء، 23.

⁴ تفسير اللباب، ج 12، ص 258.

ومن هنا تظهر فائدة الترتيب في الآية.

وهذا أيضا رأي الفخر الرازي، فاستفاد ابن عادل منه بشكل واضح.¹

وأبو حيان أيضا شرح هذا قائلا بأن الله تعالى لما نهاه أن يقول لهما ما يدل على الضجر منهما ارتقى إلى النهي عما هو من حيث الوضع أشد من أف وهو نهرهما، وإن كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول أف لأنه إذا نهي عن الأدنى كان ذلك نهيًا عن الأعلى.²

وأما بعض العلماء المتأخرين فلهم الرأي نفسه في هذا ولكن شرحهم من ناحية أخرى، منهم أبو السعود³ والشيخ الألوسي⁴ فقالا إن التأنيف يدل على العام وهو منع من سائر أنواع الإيذاء قياسا جليا، والانتهاز يدل على الخاص، وخص بعض أنواع الإيذاء بالذكر في قوله تعالى 'ولا تنهرهما' للاعتناء بشأنه. وكذلك الشيخ ابن عاشور.⁵ وفي الحقيقة هذا الرأي هو كراي المتقدمين وإن كان فيهما فرق في التعبير.

ثم ننظر إلى هذه الآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَلَيَْشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ۖ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶.

هاتان آيتان من سورة النور، تتكلمان عن حكم العقاب ارتكاب جريمة الزنى تقويما

¹ انظر: تفسير الرازي، ج 20، ص 191.

² تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 25.

³ تفسير أبي السعود، ج 5، ص 166.

⁴ تفسير روح المعاني، ج 15، ص 55.

⁵ تفسير التحرير والتنوير، ج 15، ص 70.

⁶ سورة النور، 2-3.

لحياتنا الدنيوية، ففي الآية الأولى تقلصم الزانية على الزاني، وفي الثانية تقلصم الزاني على الزانية، فما سبب في هذا؟

فأجاب ابن عادل عن هذه السؤال من ناحية السياق، فقال بأن الآية الأولى تتكلم عن عقوباتها لخيانتها، فالمرأة هي المادّة في الزنا فالزانية مقدّمة. وأما في الآية الثانية ففي مسوّقة النكاح، فالرجال أصل فيه لأنّه هو الراغب الطالب، فالزاني مقدّم هنا.¹ وهذا أيضاً رأي بعض العلماء المتقدّمين مثل الفخر الرازي² وكذلك أبو حيان،³ فمن الممكن أن ابن عادل استفاد من سابقه.

وكذلك العالم بعدهم الشيخ ابن عاشور أيضاً رأى هكذا، إلا أنه فصل القول في سبب هذا، فعن سبب تقلصم الزانية على الزاني في الآية الأولى قال: "وقدّم ذكر الزانية على الزاني للاهتمام بالحكم لأن المرأة هي الباعث على زنى الرجل وبمساعفتها الرجل يحصل الزنى ولو منعت المرأة نفسها ما وجد الرجل إلى الزنى تمكيناً، فتقدّم المرأة في الذكر لأنه أشد في تحذيرها."⁴

ثم عن تقلصم الزاني على الزانية فقال: "وابتدئ في هذه الآية بذكر الزاني قبل ذكر الزانية على عكس ما تقدّم في قوله 'الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة' فإن وجه تقلصم الزانية في الآية السابقة هو ما عرفته، فأما هنا فإن سبب نزول هذه الآية كان رغبة رجل في تزوج امرأة تعودت الزنى فكان المقام مقتضياً الاهتمام بما يترتب على هذا السؤال من مذمة الرجل الذي يتزوج مثل تلك المرأة."⁵

¹ تفسير اللباب، ج 14، ص 289.

² تفسير الفخر الرازي، ج 23، ص 152.

³ تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 395.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 18، ص 146.

⁵ المصدر نفسه، ج 18، ص 157؛ وأما سبب نزول الآية ففي شاب مؤمن يقال له مرثد، كان يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الزواج بامرأة مشركة زانية، فنزلت هذه الآية ومنعه الرسول من الزواج بها. تفسير التحرير

فبين الشيخ ابن عاشور سبب تقدم الرازي على الزانية هنا من ناحية السياق والمقام أيضا. ثم نظر إلى آية أخرى أيضا: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾¹.

أمر الله تعالى النساء المسلمات بغض البصر وحفظ الفروج وعدم إظهار زينتهن، فقدم غرض البصر على حفظ الفروج، وقال ابن عادل عن سبب هذا بأن النظر مقدمة الزنا، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاجتناب منه.²

فرأى ابن عادل أن النظر أول الزنى، فجاء الأمر بغض البصر أولا، لأنه أكثر صعوبة لنا في حياتنا، فلو نجنب دائما عن هذا الذنب الذي نهمله دائما ونفعله دون قصد فلا يمكن أن نقع في هذه الجريمة الكبرى وهي الزنا، فذكر الله تعالى غرض البصر مقدما للتنبيه عليه والاهتمام به.

وهذا كذلك رأي الفخر الرازي، فتأثر ابن عادل به مرة أخرى.³ وكذلك رأي أبي حيان، إلا أنه شرح ما هو البصر بأكثر تفصيلا قائلا: "وقدم غرض البصر على حفظ الفرج لأن النظر يريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب، وأمر طرق الحواس إليه، ويكثر السقوط من جهته."⁴ فتأثر أبو حيان أيضا بالفخر الرازي في هذه المسألة، إلا أنه بين كيفية تأدية النظر إلى العشق العمي حتى الزنا.

والتنوير، ج 18، ص 153.

¹ سورة النور، 31.

² تفسير اللباب، ج 14، ص 354.

³ تفسير الفخر الرازي، ج 23، ص 206.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 412.

والعلماء المتأخرون أيضا تأثروا بهم، منهم أبو السعود.¹

ثم نظر إلى هاتين الآيتين: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾².

و﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ ۚ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾³.

فهاتان الآيتان تتكلمان عن الحياة الدنيا ما هي إلا لعب ولهو ففيهما تنبيه عليهما
وتشجيع على تجنبهما. ولكن في سورة العنكبوت تقدم لهو على لعب، وفي سورة الأنعام
عكسه، فما سبب هذا الاختلاف؟

فالجواب من ابن عادل أنه قال إن في سورة الأنعام المذكور قبل الآية هو الآخرة،
وإظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا، بل الاشتغال نفسه بها فأخذ
الأبعد. وأما في سورة العنكبوت المذكور من قبل الدنيا، وهي خداعة تدعو النفوس إلى
الإقبال عليها والاستغراق فيها. فقدم اللهو ليبين ههنا أن الاستغراق أقرب من عدمه،
وليناسب غرور الدنيا.⁴

فبين ابن عادل هذا الاختلاف من سياق الآية، فتقدم اللعب على اللهو بأخذ الأبعد،
وتقدم اللهو على اللعب يناسب السياق الذي يتكلم عن الدنيا.

وأما الفخر الرازي فقال: "قال هناك 'إلا لعب ولهو' وقال ههنا 'إلا لهو ولعب' فنقول
لما كان المذكور هناك من قبل الآخرة وإظهارهم للحسرة، ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق
في الدنيا بل الاشتغال نفسه بها فأخر الأبعد، وأما ههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي

¹ تفسير أبي السعود، ج 6، ص 170.

² سورة العنكبوت، 64.

³ سورة الأنعام، 32.

⁴ تفسير اللباب، ج 15، ص 376.

خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها. اللهم إلا لما منع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها، ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلا، فكان ههنا الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو.¹

من هنا نعرف أن ابن عادل تأثر بالفخر الرازي واضحا فنقل منه كلامه. وأما الشيخ ابن عاشور أيضا رأى هذا الرأي فقال: "وأما تقدم ذكر اللهو هنا وذكر اللعب في سورة الأنعام فلأن آية سورة الأنعام لم تشتمل على اسم إشارة يقصد منه تحقير الحياة الدنيا فكان الابتداء بأنها لعب مشيرا إلى تحقيرها لأن اللعب أغرق في قلة الجدوى من اللهو."²

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾³.

في هذه الآية ذكر الله تعالى أن الكفار نفوا وجود الآخرة فقالوا إن الحياة حياة دنیا فحسب، فردهم الله تعالى بأن هذا ظنهم لا أساس له من الصحة. ففي الآية تقدم الموت على الحياة بعد ذكر الحياة الدنيا، ولكن من المعروف أن الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكر القيامة من المفروض أن يقولوا نحيا ونموت، فما سبب تقدم ذكر الموت على الحياة في هذه الآية؟

أجاب ابن عادل على هذا السؤال بأربعة وجوه:

الأول: لعل قولهم نموت مرادهم كونهم نطفة في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، وهذا

بمنزلة الموت الأول، ثم نحيا بمعنى حياتهم بعدها في الدنيا.

الثاني: بمعنى نموت ثم نحيا بسبب بقاء أولادنا.

¹ تفسير الفخر الرازي، ج 25، ص 92.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 21، ص 31.

³ سورة الجاثية، 24.

الثالث: الواو للاجتماع، ومعنى هذا: يموت بعضنا ويحيا بعض آخر.

الرابع: أنه ذكر كلام الرازي، فقال ابن الخطيب: إنه تعالى قدم ذكر الحياة فقال: 'إن هي إلا حياتنا الدنيا' ثم قال بعده 'نموت ونحيا' يعني أن تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ عليه الموت بعد، وذلك في حق الأحياء الذين لم يموتوا بعد.¹

ابن عطية أيضا أورد بعض الآراء في هذا، الأول أن الفرقة ترى أن المعنى: نحن موتى قبل أن نوجد، ثم نحيا في وقت وجودنا، الثاني أن المعنى: نموت حين نحن نطف ودم، ونحيا بالأرواح فينا، والثالث أن المعنى هو نحيا ونموت في اللفظ تقديم وتأخير، والرابع أن المعنى: الغرض من اللفظ عبارة عن حال النوع، فطائفة تموت وطائفة تحيا.²

وكذلك الفخر الرازي أيضا تكلم عن هذا السبب كما نقل ابن عادل منه، فنجد أن ابن عادل نقل الآراء من العلماء المتقدمين وجمعها في تفسيره بدون ترجيح، لأن هذه الأسباب كلها معقولة ومقبولة من ناحية ما، فلا حاجة إلى الترجيح بينها. وكذلك أبو حيان أيضا عرض هذه الأسباب نفسها بدون ترجيح.³

وكذلك العلماء المتأخرون، مثل أبي السعود،⁴ والشيخ الألوسي، إلا أنه مع ذكر هذه الأسباب أشار إلى أنه من باب رعاية الفاصلة أيضا.⁵

وأما الشيخ ابن عاشور فرأى رأيا آخر، فأشار إلى أنه للاهتمام مع بيان كلفيته وقال إنه من بلاغة الإعجاز وحصول الفاصلة تبعا، فقال: "وإنما قدم نموت في الذكر على نحيا في

¹ انظر: تفسير اللباب، ج 17، ص 366، وتفسير الفخر الرازي، ج 27، ص 270.

² تفسير المحرر الوجيز، ج 5، ص 87.

³ انظر: تفسير البحر المحيط، ج 8، ص 49.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 8، ص 73.

⁵ تفسير روح المعاني، ج 25، ص 153.

البيان مع أن المبين قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا فكان الظاهر أن يبدأ في البيان بذكر اللفظ المبين فيقال: نحيا ونموت، فقبل قدم نموت لتأتى الفاصلة بلفظ نحيا مع لفظ الدنيا. وعندى أن تقدم فعل نموت على نحيا للاهتمام بالموت في هذا المقام لأنهم بصدد تقرير أن الموت لا حياة بعده ويتبع ذلك الاهتمام تأتي طباقين بين حياتنا الدنيا ونموت ثم بين نموت ونحيا. وحصلت الفاصلة تبعا. وذلك أدخل في بلاغة الإعجاز ولذلك أعقبه بقوله تعالى 'وما لهم بذلك من علم' فالأشارة بـ'ذلك' إلى قولهم 'وما يهلكنا إلا الدهر' أي لا علم لهم بأن الدهر هو المميت إذ لا دليل.¹

فأما أنا بعد عرض كل هذا الأسباب من هؤلاء العلماء فمع الشيخ ابن عاشور في هذه المسألة، لأنه أشار إلى سبب التقسيم والتأخير وحكمته بوضوح مع رعاية الغرض التبعية، وهو شرح هذا مستعينا بسياق الآية قبلها وبعدها، بالإضافة إلى أنه من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. فشرحه أصح رأيا وأقرب إلى العقل وأشمل إحاطة وأوضح معنى.

ثم ننظر إلى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾².

في هذه الآية نهانا الله تعالى عن اتخاذ الأعداء له ولنا أولياء، فهذه الآية تتلکم عن قاعدة مهمة لمعاملتنا في حياتنا الدنيا، فيه مبحث أي لم تقدم "عدوي" على "عدوكم" ولم يقل عكسه؟

¹ تفسير التحرير والتنوير، ج 25، ص 362.

² سورة الممتحنة، 1.

وجواب ابن عادل هو أن العداوة بين المؤمنين والكافرين بسبب محبة الله ومحبة رسوله - عليه الصلاة والسلام - فتكون محبة العبد من أصل الإيمان بحضرة الله تعالى لعله، ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعله، والذي لا لعله مقدم على الذي لعله، ولأن الشيء إذا كانت له نسبة إلى الطرفين، فالطرف الأعلى مقدم على الأدنى. ثم أشار في موضع آخر إلى تقدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - على إياكم فيما بعد من الآية لشرفه - عليه الصلاة والسلام.¹

فهو رأى أنه من تقدم الذي لا لعله على الذي لعله، والأعلى على الأدنى. فما يتعلق بمحبة الله تعالى لا لعله وهو الأعلى، وأما الذي يتعلق بمحبة العبد فلعله وهو الأدنى، فجاءت عدوي مقدمة على عدوكم.

هذا هو متأثر بالفخر الرازي، فنقل ابن عادل هذا الكلام منه.²

ثم ننظر إلى هذه الآية: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾³.

في هذه الآية أمرنا الله أن نسبحه بحمده ونستغفره، ففيه تقدم التسبيح على الحمد ثم ذكر الاستغفار في الأخير، ولكن من المعروف أن التوبة مقدمة على جميع الطاعات، ثم الحمد مقدم على التسبيح، لأن الحمد على النعم، والنعم سابقة أيضا، فلم جات الآية بعكس المعروف؟

فجواب ابن عادل هو أنه لعله بدأ بالأشرف تنبيها على النزول من الخالق إلى الخلق أشرف من الصعود من الخلق إلى الخالق، أو نبه بذلك على أن التسبيح والحمد الصادرين من العبد، إذا قبلا جلال الحق وعزته استوجبا الاستغفار، ولأن التسبيح والحمد إشارة إلى تعظيم أمر الله، والاستغفار إشارة إلى الشفقة على خلق الله، فالأول كالصلاة والثاني كالزكاة فكما

¹ تفسير اللباب، ج 19، ص 7-8.

² تفسير الفخر الرازي، ج 29، ص 298.

³ سورة النصر، 3.

أن الصلاة مقدمة على الزكاة، فكذا ههنا.¹

فهذا استفاد من الفخر الرازي.² وأما العلماء المتأخرون مثل الشيخ الآلوسي فرأى أيضا أنه من باب النزول من الخالق إلى الخلق، لأن في التسبيح والحمد توجهها بالذات لجلال الخالق وكماله، وفي الاستغفار توجهها بالذات لحال العبد وتقصيراته، كما أنه بالإضافة إلى ذلك أشار إلى نقطة أخرى بأن هذا التقديم والتأخير يدل على مشروعية تعقيب العبادة بالاستغفار وتعليم أدب الدعاء إذ إن لا يسأل فجأة من غير تقديم الشاء على المسؤول منه.³

وأما ابن عاشور فتأثر بالشيخ الآلوسي، فقال إن في تقديم الأمر بالتسبيح والحمد على الأمر بالاستغفار تمهيدا لإجابة استغفاره على عادة العرب في تقديم الشاء قبل سؤال للحاجة.⁴

فهذه النماذج في تفسير الباب للبيان في التقديم والتأخير في الآيات المتعلقة بالأمر الديني، بما فيها مظاهر حياتنا الدنيوية وما يقومها من أمور الله تعالى وشريعته وطريقته. الآن نأتي إلى المبحث الثاني.

¹ تفسير الباب، ج 20، ص 545.

² انظر: تفسير الفخر الرازي، ج 32، ص 162.

³ تفسير روح المعاني، ج 30، ص 259.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، ج 30، ص 594.

المبحث الثاني:

التقديم والتأخير في الأمور الكونية

توطئة ومهاد:

المقصود بالأمور الكونية في هذا البحث هو كل ما يتعلق بما في هذا الكون من مخلوقات الله تعالى وقوانينه، مثل الجن والإنس، والسموات والأرض، والليل والنهار والمؤمن والكافر والمنافق، والنبات والحيوانات، إلى آخره.

في البداية نظر الباحث إلى الآيات التي فيها تقدم ذكر السماوات على ذكر الأرض وعكسه.

ففي القرآن الكريم ذكر كثير للسماوات أو السماء مع الأرض، لبيان غالبا في خلق الرحمن وقدرته، في معظم هذه الآيات تقدم ذكر السماء على الأرض، مثل:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾¹.

هذه الآيات بداية سورة النحل، وهي تتكلم عن دلائل الإلهيات من كمال خلقه وقدرته، فجاء القرآن الكريم بخلق السماوات والأرض وفيه تقدم السماوات على الأرض، ثم ذكر خلق الإنسان ثم الحيوان. فما حكمة هذا التقدم والترتيب؟

قد أجاب ابن عادل عن هذا السؤال، وبين أن دلائل الإلهيات نوعان في القرآن الكريم، الأول: أن يذكر الأظهر ثم الأخفى فالأخفى، ومثل هذا بآية البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾² فجعل أحوال الإنسان والآباء والأمهات دليلا على خلقه تعالى بـ"خلقكم والذين من قبلكم"، ثم ذكر أحوال الأرض بـ"الذي جعل لكم الأرض فراشا"، ثم ذكر أحوال السماء بعد الأرض بـ"والسمااء بناء"، ثم

¹ سورة النحل، 1-6.

² سورة البقرة، 21-22.

ذكر ما يتولد من تركيب السماء والأرض بـ"وأُنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم".

والنوع الثاني أن يستدل بالأشرف فالأشرف نازلا إلى الأدنى فالأدنى، وهو كما جاء في هذه الآية، فاستدل القرآن الكريم على وجود الإله الواحد بالفلكيات العلوية وهي "السماءات"، ثم بالفلكية السفلى وهي "الأرض" وهي سفلى من الفلكيات العلوية، ثم بخلق الإنسان وهو أشرف الأجسام بعد الأفلاك والكواكب ثم الأنعام وهي أشرف الأجساد الموجودة في العالم السفلي بعد الإنسان لاختصاصها بالمنافع الكثيرة للإنسان. فبهذه الحكمة جاءت الآية بهذا الترتيب وهو ترتيب في غاية الحسن.¹

ثم آية: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾².

في هذه الآية تقدم السماءات على الأرض، فقد رأى ابن عادل أن سبب هذا أن الآية قبلها تتكلم عن أن قوم سبأ يسجدون للشمس فهي للسماء فجاءت الآية بالسماءات أولا مطابقا لما قبلها. فقال: "ثم انتقل إلى إلهية السماء، وههنا الكلام مع من ادعى ألوهية الشمس، لقوله 'وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله'، فلا جرم ابتدأ بذكر السماءات، ثم الأرض."³ فدللت هذه الآية على أن الله تعالى له كمال القدرة والعلم، ومن له هذه الصفة وجبت له الألوهية، فالشمس ليست بإلاه.

فمن رأيه نعرف أن سبب التقديم هنا له علاقة بسياق الآية وموضوعها. وهذا رأي

¹ تفسير اللباب، ج 12، ص 7-11.

² سورة النمل، 23-25.

³ تفسير اللباب، ج 15، ص 150.

الفخر الرازي، ربما أخذ ابن عادل هذا الرأي منه.¹

ثم الآية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَائِكُمْ² إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ³ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا⁴ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ⁵﴾.

هذه الآيات تتكلم عن خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان، ونعمه تتعلق بالسماوات والأرض، فأشار ابن عادل إلى أن فيها تقديمين، الأول كما قال: "قدم لوازم الأنفس على العوارض المفارقة حيث ذكر أولا اختلاف الألسنة والألوان ثم المنام والابتغاء، وقدم في الآفاق العارضة المفارقة على اللوازم حيث قال: 'يريكُم البرق خوفاً وطمعاً وينزل عليكم' وذلك لأن الإنسان متغير الحال، فالعوارض فيها أغرب من اللوازم فقدم ما هو عجيب لكونه أدخل في كونه آية فإن الإنسان يتغير حاله بالكبر والصغر والصحة والسقم فله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز به عن غيره، وهو متغير بذلك في الأحوال وذلك لا يتغير وهو آية عجيبة، والسماوات والأرض ثابتان لا يتغيران ثم نرى في بعض الأحوال أمطاراً هاطلاً، وبروقاً هائلة، والسماوات كما كانت والأرض كما كانت وذلك آية تدل على فاعل مختار يلزم مع تغير المحل ويزيل أمراً مع ثبات المحل".³

من كلامه نعرف أنه رأى لوازم الأنفس على العوارض المفارقة وتقدم العارضة المفارقة على اللوازم في الآفاق كليهما لتدل على آية الله تعالى، ففي الحالين المختلفتين جاء الله تعالى بأسلوبين متضادين في ظاهره ولكن متطابقين في الباطن، وهذا أدل على آيته تعالى وقدرته

¹ تفسير الفخر الرازي، ج 24، ص 193.

² سورة الروم، 22-24.

³ تفسير اللباب، ج 15، ص 399.

فهو يثبت شيئاً مع تغير الحال ويغير شيئاً مع ثبات الحال. كما أن هذا الأسلوب أيضاً يدل على جمال اللغة القرآنية وإعجازها.

ثم أشار ابن عادل إلى تقدم آخر فهو كما قدمت السماء على الأرض دائماً، هو تقدم ما هو من السماء على ما هو من الأرض، فذكر الله تعالى أولاً البرق والمطر وهما من السماء، ثم الإنبات والإحياء وهما من الأرض، فقال: "كما قدم السماء على الأرض قدم ما هو من السماء وهو البرق والمطر على ما هو من الأرض وهو الإنبات والإحياء، وكما أن في إنزال المطر وإنبات الشجر منافع كذلك في تقدم الرعد والبرق على المطر منفعة وهي أن البرق إذا لاح فالذي لا يكون تحت كثر يخاف الابتلال فيستعد له، والذي له صهريج، أو مصنع يحتاج إلى الماء أو زرع يسوي مجاري الماء، وأيضاً أهل البوادي لا يعلمون أن البلاد عشية إن لم يكونوا قد رأوا البرق اللائحة من جانب دون جانب، واعلم أن دلائل البرق وفوائده وإن لم تظهر للمقيمين في البلاد فهي ظاهرة للبادين فلماذا جعل تقدم البرق على تنزيل الماس من السماء نعمة وآية".¹

فهو تكلم أولاً عن تقدم ما هو من السماء على ما هو من الأرض فحسب، ولم يبين أكثر من هذا، ثم يبين أن في تقدم الرعد والبرق على المطر فائدة ومنفعة، فهو رأى أنه من نعم الله تعالى وآياته.

وكل هذا الكلام في الحقيقة مأخوذ أيضاً من الفخر الرازي، ولكن في كلام ابن عادل بعض الغموض يصعب علينا فهمه، إلا أن الرازي بينه عند هذا الشرح بأنه تعالى لما قدم دلائل الأنفس ههنا قدم العرضيات التي للأنفس وأخر العرضيات التي للآفاق كما أخر دلائل الآفاق بقوله 'ومن آياته خلق السماوات والأرض'.²

¹ تفسير اللباب، ج 15، ص 399-400.

² انظر: تفسير الرازي، ج 25، ص 114.

وأبو حيان أيضا تأثر بالفخر الرازي في هذه المسألة، فهو نقل منه هذا الرأي وجاء بشرح أكثر وضوحا مع بيان حكمة ترتيب كل هذه الأشياء التي تتعلق بالأنفس والسماء والأرض، فقال: "ولما ذكر عرضيات الأنفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من إراءة البرق، وإنزال المطر، وقدمها على ما هو من الأرض وهو الإتيان والإحياء، كما قدم السماوات على الأرض، وقدم البرق على الإنزال، لأنه كالبشر يجيء بين يدي القادم، والأعراب لا يعلمون البلاد المعشبة إن لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب إلى جانب، وقال لقوم يعقلون لأن البرق والإنزال ليس أمرا عاديا فيتوهم أنه طبيعة إذ يقع ذلك ببلدة دون أخرى، ووقتا دون وقت، وقويا وضعيفا، فهو أظهر في العقل، دلالة على الفاعل المختار، فقال هو آية لمن عقل بأن لم يتفكر تفكرا تاما ثم ختم هذه الآيات بقيام السماوات والأرض وذلك من العوارض اللازمة، فإن كلا من السماء والأرض لا يخرج عن مكانه، فيتعجب من وقوف الأرض وعدم نزولها، ومن علو السماء وثباتها من غير عمد، ثم أتبع ذلك بالنشأة الأخرى، وهي الخروج من الأرض، وذكر تعالى من كل باب أمرين من الأنفس خلقكم وخلق لكم، ومن الآفاق السماء والأرض، ومن لوازم الإنسان اختلاف الألسنة واختلاف الألوان. ومن خواصه المنام والابتغاء، ومن عوارض الآفاق البرق والمطر، ومن لوازمه قيام السماء وقيام الأرض."¹

فجاء أبو حيان بعد الفخر الرازي بشرح أوفر وأبين، فكفى بشرحه فهما.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾².

¹ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 164.

² سورة النمل، 24-25.

في هذه الآية أيضا تقدم الخبء في السماوات على الأرض، فما سببه وعلاقته بالسياق؟

رأى ابن عادل أن الآية تتكلم عن قصة سليمان مع ملكة سبأ، فقومها كانوا يعبدون الشمس كما ذكر الله تعالى في الآية، والشمس آية من آيات الله في السماء، فجاءت الآية بها مقدما لإبطال إلهيتها، فالله يخرج كل شيء في السماء بما فيها الشمس فكيف تعبدون الشمس بدون مخرجها؟ فبسبب هذا وبعلاقة هذه بالسياق يقدم ذكر الشمس على ذكر الأرض.¹

هذا الرأي أيضا مأخوذ من الفخر الرازي، إلا أنه جاء بمسألة أخرى تتعلق بتقدم الشمس على الأرض، فقال: "فإن قيل إن إبراهيم وموسى -عليهما السلام- قدما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق فإن إبراهيم - عليه السلام - قال ﴿رَبِّی الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ﴾،² ثم قال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾،³ وموسى - عليه السلام - قال ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾،⁴ ثم قال ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾⁵ فلم كان الأمر ههنا بالعكس فقدم خبء السماوات على خبء الأرض؟ جوابه أن إبراهيم وموسى -عليهما السلام- ناظرا من ادعى ألوهية البشر، فلا جرم ابتداء بإبطال ألوهية البشر ثم انتقلا إلى إبطال ألوهية السموات."⁶

فشرح الرازي هاتين المسألتين من ناحية سياق الآية، وبهذا تتحدد المناسبة، فبسبب

¹ تفسير اللباب، ج 15، ص 150.

² سورة البقرة، 258.

³ سورة البقرة، 258.

⁴ سورة الشعراء، 26.

⁵ سورة الشعراء، 28.

⁶ تفسير الرازي، ج 24، ص 192-193.

المناسبات المختلفة جاء الترتيب المختلفة في القرآن الكريم.

فهذه نماذج لما يتعلق بتقديم السماء على الأرض، الآن نأتي إلى آية فيها تقدم الأرض على السماء:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾¹.

هذه الآيات تتكلم عن وعيد الله تعالى ووعدته، فالناس لا يستطيعون الهرب من عذاب الله تعالى، وجاء الله تعالى فيها بالأرض مقدما على السماء مخالفا للعادة، فرأى ابن عادل أن سبب تقدم الأرض هنا لأن هربهم الممكن في الأرض، فهم يعيشون في الأرض فإذا هرب بحث عن مهرب في الأرض، وإن فرضنا لهم قدرة على الهرب إلى السماء فيصعدون إليها هربا من عذاب الله تعالى، فقدم الأرض على السماء لأن المخاطبين هم بشر والأرض أقرب علاقة بهم.²

وهذا كذلك رأي الفخر الرازي، فتأثر ابن عادل به في هذه المسألة.³

ثم ننظر إلى آية أخرى فيها تقدم الأرض على السماء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾⁴.

¹ سورة العنكبوت، 20-22.

² تفسير اللباب، ج 15، ص 335.

³ تفسير الفخر الرازي، ج 25، ص 51.

⁴ سورة يونس، 61.

في هذه الآية تقدم "ذرة في الأرض" على "ولا في السماء"، وأشار ابن عادل إلى أن في سورة سبأ عكسه إذ قال الله تعالى فيها: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۚ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾¹، ثم أجاب عن سبب هذا الاختلاف بأن السماء من حقها أن تتقدم على الأرض، فأية سبأ في بداية السورة تتكلم عن قدرة الله تعالى فجاء القرآن الكريم على ترتيبهما العادية، وأما هنا في سورة يونس فذكرت شهادته على أحوال أهل الأرض وأعمالهم، ثم قال "لا يعزب عنه" فناسب هذا تقدم الأرض على السماء في هذا الموضع.²

فشرح ابن عادل هذا الاختلاف أيضا من ناحية السياق والمناسبة. وهذا أيضا كلام الفخر الرازي.³

أما أبو السعود أيضا ذكر سبب تقدم الأرض هنا بأن الكلام في الآية في حال أهل الأرض والمقصود إقامة البرهان على إحاطة علمه تعالى بتفاصيلها.⁴ فالسياق والمناسبة بين الآيات يعملان مرة أخرى في بيان سبب تقدم الأرض في تفسيره مع أنه من الممكن أن يكون تأثر بسابقه.

وكذلك الشيخ الألوسي تأثر بهم، فقال في تفسيره: "وتقدم الأرض على السماء مع أنها قدمت عليها في كثير من المواضع ووقعت أيضا في سبأ في نظير هذه الآية، مقدمة لأن الكلام في حال أهلها والمقصود إقامة البرهان على إحاطة علمه سبحانه بتفاصيلها."⁵ فمن

¹ سورة سبأ، 3.

² تفسير اللباب، ج 10، ص 364.

³ تفسير الرازي، ج 17، ص 129.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 4، ص 158.

⁵ تفسير روح المعاني، ج 11، ص 145.

كلامه نعرف بأنه تأثر بهم بشكل واضح. فهو ذكر أن تقديم السماء كثير، ثم أشار إلى نظير هذه الآية في سورة سبأ، ثم شرح تقديم الأرض هنا بأسلوب العلماء السابقين.

ثم لخص الشيخ الطاهر بن عاشور كلام المتقدمين في هذه المسألة قائلا: "وتقديم الأرض هنا لأن ما فيها أعلق بالغرض الذي فيه الكلام وهو أعمال الناس فإنهم من أهل الأرض بخلاف ما في سورة سبأ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ ۚ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾¹، فإنه لما كان المقام لذكر علم الغيب والغيب ما غاب عن الناس ومعظمه في السماء لاءم ذلك أن قدمت السماء على الأرض."²

فهذه نماذج للتقديم والتأخير بين السماء والأرض من تفسير اللباب، فلم يذكر ابن عادل أكثر من هذه.

في الحقيقة هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم عن السماء والأرض غير هذه النماذج، منها تقديم السماء على الأرض غالبا وفي بعض الآيات تقديم الأرض على السماء. فأود أن أبين الفرق بين تقديم السماء على الأرض وبين عكسه بعد عرض آيات أكثر من هاتين المجموعتين، فمما فيها تقديم السماء على الأرض أيضا:

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۚ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾³

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

¹ سورة السبأ، 34.

² تفسير التحرير والتنوير، ج 11، ص 214.

³ سورة البقرة، 33.

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ¹.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ².

﴿قُلْ إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ³.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا⁴ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ⁵.⁴ وغيرها كثير.

ثم ننظر إلى بعض الآيات التي فيها تقدم الأرض على السماء:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ⁵.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ⁶.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

¹ سورة البقرة، 164.

² سورة البقرة، 255.

³ سورة آل عمران، 29.

⁴ سورة الأنبياء، 30.

⁵ سورة البقرة، 22.

⁶ سورة الأنعام، 6.

وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ¹.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾².

ومثلها أيضا كثيرة.

ثم بعد النظر إلى هذه الآيات وجدنا نكتة مشتركة مهمة في هاتين المجموعتين: مجموعة آيات تقديم السماء على الأرض، ومجموعة عكسها، وهذه النكتة لم يشر إليها هؤلاء العلماء. وهي أن الآيات التي فيها تقديم السماء على الأرض غالبا تتكلم عن خلق الله تعالى وكمال قدرته وملكه، والسماء بما فيها من الشمس والقمر والكواكب والتغيرات الدائمة والقوانين الثابتة هي أدل على كمال قدرته وعظمته وأقوى آية للبشر في خلقه وألوهيته فجاء بالسماء مقدما مطابقا لهذا الموضوع وسياق الآية. وأما الآيات التي فيها تقديم الأرض فوجدناها تتكلم غالبا عن نعمه تعالى على البشر، فهنا المخاطبون هم بشر مباشرة، فهم يعيشون على الأرض ويهتمون بالأرض وما عليها من نبات وحيوانات اهتماما مباشرا وأكثر لأن فيها منافع وفوائد مباشرة لهم، فجاء بالأرض مقدما في مثل هذا الموضوع والسياق.

هذا لا شك من خصائص لغة القرآن الكريم، فهو يراعي وحدة الموضوع والسياق والتعبير ثم تتضمن هذه الوحدة في اللغة الظاهرة، وهذا النوع من الوحدة الكاملة يوجد في كل القرآن الكريم بدون تفاوت ولا تعارض.

ثم نأتي إلى آية سورة العاشية فيها تقديم ذكر الإبل على ذكر السماء والأرض: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ

¹ سورة هود، 44.

² سورة طه، 53.

نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ¹.

في هذه الآية تقدم ذكر الإبل على سائر المخلوقات وأيضا ذكر الجبال بين السماء والأرض والمعلوم أن السماء والأرض في القرآن الكريم دائما مذكوران معا، فما سبب تقدم الإبل وما حكمة هذا الترتيب في ذكر هذه الأشياء؟

شرح ابن عادل هذا بأن القرآن نزل على العرب، وكانوا يسافرون كثيرا، وكانوا يسيرون عليها في المهامه والقفار، مستوحشين منفردين عن الناس، والإنسان إذا انفرد أقبل على التفكير في الأشياء، لأنه ليس معه من يحادثه، وليس هناك من يشغل به سمعه وبصره، فلا بد من أن يجعل دأبه الفكر، فإذا فكر في تلك الحال، فأول ما يقع بصره على الجمل الذي هو راكبه، فيرى منظرا عجيبا، وإن نظر إلى الفوق لم ير غير السماء، وإذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال، وإذا نظر إلى تحت لم ير غير الأرض، فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد، حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر.²

من كلامه نعرف أنه رأى أن القرآن هنا يخاطب العرب مباشرة، فذكر أشياء متعلقة بأيامهم تعلقا قويا، فالمذكور الأول هو الجمل الذي يركبونه في سفرهم في الصحراء حتى يأكلوا ويشربوا منه، فهذه أنفع لهم وأكثر علاقة بهم فذكر الجمل أولا، ثم في سفرهم سيرون ما فوقهم من السماء، خاصة في الليل الذي يزين بالكواكب المنيرة، فيبينون جهة معينة بها، ثم عندما يرون ما حولهم فوجدوا الجبال العالية الشامخة، ثم نظروا إلى تحتهم وجدوا الأرض تحملهم وتخرج منها ما يحتاج إليها أنفسهم وجمالهم. فبهذا الترتيب الرائع يذكرنا القرآن بهذه الصورة الحيوية لينبه العرب وجميع المخاطبين بنعم الله تعالى الكبيرة وقدرته المطلقة حتى تؤثر هذه الصورة في عقولهم وتقع في قلوبهم، وحتى لا مجال لهم للإنكار والكبر والحسد. فهذه هي

¹ سورة الغاشية، 17-20.

² تفسير اللباب، ج 20، ص 302.

حكمة هذا الترتيب في غاية الحسن والبلاغة.

وصاحب غرائب القرآن ورغائب الفرقان بين هذه النقطة أيضا، فقال إنما نزلت الآية بلغة العرب فيجب أن يخاطبوا بحسب ما هو مركز في خزانة خيالهم، ولا ريب أن جل همهم مصروفة بشأن الإبل، فمنها يأكلون ويشربون، ومن أصوافها وأوبارها ينتفعون، وعليها في متاجرهم ومسافراتهم يحملون، فحيث أراد الله سبحانه أن ينصب لهم دليلا من مخلوقاته يمكنهم أن يستدلوا به على كمال حكمة الخالق ونهاية قدرته لم يكن شيء أحضر صورة في متخليهم من الإبل فنصبها لهم.¹

الآن نأتي إلى الآيات التي فيها تقدم وتأخير بين الليل والنهار أو ما يتعلق بهما:

أولا الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾².

في هذه الآية تقدم ذكر الليل على النهار، فقال ابن عادل عن سبب هذا أن الليل سابق النهار ويكون الليل لليوم بعده، فيكون اليوم تابعا لها، ثم بين أنه على الأصل.³ أي الليل أول النهار في الوجود وكما في التاريخ الهجري الإسلامي. فهذه الآية تتكلم عن خلق الله تعالى وآياته فجاء على أصله.

وكذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

¹ انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م، ج 6، ص 491.

² سورة البقرة، 164.

³ تفسير الباب، ج 3، ص 121.

مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ¹.

في الآية أيضا تقدم ذكر الليل على ذكر النهار، فرأى ابن عادل أن هذا التقدم أيضا بسبب العدمية والوجودية في طبيعة خلق الله عز وجل، فأجاب عن السؤال: ما حكمة تقدم ذكر الليل: "فهو أن الظلمة طبيعة عدمية، والنور طبيعة وجودية، والعدم في المحدثات مقدم على الوجود، فلهذا السبب قال في أول سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾".²

وهذا استفاد من الفخر الرازي، فقال الرازي الكلام نفسه في تفسيره.³

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا

لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.⁴

عن تقدم ذكر الليل على النهار قال ابن عادل الكلام نفسه على أنه للتنبيه على أن الظلمة عدم والنور وجود، والعدم سابق على الوجود، وهذا كالتنبيه على وجود الصانع.⁵

وهذا أيضا رأي الفخر الرازي، فقال إنه للتنبيه على عدمية الظلمة ووجودية النور، والعدم أسبق على الوجود، فهذا تنبيه على حدوث هذه الأشياء... وعلى وجود الصانع.⁶

وهذا يدل على أن ابن عادل أخذ الكلام والرأي من الفخر الرازي مرة أخرى.

وكذلك تأثر به أبو حيان أيضا، فقال إنه تنبيه على عدمية الظلمة مقدم على وجودية

النور.⁷

¹ سورة غافر، 61.

² تفسير اللباب، ج 17، ص 77.

³ تفسير الرازي، ج 27، ص 83.

⁴ سورة فصلت، 37.

⁵ تفسير اللباب، ج 17، ص 142.

⁶ تفسير الرازي، ج 27، ص 129.

⁷ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 477.

أما الشيخ الآلوسي أيضا رأى الرأي نفسه معهم، فقال: "وقدم ذكر الليل تنبيهها على تقدمه مع كون الظلمة عدما"، ثم بين تقدم الشمس في الآية قائلا: "وناسب ذكر الشمس بعد النهار لأنها آيته وسبب تنويره ولأنها أصل لنور القمر".¹

بعد النظر في هذه الآيات وجدت أن الله تعالى عندما يتكلم عن الدعوة إليه يذكر دائما بعض الدلائل الكونية القاطعة على وجوده وعلى قدرته الباهرة وحكمته البالغة، ومن هذه الدلائل ما في السماء وما على الأرض. فيجئ الله تعالى دائما بما في السماء أولا وهو الليل والنهار لأنهما من أكبر الآيات لوجوده تعالى وقدرته بما فيهما من القمر والشمس.

ثم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾².

في هذه الآية أيضا تقدم الليل على النهار ولكن بغرض آخر، فقال ابن عادل عن هذا بأن هذه الآية تتكلم عن الصدقة والصدقة سرا أفضل وأكمل، فإنفاق الأموال في الليل هو صدقة سرا، فهو ذكر الليل أولا والنهار ثانيا، ففيها تقدم الليل على النهار وتقدم "سرا" على "علانيا".³

وهذا أيضا رأي الفخر الرازي، فقال: "في الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية، وذلك لأنه قدم الليل على النهار، والسر على العلانية في الذكر".⁴

كما أن أبا حيان أيضا أشار إلى الفائدة نفسها لتقدم الليل على النهار هنا قائلا: "إن تقدم الليل على النهار والسر على العلانية يدل على تلك الأفضلية، والليل مظنة صدقة

¹ تفسير روح المعاني، ج 24، ص 125.

² سورة البقرة، 274.

³ تفسير اللباب، ج 4، ص 445-446.

⁴ تفسير الرازي، ج 7، ص 90.

السر، فقدم الوقت الذي كانت الصدقة فيه أفضل، والحال التي كانت فيها أفضل.¹

وكذا رأى من جاء بعدهم، منهم أبو السعود فقال: "ولعل تقدم الليل على النهار والسر على العلانية للإيدان بمزية الإخفاء على الإظهار."²

وكذلك الشيخ الآلوسي نقل الكلام من أبي السعود مع الرأي طبعاً، فقال: "قدم الليل على النهار والسر على العلانية للإيدان بمزية الإخفاء على الإظهار."³

فمن هذه الأقوال نعرف أن تقدم الليل على النهار في الآية للأفضلية باتفاق العلماء.

ثم قوله تعالى فيه تقدم النهار على الليل: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)﴾⁴.

في هذه الآيات عكس ما ذكرناها من تقدم الليل على النهار، وهو تقدم الضحى - بمعنى النهار والنور هنا - على الليل، فما سبب هذا الاختلاف؟

أجاب ابن عادل عن هذا السؤال بأنه إما لأن الليل فضيلة السبق وللنهار فضيلة النور، فلا جرم أن قدم سبحانه هذا تارة وقدم هذا تارة. وإما لأن هذه السورة سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو نور محض، فقدم ما يدل على النور على ما يدل على الظلمة تشريفاً لنبينا - صلى الله عليه وسلم - في أول السورة.⁵

وهذا أيضاً استفاد من الفخر الرازي،⁶ وكذلك أخذ العلماء المتأخرون منهم الكلام

¹ تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 344.

² تفسير أبي السعود، ج 1، ص 265.

³ تفسير روح المعاني، ج 3، ص 47.

⁴ سورة الضحى، 1-4.

⁵ تفسير اللباب، ج 20، ص 382.

⁶ تفسير الرازي، ج 31، ص 209.

نفسه، منهم الشيخ الألوسي¹ ولكنهما لم يرجحا بين الرأيين، وأما الباحث فيرى أن الرأي الثاني أرجح، لأن الله تعالى ذكر النهار مقدما على الليل هنا مخالفا للعادة، فلا بد من سبب خفي وسر بلاغي من هذا الاختلاف، فلعل هذا الرأي الثاني أشار إلى حقيقة من حقائق هذا التقدم وسر من أسرار هذه السورة.

الآن نأتي إلى هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْ يَدِي رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنَخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾².

يتكلم الله تعالى في هذه الآية عن قانون الكون وهو أنه أنزل من السماء ماء وبه يحيي الأرض ثم يسقي الأنعام والأناسي، ففي الآية تقدم إحياء الأرض ثم سقي الأنعام على سقي الأناس؟ فأجاب ابن عادل بأن "حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم، ولأنهم إذا ظفروا بسقيا أرضهم، وسقي أنعامهم لم يعدوا سقياهم".³ في الحقيقة هو أخذ هذا الكلام من الشيخ الزمخشري وهو أشار إلى هذا، فقال الشيخ: "لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وعيشتهم على سقيهم ولأن إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدوا سقياهم".⁴ من كلامه نعرف أن تقدم إحياء الأرض على سقيا الأنعام ثم على سقيا الأناسي هو تقدم السبب على المسبب، فإحياء الأرض سبب حياة الأنعام والأناسي، وحياة الأناسي على أساس حياة أنعامهم، فجاء القرآن الكريم بهذا الترتيب.

¹ انظر تفسير روح المعاني، ج 30، ص 154.

² سورة الفرقان، 48-49.

³ تفسير اللباب، ج 14، ص 546.

⁴ تفسير الزمخشري، ص 746.

وقد نقل منه هذا الرأي والكلام معا كثير من العلماء المتأخرين، منهم الفخر الرازي،¹ والسمين الحلبي،² وأبو حيان،³ وأبو السعود،⁴ وكذلك الشيخ الألوسي إلا أنه شرح هذا بتفصيل أكثر حيث قال: "فالأنعام حيث كانت قنية للإنسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بما قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها فالتقدم من قبيل تقدم الأسباب على المسببات، وجوز أن يكون تقدم ما ذكر على سقي الأناسي لأنهم إذا ظفروا بما يكون سقي أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقيهم، وحاصله أنه من باب تقدم ما هو الأهم والأصل في باب الامتنان."⁵

وأما الشيخ طاهر بن عاشور فتناول هذا التقدم من ناحية النظم، فقال: "وتقدم ذكر الأنعام على الأناسي اقتضاه نسج الكلام على طريقة الأحكام في تعقيبه بقوله ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾،⁶ ولو قدم ذكر الأناسي لتفكك النظم. ولم يقدم ذكر الناس في قوله تعالى ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁷ في سورة النازعات لانتفاء الداعي للتقدم فجاء على أصل الترتيب."⁸

فهو شرح التقدم هنا من ناحية نسج الكلام، أي سياق الآية، فالآية بعدها تطلب هذا التقدم ليناسب نظمها، ثم قارن بين تقدم الأنعام على الأناسي هنا بعكسه في سورة النازعات، ليبين لنا حكمة هذا التقدم المخالف للترتيب الأصلي بشكل أكمل وأوضح.

¹ تفسير الرازي، ج 24، ص 91.

² تفسير الدر المصون، ج 8، ص 489.

³ تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 463.

⁴ تفسير أبي السعود، ج 4، ص 224.

⁵ تفسير روح المعاني، ج 19، ص 31.

⁶ سورة الفرقان، 50.

⁷ سورة النازعات، 33.

⁸ تفسير التحرير والتنوير، ج 19، ص 49.

ثم نلظر إلى آفة أخرى فيها تقلد الأنعاف على الأنفس: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾¹

موضوع هذه الآفة مثل الآفة السابقة، تتكلم عن إحياء الأرض بالماء وبه يخرج الزرع لتأكل الأنعام والبشر، قد ذكر ابن عادل سببين لتقدم الأنعام على البشر هنا، الأول: أن الزرع يصلح للأنعام للأكل أولا ولا يصلح للإنسان فجاء ذكر الأنعام مقدما على الإنسان؛ الثاني: أن الزرع غذاء للدواب والحيوان غذاء الإنسان، فكان الحيوان يأكل من الزرع، والإنسان يأكل من الحيوان.²

في الحقيقة إن معنى كلامه أن التقدم هنا مثل الآفة السابقة من باب تقدم الأسباب على المسببات.

وهذا الكلام أيضا استفاده من الفخر الرازي، إلا أن الرازي ذكر السبب الثالث لهذا التقدم، فهو إشارة إلى أن الأكل من ذوات الدواب، والإنسان يأكل بحيوانيته أو بما فيه من القوة العقلية فكماله بالعبادة.³

هذا سبب ثالث للتقدم هنا عند الفخر الرازي، أما أنا فلا أوافق هذا الرأي، لأني أرى فيه تكلفا وغلوا، ولعل ابن عادل أيضا لا يوافق هذا السبب الثالث، فنقل السببين وترك الثالث.

وأبو حيان أيضا بين سبب هذا التقدم من ثلاثة أوجه، الأول والثاني وافق فيهما الفخر الرازي، أما الثالث فهو مختلف، فرأى أنه ممكن من باب البداية بالأدنى ثم ترقى إلى الإشراف وهم بنو آدم.⁴ وأما الشيخ الألوسي فأخذ هذه الأوجه الثلاثة من أبي حيان.¹

¹ سورة السجدة، 27.

² تفسير اللباب، ج 15، ص 492.

³ تفسير الرازي، ج 25، ص 188.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 200.

من هنا نعرف أن العلماء بعد الفخر الرازي تأثروا به في هذه المسألة، إلا أنهم باستقلال عقليتهم لم يوافقوه في كل آرائه فمنهم من يسقط رأيا ومنهم من يعدله.

ثم نأتي إلى هذه الآية: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا^١ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ^٢﴾.

في هذه الآية تقدم الجن على الإنسان، وأما في آية أخرى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^٣﴾ ففيها عكسه أي تقدم الإنسان على الجن، فما سبب هذا الاختلاف؟

فقد بين ابن عادل بأن آية الرحمن تتكلم عن الإنفاذ من أقطار السماوات والأرض، فهو أليق بالجن إن أمكن، فجاء الجن مقدما على الإنسان، وأما آية الإسراء فتتكلم عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم، فهذا أليق بالإنس إن أمكن الإتيان، فجاء الإنسان على الجن، وبهذا يقدم ما أليق به في كل موضع.^٤

فهو شرح اختلاف الآيتين أيضا من ناحية الموضوع والسياق والمناسبة. كما أنه أيضا نقل هذا الرأي والكلام من الفخر الرازي.^٥

فهذا كل ما وجد الباحث من الآيات التي تتعلق بالأمر الدنيوية والكونية في تفسير اللباب، إن السياق والمناسبة أيضا مهم جدا في فهم هذه الآيات، خاصة في بعض الآيات المتشابهات، مثل التقدم والتأخير بين السماء والأرض، وبين الجن والإنس، وبين موسى وهارون وغير ذلك. ولكن لم يتناول ابن عادل هذه الآيات كثيرا، فوجد الباحث أنه ذكر

^١ تفسير روح المعاني، ج 21، ص 140.

^٢ سورة الرحمن، 33.

^٣ سورة الإسراء، 88.

^٤ تفسير اللباب، ج 18، ص 331.

^٥ تفسير الرازي، ج 29، ص 114.

موضعا أو موضعين فقط من هذه الآيات المتشابهات، فهذا يجعلنا نشعر بعدم الشبع والرضى به، ولكن مع هذا نعرف من شرحه وشرح العلماء الآخرين فائدة السياق والمناسبة وأهميتهما في فهم مثل هذه الآيات، وهذا يعطينا دوما متعة خاصة عند قراءة القرآن الكريم وتأوله، وهذا - بلا شك - من أكبر الأدلة على إعجاز القرآن اللغوي الخالد.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات زالصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد

فقد حاولت في هذه الدراسة بيان كيفية تناول ابن عادل لقضية التقديم والتأخير من الآيات القرآنية بما فيه بيان لفائدة هذا التقديم والتأخير وسره وحكمته وخاصة علاقته بسياق الآية ومناسبته، كما نعرف منه أيضا مدى تأثره بالمتقدمين وتأثيره على المتأخرين في هذه المسألة. فتناولت كل النماذج استخرجتها الباحث من تفسير ابن عادل بالدراسة، فقسمها إلى بابين رئيسيين: الباب الأول في التقديم الصناعي والباب الثاني في التقديم الذكري، التقديم الصناعي يشتمل على أربعة موضوعات: تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم المتعلقة على عاملها وتقديم المتعلقة بعضها على بعض؛ وأما التقديم الذكري فيشتمل على الموضوعات الرئيسية الأربع التي تتعلق بالأمور العقائدية والغيبية والدينيوية والكونية، وبهذه الطريقة تشتمل هذه الموضوعات على كل النماذج، وقد سعت جاهدا لتقديم بيان بكيفية تناول ابن عادل لقضية التقديم والتأخير كإحدى القضايا البلاغية في القرآن الكريم وذلك بعرض تحقيق هدف هذه الدراسة. فالمسيرة العلمية مع القرآن الكريم عمل شاق مملوء بالصعوبات خاصة للباحث غير الناطق بالعربية، ولكن في الوقت نفسه هذا العمل ممتع لمن أخلص العمل لله، لأنه خدمة لكلام الله عز وجل وهذا شرف عظيم لي، وقد رافقني الشعور الباحث دائما بالمسؤولية الكبيرة والسعادة الغامرة أثناء كتابة البحث، فبعد كل هذه الجولة العلمية الممتعة مع كلام الله عز وجل لخصت أهم النتائج التي حصلت عليها من هذا البحث فيما يلي:

1. إن هذا التفسير كما جاء في اسمه "اللباب في علوم الكتاب"، فاللباب بمعنى

"الجمع"، فمقصود اللباب في التفسير عندي اثنان: الأول: جمع كل العلوم القرآنية، الثاني: جمع كل الآراء المفيدة للمتقدمين، فهذا التفسير جمع كل العلوم والآراء الهامة ليكون موسوعة علمية ومن هذه الناحية تظهر قيمة هذا التفسير.

2. قضية التقديم والتأخير قضية قديمة وحديثة، ولذا نجد أن العلماء قد تناولوها منذ القدم، واستخراج الأسرار الكامنة واللطائف الدقيقة يحتاج إلى الوعي التام والذكاء الحارق، فكثير من العلماء مثل السمين الحلبي والفخر الرازي وأبي حيان وابن السعود وغيرهم تناولوا هذه القضية في تفاسيرهم بشرح فائدتها وأسرارها وحكمها، إلا أنهم في بعض الأحيان قصرُوا فائدته في العناية والاهتمام بالمقدم فحسب بدون بيان سبب هذا الاهتمام فحاول الباحث أن يبين الأسرار والفوائد الكامنة قدر الاستطاعة.

3. إن هذه القضية تطورت مثل القضايا الأخرى ومرت بمراحل عديدة، حتى نضجت عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ثم العلماء بعده طبقوا الأسس التي استخرجها الشيخ في تفاسيرهم، ما جعل بياهم لهذه المسألة أكثر دقة وعمقا وشمولا.

4. إن ابن عادل تأثر بالمتقدمين خاصة بالفخر الرازي والسمين الحلبي وابن عطية.

5. بعد الاطلاع على أقوال العلماء في التقديم والتأخير وجدت أن فهم سر التقديم والتأخير ينبنى على أساس القواعد اللغوية، ولكن السياق هو المحور الأساسي للوقوف على حكمه الإلهية ولطائفه البلاغية، فالاطلاع على العلاقة الداخلية بين الكلمات أو أجزاء الآية أو الآيات المختلفة يلعب دورا مهما في هذا، بالإضافة إلى العلاقة الخارجية بين المعنى والموضوع، خاصة في الآيات المتشابهة.

6. لم يأت الاختلاف بسبب التقديم والتأخير خاليا من فائدة، فخلف كل هذه الاختلافات سر بلاغي وغرض إلهي، فالتقديم والتأخير ظاهرة بارزة من ظواهر

الإعجاز القرآني.

7. إن هذا التقديم والتأخير بما فيه من دقائق وجماليات من أهم الوسائل التي نعرف بها سر إعجاز القرآن الكريم.

8. أخيرا أرى واجبا عليّ أن أعترف بكل وضوح أن بيان الأسرار البلاغية للقرآن الكريم أمر في غاية الصعوبة، ويحتاج من الباحث إلى الغوص في بحر البلاغة القرآنية مسلحا بأسلحة العلم والتقوى؛ لأن استخراج الآليّ الفريدة والجواهر الثمينة لا يمكن إلا بالفيض الإلهي والتقوى كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.¹ والعلم الراسخ في علوم اللغة العربية، لا سيما علم البلاغة، والباحث قليل البضاعة في كلا الجانبين. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا التقوى والإخلاص والعلم النافع ويجعل هذا العمل نافعا لطلاب العلم ويجعل لي وسيلة الفلاح في الدارين فإنه سميع مجيب.

الحمد لله الذي بعونه وتوفيقه أكملت هذا البحث المتواضع، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ومعلمنا وحبيبنا محمد بن عبد الله أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

¹ سورة البقرة، 282.

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات المدروسة
- فهرس الأحاديث الشريفة
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات المدروسة

الرقم	الآيات	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة			
1	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	5	159، 94
البقرة			
2	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	3	104
3	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	4	105
4	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	7	66
5	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	8	68
6	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	9	71
7	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	10	71
8	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ () الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾	22-21	31، 264، 273

72	25	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ۗ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	9
195	28	﴿وَكُنْتُمْ أَمَواتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾	
121	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	10
137	32-31	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ ابْنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	11
272	33	﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	12
185	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	13
73، 65	36	﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	14
144	37	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	15
97	39	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ	16

		النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿	
96	41-40	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾	17
38	43	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	18
231	45	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	19
122	49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾	20
107, 193	57	﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّٰنَ ۖ وَالسَّلَوى ۖ كَلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	21
189, 34	58	﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾	22
189, 34	79	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	23
110, 232	83	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ	24

		وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٠٠﴾	
25	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	100، 194
26	96	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ﴾	250
27	98-97	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	186، 238
28	105	﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	51
29	115	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	74
30	116	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾	75
31	124	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۚ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾	113
23	127	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا	140

		تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿	
146	128	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	33
148	129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	34
114، 192	133	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	35
165	136	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	36
156	143	﴿وكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	37
75	148	﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّمًا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ	38

		قَدِيرٌ ﴿	
37	158	﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	39
276، 76	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	40
69	165	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾	41
37	158	﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	42
98	172	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	43
29	173	﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	44
76، 166، 335	177	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	45
74، 65	179	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾	46
147، 29	182	﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا	47

		إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٠﴾	
170	186	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾	48
69	200	﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾	49
77	202	﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	50
149	209	﴿فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	51
236	215	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أُنْفِقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾	52
77	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	53
240	221	﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ	54

		الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾	
242، 29	222	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	55
141	224	﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	56
48، 46، 78	228	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	57
79	233	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۚ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	58
115	234	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۚ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ	59

		﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾	
237	238	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	60
273	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	61
177	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	62
57، 195، 269	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إنا أُنْحِي وَأُمِيتُ ۚ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	63
278	274	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	64
287	282	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾	
64	284	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي	65

		أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿	
آل عمران			
153	6	: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	66
243	14	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾	67
36، 151، 248	18	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	68
179، 273	29	﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	69
196	40	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾	70
198	43	﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	71
209	45	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	72
201	46	﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَنًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	73

202	55	74	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
152	62	75	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۖ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
79	75	76	﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
116، 168	84	77	﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
241	97	78	﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾
245	-102 103	79	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ

		شَفَا حُفْرَةَ مَنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۖ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿	
140، 204	106- 107	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿	80
170	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿	81
109	117	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿	82
115	120	﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۚ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿	83
105	122	﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّمَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿	84
114	124	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۚ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿	85
241	133	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ	86

		وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿	
205	147	﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	87
207	151	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾	88
208، 30	152	﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾	89
208	-156 158	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لِّوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَيْن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَيْن مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾	90
210	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	91
176	166	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	92

النساء			
93	﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾	3	37، 29
94	﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾	11	37
95	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	26	176
96	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾	27	175
97	﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾	33	123
98	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	36	111، 237
99	﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	46	80
100	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	59	245

		وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿	
29	69	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾	101
246	92	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۚ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	102
248	135	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	103
172	147	﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾	104
211	163	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ	105

		وَسُلَيْمَانَ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا ﴿١٠٦﴾	
المائدة			
33	6	﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾	106
81	18	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	107
124	48	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	108
47	61	﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾	109
101	70	﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾	110
248	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	111
251	89	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ ۚ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ	112

		رَقِيبَةً ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿	
57	116	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿	113
الأنعام			
66	2	﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾	114
273	6	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿	115
256	32	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿	116
65	73	﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿	117
124, 39	100	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾	118
111, 51	151	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿	119
الأعراف			

101	29	﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾	120
117	75	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾	121
214	-121 122	﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾	122
216	144	﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾	123
169	158	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	124
189، 34	161	﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾	125
123	168	﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾	126
109	177	﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ مُّونَ﴾	127
135	180	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	128
37، 31	195	﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ	129

		لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿	
الأنفال			
106	2	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿	130
237، 31	41	﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴿	131
التوبة			
31	35	﴿يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ﴿	132
26	55	﴿فَلَا تُغْنِكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿	133
36	62	﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴿	134
يونس			
217	2	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿	135
99	28	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ۖ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۚ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿	136
270	61	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ	137

		وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿	
218	86-84	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الكَافِرِينَ﴾	138
هود			
274	44	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	139
213	50	﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	140
32	105	﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾	141
يوسف			
30	6	﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	142
30	6	﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾	143
الرعد			
51	26	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾	144
إبراهيم			
153	1	﴿الرَّ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	145
126	47	﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾	146

الحجر			
147	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾	87	236
النحل			
148	﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَن أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	6-1	264
149	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	16-14	52
150	﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	20-17	51
151	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	20	46

81	77	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	152
239	91	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	153
الإسراء			
111، 252	23	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾	154
283	88	﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	155
59	91-90	﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾	156
59	100	﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾	157
135	110	﴿قُلْ اادْعُوا اللَّهَ أَوْ اادْعُوا الرَّحْمَنَ ۚ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾	158
الكهف			

159	﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيمًا﴾	2-1	27
160	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۚ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾	46-45	244, 32
161	﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾	49	38
مريم			
162	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾	7	213
163	﴿قَالَ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾	8	196
164	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتُ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾	16	213
165	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾	45-41	220

83	46	﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِيَّ يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَزْجِمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾	166
31	96	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	167
طه			
127	50	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	168
274	53	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾	169
38	67	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾	170
214	70	﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾	171
الأنبياء			
142	3	﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۖ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۚ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	172
142	4	﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	173
273	30	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	174
54	62	﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	175
30	78	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾	176

177	﴿فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	79	21، 32
الحج			
178	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	11	69
179	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾	75	37
180	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾	52	30
المؤمنون			
181	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (۱) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (۲) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (۳) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (۴) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (۵)﴾	5-1	117
182	﴿مِن مَّالٍ وَبَيْنَ﴾	55	32
183	﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾	83	34
النور			
184	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً ۚ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَلَيَْشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحَرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	3-2	253، 32
185	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾	30	29
186	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ	31	255

		فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿	
187	45	﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴿	32
الفرقان			
187	17	﴿ وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿	57
188	43	﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿	127
189	49-48	﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْنًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿	280
190	50	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴿	281
191	62-58	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿	119
192	59	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿	118

193	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾	67	36
الشعراء			
194	﴿أُولَئِكَ يَرْوَا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	9-7	158
195	﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾	26	269
196	﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	28	269
197	﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾	81	195
النمل			
198	﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾	25-23	265 268
199	﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾	68	34
القصص			
200	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾	20	34
201	﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	28	65
202	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾	52	107
203	﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾	63	99

		أَعْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٤﴾	
204	70	﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۚ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	64
العنكبوت			
205	10	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۖ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِ ﴾	69
206	14	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾	212
207	22-20	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۚ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾	181، 270
208	36	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ۖ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	212، 213
209	64	﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾	256
الروم			
210	4	﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾	37
211	24-22	﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾	266

		وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ	
212	27	۞ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	143
213	43	۞ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ	223
214	44	۞ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۚ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ	221
215	54	۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ	143
لقمان			
216	12	۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ	221
217	18-13	۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ	222

		تُشْرِكْ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۖ إِلَيَّ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿	
69	20	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾	218
السجدة			
281	27	﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِعًا مِّمَّا كُنتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾	219
الأحزاب			
36	7	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؑ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾	220
102	26	﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَفْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾	221
36	56	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	222
163	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	223

سبأ			
271	3	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۚ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	224
272	34	﴿عَالِمِ الْغَيْبِ ۚ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	225
فاطر			
69، 33	28	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	226
129، 242	32	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۚ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾	227
يس			
34	20	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾	228
الصفافات			
64	47-45	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ بَيْنَضَاءٍ لِّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾	229
غافر			
38	28	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	230
276	61	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ	231

		النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿	
فصلت			
232	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	37	277
الشورى			
233	﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	36	129
الزخرف			
234	﴿لَنَسْتَوْفُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾	13	118
الجاثية			
235	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	7	29
236	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۚ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	24	257
237	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾	36	34
الأحقاف			
238	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ	20	223

		الْهُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٣٩﴾	
الحجرات			
239	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	45
الذاريات			
240	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٢٤٠﴾	17-15	85
الرحمن			
241	﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٢٤١﴾	33	283
الواقعة			
242	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٢٤٢﴾	52-51	224
243	﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٢٤٣﴾	93-92	224
الحديد			
244	﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٤٤﴾	21	241
المجادلة			

29	7	﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾	245
الحشر			
87، 33	2	﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾	246
237	7	﴿مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	247
135	24	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۚ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	248
المتحنة			
259	1	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۚ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	249
الجمعة			

34	11	﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾	250
التغابن			
37	2	﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾	251
الحاقة			
111	31-30	﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾	252
الملك			
195	2	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾	253
217	10	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	254
المزمل			
49	20	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَأُثُلُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۚ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	255

المدثر			
256	﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَتَيَّابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	7-1	112
257	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾	37	37
النازعات			
258	﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾	33	281
التكوير			
259	﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٌ﴾	21	187
الأعلى			
260	﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾	19	37
الغاشية			
261	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾	20-17	274
262	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾	26-25	89
الضحى			
263	﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾﴾	4-1	279
العاديات			
264	﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾	11	119
النصر			

260	3	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	265
-----	---	--	-----

فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الحديث	متن الحديث	حكم الحديث	رقم الصفحة
1	"أوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أنك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه، أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدينه من جواري."	ضعيف	222

فهرس الأبيات

رقم البيت	متن البيت	صاحب البيت	رقم الصفحة
1	وَفِي جَمِيعِهَا تَوْسُطُ الْخَبْرِ أَجْزُ، وَكُلُّ سَبْقِهِ دَامَ حَظَرُ	ابن مالك	21
2	كَذَاكَ سَبَقُ خَبْرٍ مَا النَّافِيَةِ فَجِيءَ بِهَا مُتْلُوَةً لَا تَالِيَةَ	ابن مالك	21
3	وَمَنْعُ سَبْقِ خَبْرٍ لَيْسَ اصْطُفِي	ابن مالك	22
4	وَرَاعِ ذَا التَّرْتِيبِ، إِلَّا فِي الَّذِي كَلَيْتَ فِيهَا أَوْ هُنَا غَيْرَ الْبَدِي	ابن مالك	22
5	هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لَيْسَةٍ شَجِيعَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كَلَاهُمَا	أبو تمام	47

فهرس الأعلام المترجمة

الرقم	الأعلام	الصفحة
1	ابن جني: هو أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني.	20
2	ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور.	49
3	ابن مالك: هو محمد بن عبد الله بن مالك الكاني الجياني المعروف بابن مالك.	21
4	أبو حيان: هو العلامة محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي.	50
5	أبو السعود: هو قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة 901 هجرية.	53
6	الآلوسي: هو محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي.	54
7	جلال الدين السيوطي: هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي.	26
8	الرازي: هو محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري.	61
9	الزركشي: هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله الزمخشري: هو أبو القاسم جار الله	29

	محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (467هـ - 528هـ).	
4	السكاكي: هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي.	10
59	السمين الحلبي: اسمه أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود، كنيته أبو العباس، ويلقب بشهاب الدين أو الشهاب الحلبي المعروف بالنحوي أو السمين الحلبي.	11
27	شمس الدين بن الصائغ: هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجذامي .	12
17	شيخ زاده: هو أحمد بن محمد الأدنه وي، المعروف بشيخ زاده.	13
4	عبد القاهر الجرجاني: هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (400-471هـ/1009-1079م).	14

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن عادل وتفسيره اللباب في علوم الكتاب، لمحمد بن عبد الرحمن الشايع، مقال طبع في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 17، 1417هـ/الموافق 1996م.
3. اتجاهات التفسير عند ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب، لجمال عبد العزيز علي عبد العزيز، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. مصطفى جلال مصطفى ود. أحمد فؤاد سالم، لكلية الدراسات العليا بجامعة المنيا، نوقشت عام 1998م.
4. الإتيقان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
5. أثر السياق في توجيه المعنى بين ابن عادل الحنبلي ومحمد الشنقيطي دراسة نحوية موازنة، لإبراهيم بن هادي محمد المباركي، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تحت إشراف السيد أحمد على صقر، نوقشت عام 1432هـ/الموافق 2011م.
6. اختيارات ابن عادل النحوية في كتابه اللباب في علوم الكتاب من أول الفاتحة إلى آخر النساء، لعبد الله بن عمير الحصين، رسالة دكتوراه تحت إشراف د. رياض بن حسن الخوام، في قسم الدراسات العليا لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، السعودية، نوقشت عام 1430هـ/الموافق 2009م.
7. آراء ابن عادل العقدية في تفسيره اللباب في علوم الكتاب عرضا ودراسة، لحسني

- عودة، الجامعة الأردنية، 1982م.
8. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة 982هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
9. أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة.
10. الإعجاز البلاغي، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1405هـ/1985م.
11. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2003م.
12. الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880هـ ومنهجه في تفسير، لعبد الحي حسن موسى عبد المجيد، رسالة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، الإشراف: محسن سميح الخالدي، نوقشت في سنة 2003م.
13. تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمرو بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى 891هـ، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى 1421هـ/2000م.
14. الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني المتوفى 839هـ، دار الكتب العلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م/1424هـ.
15. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،

- بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م.
16. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث بالقاهرة.
17. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، لعبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.
18. البلاغة فنونها وأفنانها، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان بجامعة اليرموك، الطبعة العاشرة، 2005م.
19. تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى 1984م.
20. ترجمة معاني القرآن الصينية، ترجمة: محمد مكي Ma Jian. مطبعة الملك فهد بالمدينة المنورة.
21. حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، للإمام القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2001م.
22. خصائص التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة 1997م.
23. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي نجار، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر، سنة 1318هـ.
24. تفسير الدر المصون، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
25. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة 1401هـ/1981م.

26. درج الدرر في تفسير القرآن العظيم (المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني)، لعبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2009م/1430هـ.
27. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، لمحمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية 1987م.
28. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي 1987م، القاهرة، 106.
29. تفسير الرازي، لمحمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري، ولد سنة 544هـ وتوفي سنة 604هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م.
30. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة 1270هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
31. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث بالقاهرة، الطبعة العشرون 1300هـ / 1980م.
32. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى 1949م.
33. تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري، حققه أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، غزة، الطبعة الأولى 2000م.
34. طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1997م.
35. طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب

العلمية، بيروت.

36. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين

القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م.

37. في البلاغة العربية: علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية،

بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

38. الكتاب، لسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي

بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1408هـ/1988م.

39. تفسير الكشاف، لأبي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

(467هـ - 528هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة 1430هـ/2009م.

40. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي

خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

41. تفسير الباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي

الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1998م.

42. تفسير المحرر الوجيز، للقاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي

المتوفى 547هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م.

43. المدارس النحوية، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 7، 1968م.

44. معجم مصنفات القرآن الكريم، لعلی شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض، ط

1، 1404هـ/1984م.

45. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 1425هـ - 2004م.

46. مفتاح العلوم، للسكاكي المتوفى 626هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة

الثانية 1407هـ/1987م.

47. منهج ابن عادل الحنبلي في تفسيره للقرآن الكريم: الباب في علوم الكتاب، لمحمد علي عثمان عثمان، رسالة ماجستير تحت إشراف السلطان فريد مصطفى في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، نوقشت عام 2002م.
48. منهج ابن عادل في تفسيره الباب في علوم الكتاب وتحقيق تفسير سورة الفاتحة، لمناع بن محمد القرني، وهي رسالة جامعية تحت إشراف د. زاهر بن عوض الألمعي، من قسم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ونوقشت عام 1415هـ/الموافق 1994م.
49. التفسير الموضوعي، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ. د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.
50. موقع ويكيبيديا الحر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>.
51. النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشر.

فهرس المحتويات		
الرقم المسلسل	المحتويات	الصفحة
.1	الإهداء	1
.2	كلمة الشكر	2
.3	المقدمة:	3
.4	التمهيد:	13
.5	الباب الأول: التقديم الصناعي	40
.6	الفصل الأول: التقديم في عمدة الكلام	42
.7	المبحث الأول: تقديم المسند إليه	43
.8	المبحث الثاني: تقديم المسند	62
.9	الفصل الثاني: التقديم في متعلقات الكلام	91
.10	المبحث الأول: تقديم متعلقات الفعل على عاملها	93
.11	المبحث الثاني: تقديم المتعلقات بعضها على بعض	120
.12	الباب الثاني: التقديم الذكري	131

133	الفصل الأول: التقديم في الأمور العقائدية والغيبية	.13
134	المبحث الأول: التقديم في الأمور العقائدية	.14
184	المبحث الثاني: التقديم في الأمور الغيبية	.15
228	الفصل الثاني: التقديم في الأمور الدنيوية والكونية	.16
229	المبحث الأول: التقديم في الأمور الدنيوية	.17
262	المبحث الثاني: التقديم في الأمور الكونية	.18
285	الخاتمة	.19
288	الفهارس الفنية	.20
289	فهرس الآيات المدروسة	.21
326	فهرس الأحاديث الشريفة	.22
327	فهرس الأبيات	.23
328	فهرس الأعلام المترجمة	.24
330	فهرس المصادر والمراجع	.25
336	فهرس المحتويات	.26

